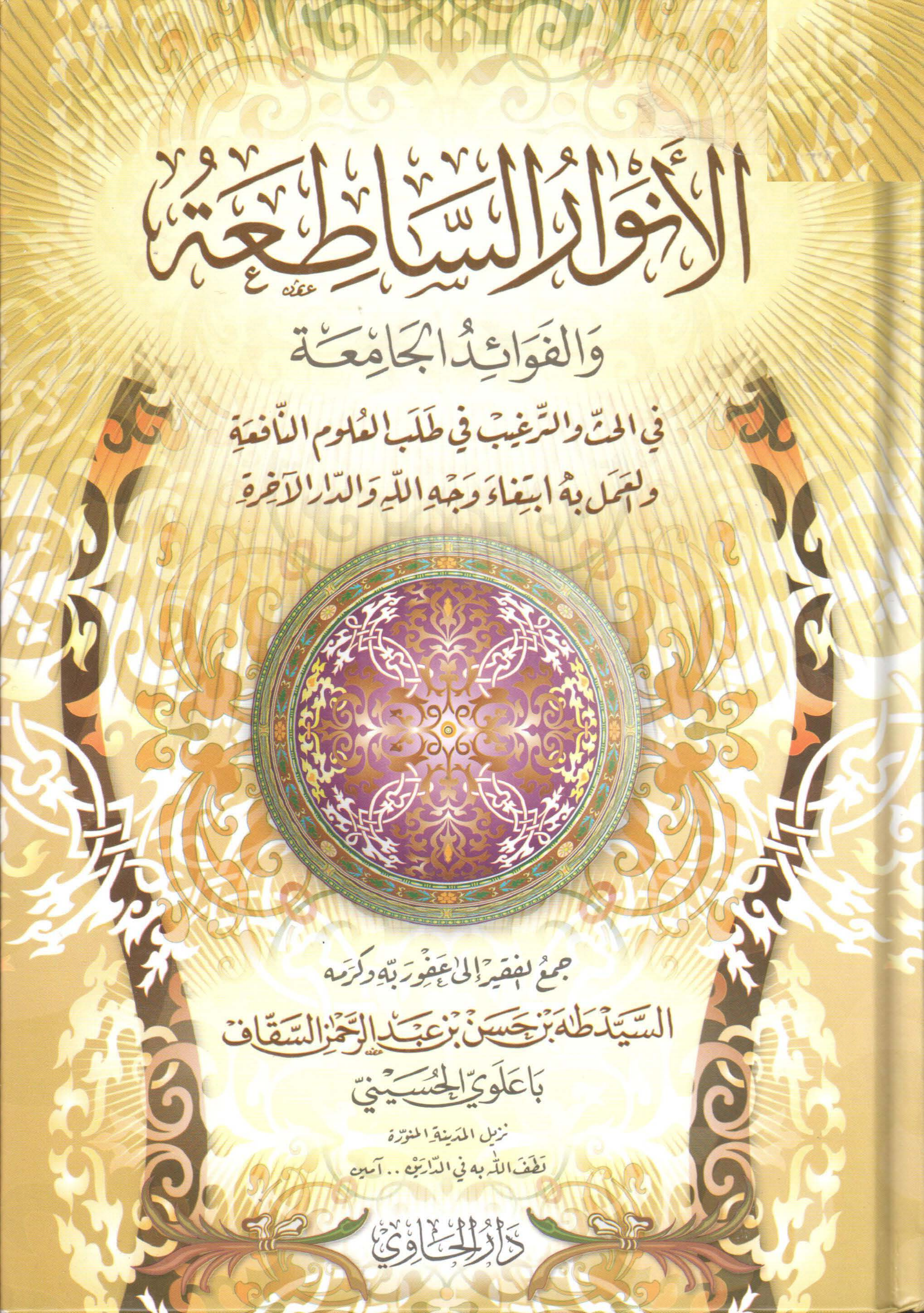

الأنوار الساطعة
والفوائد الجامعة
في الحث والترغيب في طلب العلوم النافعة
والعمل به ابتغاء وجه الله والدار الآخرة
جمع الفقير إلى عفو ربه وكرمه
السيد طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف
باعلوي الحسيني
نزيل المدينة المنورة
لطف الله به في الدارين .. آمين
دار الحاوي

الأنوار الساطعة

والفوائد الجامعة

في الحث والترغيب في طلب العلوم النافعة
والعمل به ابتغاء وجه الله والدار الآخرة

جمع الفقير إلى عفو ربه وكرمه

السيد طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف
باعلوي الحسيني

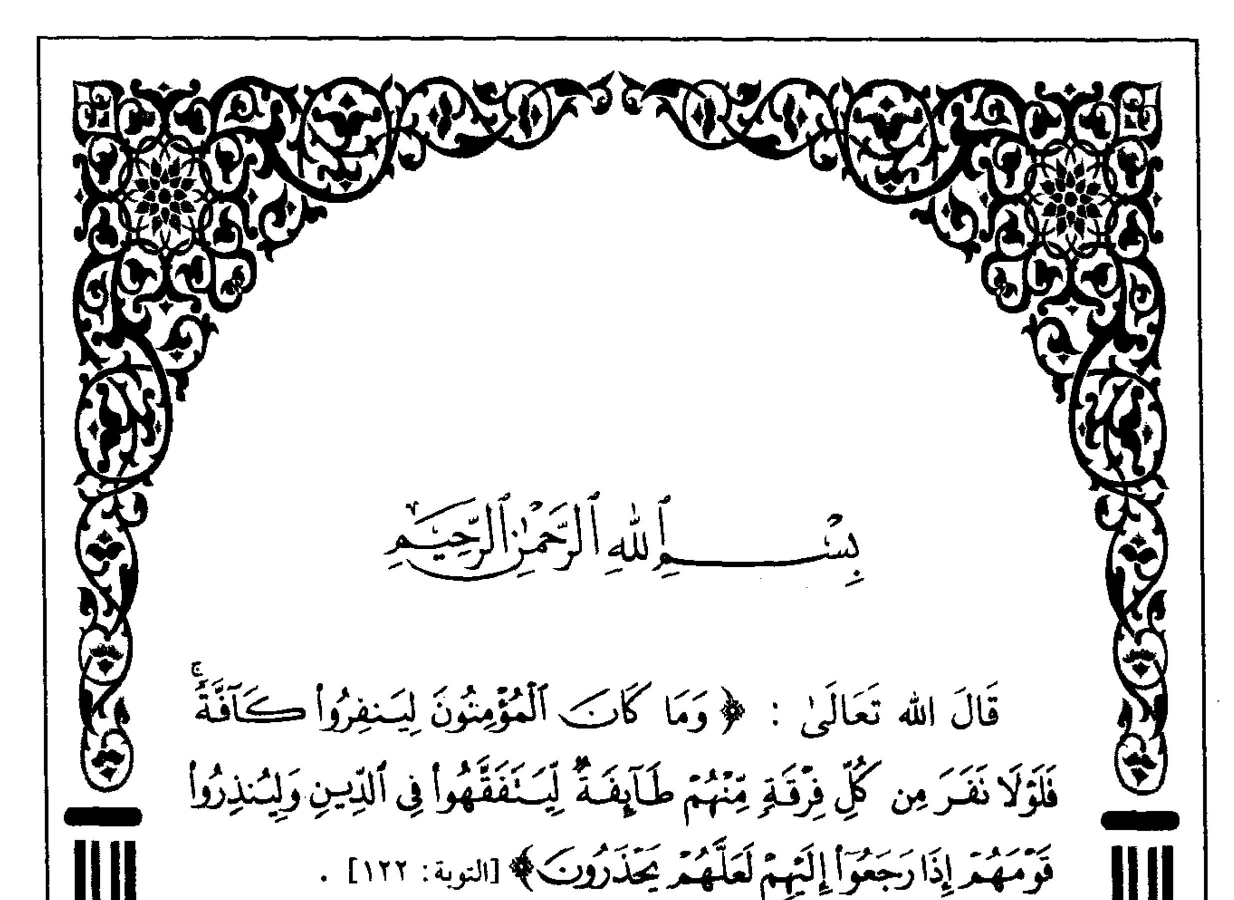
نزيل المدينة المنورة

لطف الله به في الدارين .. آمين



بداية التأليف شهر ذي القعدة سنة (١٤٠٦هـ)
ونهايته (١٢) ذي القعدة (١٤٢٩هـ)
بالمدينة المنورة

دار السنابل　　　دار الحاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الله تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] .

وقَالَ الله تَعَالَىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] .

وعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوىٰ ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله . . فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها . . فهجرته إلى ما هاجر إليه » رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » .

ما كتبه العلامة الحبيب زين بن إبراهيم بن زين بن سميط بالمدينة المنورة شهر القعدة سنة (١٤٣٠هـ) حفظه الله عن هٰذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق المبين ، الموفق من أحب من عباده لطلب العلم والتفقه في الدين .

والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

فإنَّ أخانا في الله السيد الحبيب العالم الأديب الشاعر الأريب طه بن حسن بن عبد الرحمٰن السقاف أمتع الله به أطلعني علىٰ ما ألفه ودوَّنه وجمعه من فضائل العلم والمتعلمين ، ومناقب جُملة من أعيان العلماء والصالحين .

فتصفحت ذلك وسرحت نظري علىٰ ما هنالك ؛ فإذا هو تأليف جامع ، وكتاب حافل مليء بالفوائد والحِكَم والآثار ، فهو شبيه بالحديقة الواسعة التي تجمع متنوعات الأشجار والثمار .

فجزى الله المؤلف خيراً ، وبارك له في ما قُسِم له من الخير ، وثبته عليه ، وأدامَ النفع به في السر والإجهار .

وكتبه الفقير إلىٰ مولاه
زين بن إبراهيم بن سميط سامحه الله
حرر بالمدينة شهر القعدة سنة (١٤٣٠هـ)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي علَّم بالقلم ، علمَ الإنسانَ ما لم يعْلم ، والصلاةُ والسلام على المعلِّم الأول ، والرسُولِ الأكْمَلِ ، سيدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الذي حثَّ على العلْمِ والتعليم ، لتزكيةِ العقُول وتصحيحِ الأعمال وتنويرِ الأفْهام ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عَليمٌ .

أما بعد :

(١)

فإن الحثَّ علىٰ طلبِ العلم النافع ، والتحريضَ عليه ، والترغيبَ فيه . . من الأعمالِ الشريفة المحمُودة ، والأفعالِ السنية ، التي لا يتجرَّد لها إلا ذوو الهمَمِ العلية ، والقلُوبِ الرَّحيمة المشفِقَة علىٰ حالِ الأمة وأوضَاعها من التردِّي في حَضيضِ الجهلِ والإسْفاف .

وإن الناسَ لم يزالوا بخَيرٍ ما تعلمُوا العلْمَ النافع ، ورغبوا في صُحبةِ العلماء الربانيينَ ، الصّالحين المصْلِحين . وإنه ما نزلَ بالأمة هـٰذا البلاءُ العظيم ، من التشدُّد والتطرُّفِ والعصبية ، إلا بسبَبِ الجهْل بحقيقَة الدّينِ وجَوهره ، وبُعدِ المترسِّمين بظَواهر العُلوم عن صُحبة الرَّبانيين .

قال ابنُ عطاء الله في « الحكم » : (لا تصْحَبْ من لا ينهِضُكَ حالُه ، ولا يدلُّكَ على الله مَقالُه) .

وقال سهلٌ التستريُّ : (احْذَر صُحبةَ ثلاثةٍ : الجبابرةِ الغَافلين ،

والقُرَّاء المداهِنين ، والصُّوفية الجاهلينَ . أي : الذين قنِعُوا بظاهِرِ النِّسْبةِ ، وتحلَّوا للناسِ بالزُّهد والتعبّدِ ، وهؤلاءِ على الناسِ فتنةٌ وبلاءٌ) .

وقالَ أمير المؤمنين عليٌّ ، عليهِ السلامُ : (قطعَ ظهري رجُلانِ : عالم متهتكٌ ، وجَاهلٌ متنسِّكٌ)[1] .

فوقعَ الناس بسبَبِ قلَّةِ الربانيين ، ومَوتِ الصالحين ، في بلاءٍ وجَهدٍ جَهيد ، ويقينُنا أنه لنْ يصْلُحَ آخِرُ هـٰذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها ، كما قالَ الإمامُ مالكٌ رحمه الله ، قيلَ له : وما أولها ؟ قال : التُّقَىٰ .

وأينَ الناسُ اليومَ من التقوىٰ ، وأينَ الناسُ من المرُوءَة ، وأين الناسُ من صَحيحِ العبَادة ، وتصْحيحِ المعَاملة ، وقوّة اليقين ، ومتانَة الدّين . لقد ابتلُوا بجمْعِ الحطَام ، وكثرَةِ الكَلام ، والتبَاهي بأصناف الملابسِ وأنْواعِ الطَّعَام ، فبئسَتْ تلكُم حياةٌ ، وبئْسَت هـٰذه حالةٌ .

(٢)

إن في نشْر هـٰذا الكتابِ النافع ، وأمثاله من الكتُب ، إقامَةٌ للحُجّة ، وغرساً للفضيلة ، التي لا بدّ وأن تُثمِرَ وتنتجَ نِتاجاً طيباً ، ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥] إذا حسُنَتِ النيةُ ، ولا يقولنّ أحدٌ : إن الناس لا تقرأ ؛ فإن لكلِّ سَاقطة لاقطَة ، أو كما قيلَ :

.... للتيـنِ قـومٌ وللجُمَّيـزِ أقـوامُ

---

(١) ومن أراد المزيدَ من هـٰذه الحكَمِ والنصَائح والآدابِ العلية . . فعليه بالكتابِ العظيم « إحياء علوم الدين » ، الذي أعرضَ عنه أكثَرُ هـٰذا الجيل ، وقد كان السَّلفُ الصالح يجزِّئونَه أربعينَ جُزءاً ، يقرؤونَ منه كلَّ يومِ جُزءاً .

فليسَ جميعُ الناسِ لا يقرؤون ، ولا جميعُ الناسِ لا يقتَنون الكتُبَ .

وفي المقابلِ ، فليس بمَقدُورِ كلِّ مؤلفٍ أو كاتبٍ ، أن يرقَىٰ منَابر الإعلام الحديثة ، أو يظْهَر في هـٰذه الشّاشة أو تلك ، كما يهيأ لمن أرِيدَ لهم ذلكَ الظهُورُ ، الذي يستوي فيه مَن يعْلَم ومن لا يعلَم ، وممن يحسِنُ الحديث وينمِّقُه وهو خِلْوٌ عن العمَل به ، أو الذَّوقِ له .

فليسَ الظهورُ وتصَنُّعُ القَولِ بدليلٍ على الإخْلاص ، فالكلامُ والخَطَابة صَنعةٌ ، يتقنها البرُّ والفَاجِر ، وإنما حديثُنا هنا ، في إيقاظِ الهمَم ، لارتقَاء القِمَم ، وفي تحفيزِ الشّبابِ على الإقبالِ والتنافُسِ في طلَبِ العلْمِ النافع ، المهذِّب للنفُوسِ ، المزكِّي للعقُول والقلوبِ .

(٣)

لقد أحسنَ الحبيبُ الفاضل ، السيدُ طه بن حسَنٍ السّقاف ، أمتعَ الله بحياته ، بجَمْعه هـٰذه النبذةَ المباركة ، التي سماها « **الأنوار الساطعة والفوائد الجامعة** » ، إذ حشَد فيها فوائِدَ ، وأخْباراً ، وآداباً ، ونوَّعها ، فهي كالمائدة فيها ما لذَّ وطَاب ، وهي علىٰ وجازتها مفيدَةٌ لمن ألقَىٰ لها سَمْعه ، وأصْغَىٰ لها بقَلبه .

وقد حمَّلني أمانةً ، وقلَّدَني مِنةً ، إذْ كلَّفني بأن أنظُرَ فيها ، وأراجِعَها ، كما هو ديدَنُه في مراجَعة وتصحيحِ ما يقَعُ بين يديه مما أقُوم بنَشْره من كتُبِ التراثِ ، فكانَ ذلك دَيناً عليّ في رقَبتي ، أرجُو أن أكون قد أدَّيتُه علىٰ أحسَنِ وأكمل وجْهٍ ، وإلا فَإني أحقَرُ شأناً من أن أراجعَ أو أقرِّظَ لمثل الحبيبِ طَه ، وهو من جملةِ شُيوخي الذينَ أعتزُّ بهم .

(٤)

إن هٰذا الحبيبَ الفاضل ، جامعَ هٰذه الرسالة ، إنما هو نموذجٌ بين أظهرنا لـمـا كان عليه السلَفُ الأخيارُ الأبرار ، من حُبِّ العلْمِ والتعلُّق به ، شيباً وشبَّاناً ، واقتناصِ الفائدَة من محالها ومظَانِّها ، والبعْدِ عن الغُرور والصَّلَف والتكبُّر ، ورؤيَةِ النفْسِ وإتْباعِها هَواها .

وإني لأشْهدُ أني كلَّما لقيتُه ، أو زرتُه ، أجِدُ لديه من الفوائد العزيزة ، والبحْثِ عن تَراجم الرجَال ، والتّفتيشِ عن نوادر الكتُب والأخْبار ، مع الهمّة والمتابعَة والحرْص . . ما لا أجدُه عندَ صِغَار الشباب وفِتْيانهم ، من أبنَاء الفضلاء ، ممن هم مظِنةُ تلكمُ الشؤون ، الذين شُغِلوا بترَّهاتِ هٰذا الزَّمان ، أو ابتُلوا بالتطلُّع إلى المقامَاتِ العَالية ، وابتِغَاءِ الوصُولِ إلى الغَاياتِ من غير طلَبٍ ولا تعَبٍ ولا ارتقاءٍ لسلَّمِ المجْدِ ، هٰذا ؛ إذا كانَتْ لديهم غَاياتٌ ، وحُرِّرتْ منهم النِّياتُ .

فمثَلُهم كمثَلِ من أتى البيتَ من غير بَابه ، أو كالمتسَوِّر علىٰ محرابه ، ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [ص: ٢١] ، فلا شيخَ يهديهم غيرُ الكِتَاب ، وحتَّى الكتابُ إذا وُجد ، لم يكن دليلاً إلا لمن لقّحته مجالسَةُ الشّيوخِ ، وعُرِفَ بصُحْبة أهلِ الرسُوخ ، وتواضعَ لأشيَاخِه وأقْرانه ومن دُونَه ، وطأطأَ رأسَه لمن أفادَه ولو بفائدَة ، فطالبُ العلمِ المتواضِعُ ، مثلُه كالسّنبلَة ، كلما زادَ حملُها . . طأطأتْ رأسَها ، ولا تبقَىٰ منتَصِبةً إلاَّ إذا خَفَّ حِملُها ، وفرغَ رأسُهَا .

(٥)

إن الحبيبَ طه بن حَسن ، وإن لم يعرِفْه الكثيرونَ من شبَّاننا ، وأبنَاءِ جيلنا ، تكفيه صُحبته لخالِه إمامِ العَصْر ، ومفْخَرة الدّهر ، الحبيب عبدِ القادر بنِ أحمد ، نفَعنا الله به .

بل لقد شارك خاله في الأخْذِ عن بعض شيوخ عصره ، كالحبيب محمّدِ بن هَادي ، والحبيبِ أحمد بن مُوسَىٰ ، والحبيب هَدّار ، وغيرهم .

وأدركَ طبقةً عالية من أهلِ العلم والرِّوايَة والإسْناد ، فهنيئاً له ما أدرَكَ ، وهنيئاً له ما جمع ، وهنيئاً لنا به وبآله الكرَامِ .

وليسَ هـٰذا الكتابُ بأولِ أعماله وتصَانيفه ، بل سبقَته أعمالٌ قبل ذلك ، جُلّها في فنِّ التراجِم والتاريخ ، ولقد حَفِظ هـٰذا الحبيبُ بهمّته وصَبره وجَلَده ، الكثير والكثير من الأخبار ، وقيّدَ لنا العديدَ من الشواردِ والفوائد ، إنْ في تعليقاتِه علىٰ رحْلَتي الحبيب عمر بن سميط ، أو في خِدْمته الممتَازة لكتَاب « الأمالي » لجدِّه الحبيبِ أحمدَ بنِ عبد الرحمـٰن السَّقاف ، أو في الكتابِ العظيمِ الحافل « فيُوضَات البحْر الملي » الذي أفردَه لسيرةِ وأخبار سيِّدنا شيخِ الشيوخ ، وإمَام أهل الرسُوخ ، الحبيبِ عليٍّ بن محمدِ الحبشي ، نفعَنا الله بمحبَّة الجميع .

كلُّ هـٰذه الأعمالِ والمجاميع لتشهد للحبيب طه بحُسْن العمَل ، والإتقان ، والتحرير ، فجزاه الله عن أهله وسَلفه ، وعنَّا وعن محبيه خيرَ الجزاء .

(٦)

فيا مَعْشر الشبابِ ؛ دونَكُم عَروساً خريدَةً ، جُليَتْ لكم ، وجلِبَتْ إلىٰ سُوقكم ، فهَل من مبتاعٍ ، وهلْ من خَاطبٍ ؟

وهل مَنْ يُرَدِّد قول الإمام التّاجِ السبكي :

سَهَـري لتَنقيـحِ العلُـومِ ألـذُّ لـي　　من وَصْلِ غَانيةٍ وطيْبِ عِنَاقِ !

إذا لم تكُنْ لكم همٌّ في غَير الملذَاتِ الفَانية . . فعلىٰ دُنياكمُ السَّلامُ .

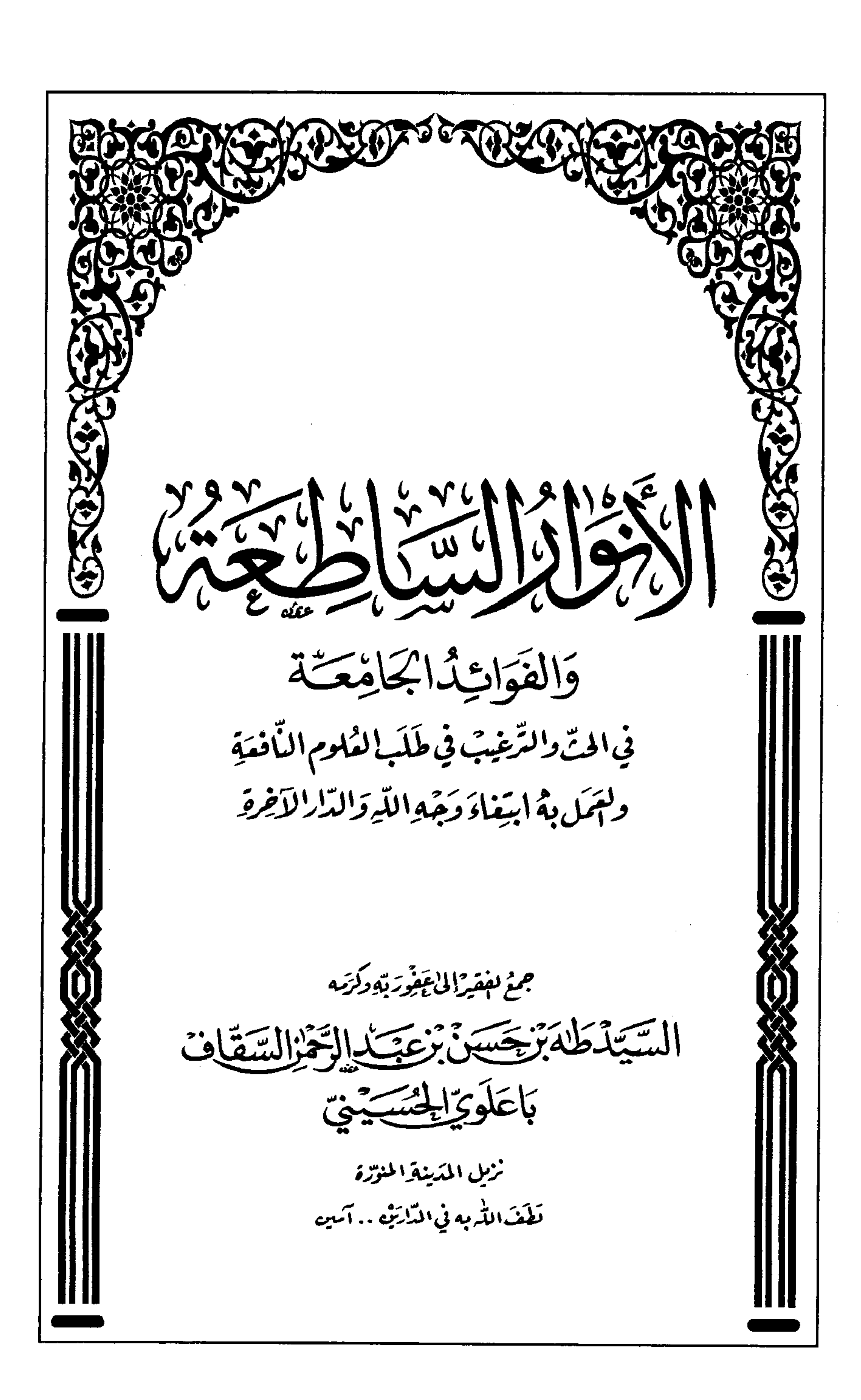
وليكُنْ هـٰذا مسْكَ الختَام ، والله تعالى المسؤولُ أن يبلِّغَ كلَّ طالبِ ما رامَ ، والحمدُ لله رب العالمين .

وكتبه

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

جدة ، ضحى الأحد ، غرة ذي الحجة الحرام من عام (١٤٣١هـ)

الموافق (٧) من نوفمبر سنة (٢٠١٠م)



الأنوار الساطعة

والفوائد الجامعة

في الحث والترغيب في طلب العلوم النافعة
والعمل به ابتغاء وجه الله والدار الآخرة

جمع الفقير إلى عفو ربه وكرمه

السيد طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف
باعلوي الحسيني

نزيل المدينة المنورة

لطف الله به في الدارين .. آمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين ، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

وبعد : لقد بدأتُ في كتابة وجمع هٰذه الرسالة بالمدينة المنورة في عام (١٤٠٦هـ) وجعلت لها هٰذا الاسم : (الأنوار الساطعة والفوائد الجامعة في الحث والترغيب في طلب العلوم النافعة والعمل بها ابتغاء وجه الله والدار الآخرة) .

وقد كتبت منها ستين صفحة تقريباً من توفيق الله تعالىٰ ، وقمت بعرضها علىٰ سيدي وخالي العلامة الإمام الكبير عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف[1] رحمه الله رحمة الأبرار ، وقرأت عليه حوالي

(١) توفي رحمه الله في مدينة جدة ليلة الاثنين (١٩) ربيع الثاني (١٤٣١هـ) بعد عمر طويل في طاعة الله ومراضيه ، وقد أكمل مئة عام ، وكان ميلاده بمدينة سيؤون حضرموت جمادى الأول (١٣٣١هـ) ، ودفن رحمه الله بمقبرة المعلاة بمكة بعد الصلاة عليه في الحرم بعد صلاة العشاء ، وعند وضعه في القبر هطلت الأمطار في مكة ، وكذلك في المدينة المنورة وفي جدة ، وشيع في جموع لا أول لها ولا آخر ، رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه جنات تجري تحتها الأنهار ، وأخلفه بالخلف الصالح ، آمين .

وقلت قصيدة في رثائه بلغت مئة بيت علىٰ عمر الفقيد ، أولها :

خطب عظيم هز للأكوانِ ... وأصاب كل فؤاد بالرجفانِ

وآخرها :

ولقد أتت أبياتها مئة على ... عمر الفقيد له فسيح جنانِ =

عشرين صفحة في داري في سفح جبل سلع بالمدينة المنورة في أيام صحته ونشاطه وتردده إلى المدينة المنورة ونزوله في داري ، ففرح بها سيدي وشجعني علىٰ إتمامها ، وقال حفظه الله : (ما شاء الله يا طه ؛ الله يبارك فيك ويوفقك ، يا خير جمع جمعته ؛ الله يوفقك ويعينك ويساعدك) .

وكان ذلك في داري بالمدينة المنورة حوالي عام (١٤٠٨هـ) ، ففرح بها كثيراً ، ودعا لي بالتوفيق والمعونة وإتمامها على النحو المطلوب ، وإن شاء الله ربنا يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، ومقبولة لديه ، وننال عليها الجائزة والثواب إن شاء الله .

وأيضاً : كنت مع شيخنا العلامة محمد بن أحمد الشاطري[1] ـ رحمه الله ـ في الحرم النبوي الشريف ، فذكرت له الرسالة واسمها وموضوعها ، ففرح بها سيدي وقال : (ما شاء الله ، الله يبارك فيك ، وبايفرحون بها طلبة العلم وباينتفعون بها) .

وكان معنا الأخ الفاضل علوي سالم خرد ، وكان الأخير دائماً يسألني عن الرسالة ، وقد فُقِدَت الرسالة وضاعت بين الكتب والأوراق ، وغفلتُ

= والأخرىٰ :

جــلَّ المصــاب وإنــه لعظيــمُ ... بـوفـاةِ مـن هـو محسـنٌ وكـريـم

وقيلت في رثائه الكثير من القصائد والكلمات من الشعراء والأدباء والعلماء والدعاة والمرشدين ، جزاهم الله خيراً .

(١) شيخنا المولود بتريم (١٣٣١هـ) وتوفي بجدة ، ودفن بمكة شهر رمضان عام (١٤٢٢هـ) ، وله مؤلفات وديوان شعر ، مدحته بقصائد ، ولي منه إجازة مكتوبة رحمه الله .

عنها مدة طويلة ، ثم وجدتها ففرحت كثيراً ، وذكرتها لسيدي العلامة الفقيه زين بن إبراهيم بن سميط حفظه الله ، وذكرتها له ونحن في الحرم وفي مجالس أخرىٰ ، ففرح بها كثيراً وقال لي : (هاتها بانوزعها على الطلبة ؛ الناس في حاجة إليها) .

ثم أخذتها معي إلى الحرم النبوي الشريف ؛ لقراءتها ومراجعتها في الحرم الشريف ، والحمد لله علىٰ ذلك .

وبتاريخ يوم الثلاثاء (٢٥) محرم سنة (١٤٢٥هـ) قرأتها وراجعتها في الروضة الشريفة .

ونرجو الله الإعانة علىٰ نشرها ، وأن يعم النفع بها ، وننال عليها الجائزة والثواب ؛ إنه جواد كريم وهو نعم المعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وكتبه
طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف
باعلوي الحسيني
نزيل المدينة المنورة
لطف الله به في الدارين .. آمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ١٩] .

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ـ٤] .

فسبحانه من كريم منان ، رحيم رحمـٰن ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام علىٰ سيد ولد عدنان ، المعلم العظيم ، والهادي الكريم ، أرسله الله رحمة للعالمين ، وهادياً وبشيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه نجوم الهدىٰ ومصابيح الدين ، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فقد استخرتُ الله سبحانه وتعالىٰ في جمع رسالة في الحث علىٰ طلب العلم النافع ، والترغيب فيه والعمل به ، وما جاء في العلم وفضله ، وما يتعلق بذلك ، وفضل العلماء مع مجموعة فوائد مختلفة ومسائل متنوعة ، وما جاء فيه من الآيات الشريفات ، والأحاديث النبويات ، وأقوال الأئمة الأعلام ، وما جاء في ذلك من الأشعار والحِكَم المرويات ؛ عسىٰ أن يكون ذلك الجمع تبصرة وتذكرة لي ولأمثالي

القاصرين ، وتشجيعاً وترغيباً في طلب العلوم النافعات ، وأرجو الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفعني به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومقرباً إلىٰ رضوانه وإلىٰ جنات النعيم بفضله ومنِّه ؛ إنه أرحم الراحمين ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

اعلم وفقني الله وإياك لما يحب ويرضىٰ : أن طلب العلم واجب علىٰ كل مسلم ؛ بنص الحديث الصحيح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه البيهقي والطبراني وغيرهما عن أنس : « طلب العلم واجب علىٰ كل مسلم » .

والعلم منزلته عظيمة ورتبته جسيمة ، وقد وردت الآيات الشريفة بفضل العلم وعظيم شرفه وفضل العلماء ، وأن لهم الدرجات الرفيعة والمقامات العالية ، وقد صنف كثير من العلماء المؤلفات الكثيرة الكبيرة منها والمتوسطة والمختصرة ، وبينوا فضل العلم ومزاياه ودرجاته العالية في الدنيا والآخرة ، وتوسع الكثير منهم ، وذكروا من آداب طالب العلم وآداب المعلم وما يجب وما ينبغي الشيء الكثير .

وقد أحببتُ أن أجمعَ في رسالتي المتواضعة بعون الله وتوفيقه بعضاً من الآيات التي تشير إلىٰ فضل العلم وعظيم منزلته ، وفضل العلماء العاملين الصادقين وعظيم قدرهم ومنزلتهم عند الله تعالىٰ ، وأذكر بعضاً من الأحاديث الشريفة في الحث علىٰ طلب العلم وفضله والترغيب فيه ، وبعضاً من كلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأخيار من كلامهم ومن أشعارهم وحِكَمِهم ، كما أذكر بعضاً من الفوائد المختارة حول تحصيل العلماء وجِدِّهم واجتهادهم في طلب العلم ،

وتحمل الأخطار ومشاق الرحلة والأسفار ، وغيرها مما تجد في هٰذه الرسالة التي أرجو الله سبحانه وتعالىٰ أن تكون خالصة لوجهه الكريم ، وليس لي فيها إلا الجمع والنقل من مؤلفات أهل العلم والفضل .

فإن كان ما جاء فيها صواباً . . فالفضلُ لله سبحانه وتعالىٰ ، وله الحمد والشكر ، وإن كان فيها خطأً أو تقصيراً أو نقصاً . . فمن جامعها العبد الفقير ، ونستغفر الله ونتوب إليه ، ونرجو ممن وقف علىٰ خطأ أو تقصير أن يتأمل ذلك بعين الإنصاف ، ويتأكد من الصواب ، ويصحح الخطأ بعد التأكد والتثبت ، وله من الله تعالى الأجر والثواب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ونسأله سبحانه وتعالى الهداية والسداد ، وسلوك سبيل أهل الرشاد ، وأن يغفر لي ولوالدي ، ولمشايخي في الدينِ ، ولزوجتي المرحومة[1] بفضله وكرمه ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو نعم المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم علىٰ عبده ورسوله الصادق الأمين وآله وصحبه والتابعين .



(١) زوجتي : أنيسة بنت أحمد بن عبد الله بن عمر بن حامد السقاف ، وجدها لأمها الحبيب محمد بن علي الحبشي ، توفيت بالمدينة غرة شعبان (١٤٣١هـ) رحمها الله رحمة الأبرار ، وأسكنها الجنة ، وأخلفها بالخلف الصالح .
وصلوا عليها في الحرم النبوي ، ودفنت بالبقيع ، وكان وصولها المدينة في شوال سنة (١٣٧٩هـ) ، وأقامت بها إلىٰ وفاتها رحمها الله .

الآيات القرآنية
ما جاء في فضل العلم من الكتاب العزيز

وردت آيات كثيرة في فضل العلماء وعظيم منزلتهم ، وفضل العلم وتعليمه والعمل به ؛ فقد عَظَّم الله تعالىٰ شأن العلم وأهله .

قال الله تعالىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وقال عز من قائل : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمرن : ٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

والآيات في هٰذا المعنىٰ وما يتعلق به كثيرة وفيما ذكرناه كفاية ، فتأمل هٰذه الآيات وغيرها ، ونقول كما أمرنا سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : اللهم ؛ إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ، اللهم ؛ لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

❋ ❋ ❋

الأحاديث النبوية

وأما أحاديث سيدنا ونبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.. فكثيرة جداً لا تحصرها المصنفات الكبيرة ، وهي مذكورة في مظانها في كتب الحديث وكتب الفقه وسائر المصنفات في العلوم الدينية لا يكاد يخلو منها كتاب ، وإنما أردنا أن نذكر بعضاً من أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم بقصد التبرك ، وإشارة إلىٰ فضل العلم ، وإلىٰ فضل العلماء الذين أرادوا بعلمهم اللهَ عز وجل والدارَ الآخرة ، وأولـٰئك هم العلماء حقيقة ، وهم ورثة الأنبياء ، وخلفاء الله في أرضه العلماء العاملون المخلصون لله سبحانه وتعالىٰ ؛ لم يطلبوا العلم للدنيا ولا لرئاسة ولا جاه ولا فخر ، ولا غير ذلك من الأمور الدنيوية ، بل طلبوا العلم النافع وعملوا به ابتغاء وجه الله تعالىٰ والدار الآخرة ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه .

فعليك أيها الأخ الصادق الراغب أن تكون منهم ، وأن تكون ممن صدق عزمه وحَسُنت نيته في أن يكون علىٰ طريقتهم وعلىٰ نهجهم ، صادقاً في نيته ، مخلصاً لربه عز وجل ، عاملاً بعلمه ، مرشداً للجاهل ، ناصحاً للناس باللطف واللين والحكمة والموعظة الحسنة ، داعياً الناس إلىٰ طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ذا خشيةٍ وخضوع وذل وانكسار لله سبحانه وتعالىٰ ، متواضعاً متأدباً زاهداً ، ذا جدٍّ واجتهاد في طلب العلوم النافعة التي تقربك إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، وتوصلك

إلى المراتب العلية والمقامات الجليلة ، والدرجات العلىٰ في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحَسُنَ أولـٰئك رفيقاً ، جعلنا الله وإياك منهم ومعهم ، ورزقنا الإنابة إليه ، والإخلاص له في الأعمال ، والصدق وحُسْن الوُجهة فيما يقربنا إليه زُلفىٰ بفضله وكرمه ومنّه ؛ إنه أرحم الراحمين ، آمين .

وحيث أنه قد رُوِيَ : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً من سنتي . . أدخلته يوم القيامة في شفاعتي » رواه ابن النجار عن أبي سعيد ، ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » وأشار إلىٰ صحته ، كما روي نحوه من طرق أخرىٰ .

لهـٰذا : أحببت أن أجمعَ ما لا يقل عن أربعين حديثاً إن شاء الله ، وأرجو الله تعالىٰ أن ييسر ذلك بعونه وتوفيقه ، ويرزقنا شفاعة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ويحشرنا في زمرته وتحت لوائه ، ويوردنا حوضه الشريف ، ويسقينا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً ، ويدخلنا معه الجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر بفضله ومنّه وكرمه ؛ إنه أرحم الراحمين ، آمين .

١ـ روى الإمام مسلم وأبو داوود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً . . سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ؛ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم . . إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

٢ـ وروىٰ أبو داوود والترمذي ـ واللفظ له ـ عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً . . سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لِطالب العلم ، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذ به . . أخذ بحظ وافر » .

٣ـ وعن معاوية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من يرد الله به خيراً . . يفقهه في الدين » متفق عليه .

٤ـ وروى الترمذي والضياء المقدسي عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من خرج في طلب العِلم . . فهو في سبيل الله حتىٰ يرجع » .

٥ـ وروى البخاري عن أبي موسىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير ؛ أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت كلأ ؛ فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله ونَفَعَهُ ما بعثني الله تعالىٰ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به » .

٦ـ وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فقيهٌ أَشَدُّ على الشيطان من ألف عابد » ، وذكره في « المتجر

الرابح » عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال : رواه الترمذي وابن ماجه .

٧ـ وروى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال : ذُكِرَ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان ؛ أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلي علىٰ أدناكم » ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليصلون علىٰ معلم الناس الخير » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

٨ـ وروى ابن ماجه عن عثمان : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » .

٩ـ وروىٰ أبو داوود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « العلم ثلاثة ، وما سوىٰ ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » .

١٠ـ وروى البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أنه كان إذا تكلم بكلمة . . أعادها ثلاثاً حتىٰ تُفْهَمَ عنه ، وإذا أتىٰ علىٰ قوم فسَلَّم . . سَلَّمَ عليهم ثلاثاً) .

١١ـ وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتىٰ إذا لم يبق عالماً . . اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا » .

١٢ـ وروى الشيخان والترمذي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ

هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

١٣ـ وروى الترمذي وأبو داوود عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نَضَّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع ؛ فرُبَّ مُبلَّغ أوعىٰ من سامع » .

١٤ـ وفي رواية : « نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتىٰ يبلغه ؛ فرُبَّ حامل فِقْهٍ إلىٰ من هو أفقه منه ، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه » رواه الترمذي عن زيد بن ثابت .

١٥ـ وعن أبي مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من دلَّ علىٰ خير . . فله مثل أجر فاعله » رواه البخاري ومسلم .

١٦ـ وروىٰ مسلم وأبو داوود والترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من دعا إلى الهدىٰ . . كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلىٰ ضلالة . . كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

١٧ـ وعن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليبلغ الشاهد الغائب ؛ فإن الشاهد عسىٰ أن يبلغ من هو أوعىٰ منه » متفق عليه .

١٨ـ وروى البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً . . فليتبوأ مقعده من النار » .

١٩ـ وروى البخاري عن علي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم قال : « لا تكذبوا عليَّ ؛ فإنه من كذب علي . . فليتبوأ مقعده من النار » .

٢٠ـ وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من يقل عليَّ ما لم أقل . . فليتبوأ مقعده من النار » .

٢١ـ وروى ابن عساكر عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضاً بما يطلب » ، قال في « الجامع الصغير » : حديث حسن .

٢٢ـ وعن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم » رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس ، ورواه الطبراني في « الصغير » والخطيب عن الحسين بن علي رضي الله عنهما ، والطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس .

٢٣ـ وروى ابن عبد البر في (العلم) عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر » ، قال في « الجامع الصغير » : صحيح .

٢٤ـ وروى البيهقي في « شعب الإيمان » وابن عبد البر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ، والله يحب إغاثة اللهفان » ، قال في « الجامع الصغير » : صحيح .

٢٥ـ وروى البخاري عن أبي هريرة قال : (إن الناس يقولون : أكثر

أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله . . ما حدثت حديثاً) ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩ـ ١٦٠] .

ثم قال : (إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِشِبَعِ بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون) .

٢٦ـ وروى البخاري عن أبي هريرة قال : (قلت : يا رسول الله ؛ إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ابسط رداءك » ، فبسطته ، فغرف بيده ثم قال : « ضمه » ، فضممته فما نسيت شيئاً بعد) .

٢٧ـ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا مات ابن آدم . . انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي .

٢٨ـ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً عَلَّمَهُ ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً وَرَّثَه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » رواه ابن ماجه والبيهقي وابن خزيمة .

٢٩ـ روىٰ أبو داوود وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وآله وسلم قال : « من تعلم علماً مما يبتغىٰ به وجه الله ؛ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا . . لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة » .

٣٠ـ وروى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من تعلم علماً لغير الله ، أو أراد به غير الله . . فليتبوأ مقعده من النار » .

٣١ـ عن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من طلب العلم ليجاري به العلماء ، أو ليماري به السفهاء ، أو يصرف وجوه الناس إليه . . أدخله الله النار » رواه الترمذي .

٣٢ـ عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي كرم الله وجهه : هل عندكم كتاب ؟ قال : (لا ، إلا كتاب الله ، أو فهماً أعطيه رجل مسلم ، أو ما في الصحيفة ، قلت : وما هٰذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر) رواه الشيخان والترمذي .

٣٣ـ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ـ عام فتح مكة الحديث الطويل ـ : « اكتبوا لأبي شاه » رواه الشيخان والترمذي .

٣٤ـ وعن أبي هريرة قال : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد أكثر حديثاً مني ؛ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب) رواه البخاري والترمذي .

٣٥ـ عن عبد الله بن عمرو قال : (كنت أكتب كل شيء أسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء تسمعه ؛ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في

الغضب والرضا ؟! فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه فقال : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ؛ ما يخرج منه إلا حق ») رواه أبو داوود .

٣٦ـ عن سهل جن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والله ؛ لأن يهدي الله بهداك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » رواه البخاري ومسلم وأبو داوود .

٣٧ـ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من سئل عن علم فكتمه . . ألجمه الله بلجام من نار» رواه أبو داوود والترمذي.

٣٨ـ عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اغْدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامس فتَهلَك » رواه البزار والطبراني في « الأوسط » ، وقال في « الجامع الصغير » : حديث حسن .

٣٩ـ وذكر الحافظ شرف الدين الدمياطي في كتابه « المتجر الرابح » قال : وخرج الحافظ أبو نعيم في كتاب « رياضة المتعلمين » بإسناده عن سَمُرَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء » ، زاد غير أبي نعيم : « فيرجح مداد العلماء علىٰ دم الشهداء » ، وقد رُوِيَ هـٰذا عن الحسن البصري من قوله ، وهو أشبه .

٤٠ـ خرج ابن ماجه من طريق علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « عليكم بهـٰذا العلم قبل أن يقبض ؛ وقبضه أن يرفع » وجمع بين أصبعيه الوسطىٰ والتي تلي الإبهام هـٰكذا ، ثم قال : « العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير

في سائر الناس » يعني : باقي الناس بعد العالم والمتعلم .

٤١ـ وخرج الطبراني بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « علماء هٰذه الأمة رجلان : رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً ؛ فذلك تستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير في جوّ السماء ، ورجل آتاه الله علماً فَبَخِلَ به عن عباد الله وأخذ عليه طمعاً وشرىٰ به ثمناً ؛ فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار ، وينادي مناد : هٰذا الذي آتاه الله علماً فَبَخِلَ به عن عباد الله ، وأخذ عليه طمعاً ، وشرىٰ به ثمناً ، وكذلك حتىٰ يفرغ من الحساب » .

٤٢ـ وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « الدنيا ملعونة ؛ ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً أو متعلماً » رواه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن .

٤٣ـ وخرج الإمام أحمد بإسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم . . أوشك أن تضل الهداة » .

٤٤ـ وخرج الطبراني بإسناده عن أبي موسىٰ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يبعث الله العباد يوم القيامة ، ثم يميز العلماء فيقول : يا معشر العلماء ؛ إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم » .

قال في « المتجر الرابح » بعد إيراده هٰذا الحديث : قلت : وهٰذا الحديث وأشباهه إنما هو في حق العالم العامل المبتغي بعلمه وجه الله

تعالىٰ ، وأما العالم غير العامل . . فإنه من أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

وكذا العالم الذي لم يبتغ بعلمه وجهَ الله عز وجل لا يشم رائحة الجنة ، وهو أحد الثلاثة الذين تُسَعَّر بهم النار قبل الخلائق ، وقد جاء في ذلك جمل من الأحاديث الصحيحة ليس هٰذا الكتاب محلها .

وقد سأل فرقد السبخي الحسن البصري عن شيء فأجابه فقال : إن الفقهاء يخالفونك ، فقال الحسن : ثكلتك أمك يا فُرِيقِدْ! وهل رأيت فقيهاً بعينك ؟! إنما الفقيه : الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم علىٰ عبادة ربه ، الورع ، الكاف عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم ، والله الموفق ولا رب غيره .

٤٥ـ وخرج الأصبهاني بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فضل العالم على العابد سبعون درجة ؛ بين كل درجتين حُضْر الفرس سبعين عاماً » ، **حُضْرُ الفرس** : عَدْوُهُ .

٤٦ـ وخرج الدارقطني والبيهقي بإسنادهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء عماد ، وعماد هٰذا الدين الفقه »[١] .

قلت[٢] : وهٰذا اللفظ إنما هو محفوظ من قول الزهري .

---

(١) بلغ عدد الأحاديث إلى هنا (٤٦)، وفيه أحاديث أخرى ستأتي فيما بعد ، نرجو الله القبول والتوفيق ، وأن ينفعنا بما علمنا ، ويجعله حجة لنا لا حجة علينا ، وله الحمد والشكر .

(٢) من « المتجر الرابح » .

فصل

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم.. ثُلِمَ في الإسلام ثُلمة لا يسدها إلا خَلَفٌ منه) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (عليكم بالعلم ، فوالذي نفسي بيده ؛ لَيَودَّنَ رجال قُتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء ؛ لما يرون من كرامتهم ـ يعني : العلماء ـ وإن أحداً لم يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم) .

وقال أبو الأسود : ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك .

وسئل عبد الله بن المبارك : مَنِ الناس ؟ قال : العلماء ، قيل : فمَنِ الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل : فمَنِ السفهاء ؟ قال : الذي يأكل الدنيا بدينه .

وخرج الحافظ أبو عمر بن عبد البر في (كتاب العلم) بإسناده من حديث[1] معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعلموا العلم ؛ فإن تعلمه للهِ خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ،

(١) هذا الحديث ذكره أبو نعيم في « حلية الأولياء » بإسناده إلى معاذ ، وقال الغزالي في « الإحياء » : وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ، ورأيته أيضاً مرفوعاً ، قال الحافظ العراقي : حديث معاذ رواه أبو الشيخ بن حبان في (كتاب الثواب) ، وابن عبد البر وقال : ليس له إسناد قوي ، وما ذكر أعلاه من كتاب « المتجر الرابح » .

وبذله لأهله قربة ؛ لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سُبُلِ أهل الجنة ، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمُحدِّث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة ؛ تقتص آثارهم ، ويقتدىٰ بفعالهم ، وينتهىٰ إلىٰ رأيهم ، وترغبُ الملائكة في خُلَّتِهِمْ ، وبأجنحتها تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ؛ لأنَّ العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظُّلَم ، يبلغ العبدُ بالعلم منازلَ الأخيار والدرجات العُلىٰ في الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به تُوصَلُ الأرحام ، وبه يُعَرفُ الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل والعمل تابع ، يُلْهَمُهُ السعداء ويحرمه الأشقياء » ، قال أبو عمر رحمه الله : هو حديث حسن .

قلت : ولعله أراد : الحسن اللفظي لا الحسن المصطلح من أهل الشأن ، والله أعلم .

عن صفوان بن عَسَّال المرادي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد مُتَّكِ علىٰ برد له أحمر فقلت : يا رسول الله ؛ إني جئت أطلب العلم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مرحباً بطالب العلم ؛ إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتىٰ يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » رواه أحمد والطبراني وابن حبان وابن ماجه إلا أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من خارج من بيته في طلب العلم . . إلا وضَعَتْ له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع » .

وعن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من غَدَا يريد العلم يتعلمه للهِ . . فتح الله له باباً إلى الجنة ، وفرشَتْ له الملائكة أكتافها ، وصلَّت عليه الملائكة وملائكة السماوات وحيتان البحر ، وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر علىٰ أصغر كوكب في السماء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، ألا إن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم وَرَّثوا العلمَ ، فمن أخذه . . أخذ بحظه ، وموت العالم مصيبة لا تُجبر ، وثُلمة لا تُسد ، وهو نجمٌ طُمس ، موت قبيلةٍ أيسر من موت عالم » رواه أبو داوود وابن حبان والبيهقي ، وهـٰذا لفظه .

وخرج أبو نعيم في « رياضة المتعلمين » من طريق الحسن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من رجل تعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله عز وجل ؛ فيتعلمهن ويُعَلِّمهن . . إلا دخل الجنة » ، قال أبو هريرة : (فما نسيت حديثاً بعد إذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله ؛ خير لك من أن تصلي مئة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عُمِلَ به أو لم يعمل به ؛ خير من أن تصلي ألف ركعة » رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، وقد روي موقوفاً عليه ، ورواه الحاكم في « تاريخه » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا مررتم برياض الجنة . . فارتعوا » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس العلم » رواه الطبراني ، وفي إسناده راوٍ لم يسم ، وفي رواية الترمذي : « حلق الذكر » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها . . فهو أحق بها » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وعن قبيصة بن مُخارق قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي : « يا قبيصة ؛ ما جاء بك ؟ » فقلت : كَبُرَتْ سني ورَقَّ عظمي فأتيتك لتعلمني ما ينفعني ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يا قبيصة ؛ ما مررتَ بحجر ولا مدر ولا شجر إلا استغفر لك » رواه أحمد ، وفي إسناده راو لم يسم .

وخرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من غَدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه . . كان له كأجرِ حاجٍّ تاماً حجته » .

وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من جاء مسجدي هـٰذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه . . فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاء لغير ذلك . . فهو بمنزلة الرجل ينظر إلىٰ متاع غيره » .

وخرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما انتعلَ عبدٌ قط ولا تخفَّفَ ولا لبس ثوباً في طلب علم . . إلا غُفِرَتْ له ذنوبه حيث يخطو عتبة داره » ، قوله : (تخفف) : لبس خفه .

وخرج الطبراني بإسناده عن واثلة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من طلب علماً فأدركه . . كتب الله له كفلين من الأجر ، ومن

طلب علماً فلم يدركه . . كتب الله له كفلاً من الأجر » ، الكفل : النصيب .

وخرج أيضاً بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من جاءه أجله وهو يطلب العلم . . لقيَ اللهَ ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة » .

وخرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا جاء الموت لطالب العلم وهو علىٰ هـٰذه الحالة . . مات وهو شهيد » .

فَصْلٌ

عن ابن عباس قال : (تَذَاكُرُ العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها) ، وعن أبي الدرداء قال : (لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة) ، وعنه قال : (من رأىٰ أن الغدو في طلب العلم ليس بجهاد . . فقد نقص في رأيه وعقله) ، وقال الإمام الشافعي : طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة .

وعن أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خير ما يُخَلِّفُ الرجلُ من بعده ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجري يبلغه أجرها ، وعلم يعمل به من بعده » .

وخرج الطبراني بإسناده عن سَمُرَة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما تصدق الناس بصدقة مثل عِلمٍ يُنشر » .

وعن أبي الرُّدين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من قوم يجتمعون علىٰ كتاب الله يتعاطونه بينهم . . إلا كانوا أضيافاً لله

تعالىٰ ، وإلا حفتهم الملائكة حتىٰ يقوموا أو يخوضوا في حديث غيره ، وما من عالم يخرج في طلب علم ؛ مخافة أن يموت ، أو انتساخه[1] ؛ مخافة أن يندرس . . إلا كان كالفارس الرائح في سبيل الله ، ومن يُبْطِىءُ به عمله . . لم يسرع به نسبه » رواه الطبراني ، وفي إسناده إسماعيل بن عياش .

وعن عبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل قال : قلت لأبي : أتهجد بالليل أو أكتب العلم ؟ فقال : اكتب العلم .

قلت : وإنما قال له ذلك ؛ لأن كتابة العلم يتعدىٰ نفعها إلىٰ غيره فله أجره وأجر من انتفع بذلك في حياته وبعد موته أبداً ، وأما التهجد . . فليس له إلا أجره فقط ، والله أعلم .

انتهىٰ ما أردنا نقله من كتاب « المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح » تأليف الحافظ أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله تعالىٰ (٦٣١ ـ ٧٠٥هـ) .

وروى الديلمي في « مسند الفردوس » عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر » ، ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » .

وروىٰ أبو داوود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من سُئِلَ عن علم فكتمه . . ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

---

(١) انتساخه : كتابته ونسخه للأحاديث وغيرها ، وهنيئاً للناسخ يكرر الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى الطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مثل الذي يعلم الناس الخير وينسىٰ نفسه : مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها » .

وأخرج ابن الجوزي في العلل عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء » .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « العلم علمان : فعلم في القلب ؛ فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان ؛ فذاك حجة الله على ابن آدم » رواه ابن أبي شيبة والحكيم عن الحسن مرسلاً ، ورواه الخطيب عن جابر .

وأخرج ابن عبد البر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « العلم خير من العبادة ، ومَلاَك الدين الورع » .

وروى الإمام أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « علموا ويسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وإذا غضب أحدكم . . فليسكت » .

وروى البيهقي وابن ماجه عن جابر : (سلوا الله علماً نافعاً ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع) .

اللهم ؛ نسألك علماً نافعاً ونعوذ بك من علم لا ينفع
يا أرحم الراحمين



رواية الحديث وكتابته

وفي « صحيح » الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري[1] رحمه الله تعالى الأحاديث الكثيرة في فضل العلم وتعليمه ونشره ، وما يتعلق بذلك ، وقد ذكر كثيراً من الآثار وأقوال الصحابة والتابعين ؛ كما نَوَّهَ في تراجم كتابه « الصحيح » ، وذكر فوائد كثيرة .

فمنها : قوله : (باب من سُئِلَ علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل) ، وقوله : (باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا) ، وقال لنا الحميدي : كان عند ابن عيينة (حدثنا) و(أخبرنا) و(أنبأنا) و(سمعت) واحداً .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : حدثنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق .

وقال شقيق : عن عبد الله[2] : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلمة .

وقال حذيفة : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثين .

وقال أبو العالية : عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروي عن ربه .

---

(١) نقلت هذه الأبواب والآثار من «صحيح البخاري» لما تحتوي عليه من فوائد عظيمة .

(٢) إذا أطلق عبد الله في الصحابة . . فهو ابن مسعود ، وكذلك ابن أم عبد رضي الله عنه .

وقال أنس : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرويه عن ربه عز وجل .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرويه عن ربكم عز وجل .

ثم قال البخاري أيضاً : (باب : طرح الإمام المسألة علىٰ أصحابه ؛ ليختبر ما عندهم من العلم) ، ثم قال : (باب : ما جاء في العلم ، وقول الله تعالىٰ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]) .

القراءة والعرض على المحدث .

ورأى الحسن والثوري ومالك القراءة جائزة ؛ واحتج بعضهم في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : آالله أمرك أن نصلي الصلوات ؟ قال : « نعم » ، قال : فهـٰذه قراءة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه ، واحتج مالك بالصك يقرأ على القوم فيقولون : أشهدنا فلان يقرأ ذلك قراءة عليهم ، ويقرأ على المقرىء فيقول القارىء : أَقْرَأني فلان .

وعن الحسن قال : لا بأس بالقراءة على العالم ، وعن سفيان قال : إذا قُرِىءَ على المحدث . . فلا بأس أن يقول : حدثني ، قال : وسمعت أبا عاصم يقول : عن مالك وسفيان : القراءة على العالم وقراءته سواء .

ثم قال البخاري : (باب : ما يذكر في المناولَة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان) .

وقال أنس : (نَسَخَ عثمان المصاحف فبعث بها إلى الآفاق) .

ورأىٰ عبد الله بن عمر ويحيى بن سعيد ومالك ذلك جائزاً ، واحتج بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كتب لأمير السرية كتاباً وقال : « لا تقرأه حتىٰ تبلغ مكان كذا وكذا » ، فلما بلغ ذلك المكان . . قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن حجر في « فتح الباري » (١/ ١٥٥) : (أمير السرية عبد الله بن جحش ، وكان تأميره على السرية في السنة الثانية قبل وقعة بدر ، وفي رواية عروة : « إذا سِرتَ يومين . . فافتح الكتاب » ، قال : ففتحته هناك ؛ فإذا فيه : أن امْضِ حتىٰ تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش ولا تستكرهنَّ أحداً ، فرجع اثنان ومضى الباقون ، وكان معه اثنا عشر رجلاً من المهاجرين ، فلقوا عمرو بن الحضرمي ومعه عير ـ تجارة لقريش ـ فقتلوه ، فكان أول مقتول من الكفار في الإسلام ؛ وذلك أول يوم من رجب ، وغنموا ما كان معهم ، فكانت أول غنيمة في الإسلام) انتهىٰ من « فتح الباري » .

ثم قال البخاري في « صحيحه » : (باب العلم قبل القول والعمل) لقول الله تعالىٰ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم ، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء وَرَّثوا العلم ، من أخذه . . أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقاً يطلب فيه علماً . . سهل الله له طريقاً إلى الجنة[١] .

وقال جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]

---

(١) قال في « الفتح » : (حديث أبي هريرة : « من التمس طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة ») . صححه مسلم .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] ، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من يرد الله به خيراً . . يفهمه ـ وفي رواية : « يفقهه » ـ في الدين ، وإنما العلم بالتعلم » .

وقال أبو ذر : (لو وضعتم الصمصامة علىٰ هـٰذه ـ وأشار إلىٰ قفاه ـ ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن تجيزوا علي . . لأنفذتها) .

وقال ابن عباس : (كونوا ربانيين حكماء فقهاء) .

ويقال : **الرباني** : الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره . انتهىٰ من « البخاري » .

قال ابن حجر في « فتح الباري » (ص١٦١/١) : **الصمصامة** : السيف الصارم .

وحديث : « العلماء ورثة الأنبياء » أخرجه أبو داوود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء : « وإنما العلم بالتعلم » . . هو حديث مرفوع أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضاً بلفظ : « يا أيها الناس ؛ تعلموا إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيراً . . يفقهه في الدين » إسناده حسن إلا أن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر ، وروى البزار نحوه من حديث ابن مسعود موقوفاً رواه أبو نعيم الأصبهاني مرفوعاً ، وفي الباب عن أبي الدرداء وغيره .

وقال ابن عباس : (كونوا ربانيين) ، هٰذا التعليق وصله ابن أبي عاصم أيضاً بإسناد حسن ، والخطيب بإسناد آخر حسن .

وقد فسر ابن عباس الرباني بأنه الحكيم الفقيه ، ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبراهيم الحربي في « غريبه » عنه بإسناد صحيح .

وقال ثعلب : قيل للعلماء : ربانيون ؛ لأنهم يربون العلم ؛ أي : يقومون به .

ثم قال ابن حجر (١/ ١٦٥) : حديث : « من يرد الله به خيراً . . يفقهه في الدين » : نكّر (خيراً) لِيُشملَ القليل والكثير .

ومفهوم الحديث : أن من لم يَفْقَه في الدين ـ أي : يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع ـ . فقد حُرِمَ الخير .

وقد أخرج أبو يعلىٰ حديث معاوية من وجه آخر ضعيف ، وزاد في آخره : « ومن لم يتفقه في الدين . . لم يبال الله به » ، والمعنىٰ صحيح ؛ لأن من لم يعرف أمور دينه . . لا يكون فقيهاً ولا طالب فقه ، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير ، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء علىٰ سائر الناس ، ولفضل التفقه في الدين علىٰ سائر العلوم . اهـ « فتح الباري » (١/ ١٦٥) .

ثم قال في « البخاري » : (باب الاغتباط في العلم والحكمة) .

وقال عمر رضي الله عنه : (تفقهوا قبل أن تسودوا) ، قال أبو عبد الله : (وبعد أن تسودوا) ، وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كِبَرِ سنهم .

قال في « الفتح » : أما أثر عمر رضي الله عنه . . فأخرجه ابن

أبي شيبة وغيره من طريق محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس قال عمر : (. . .) فذكره ، وإسناده صحيح .

قال الشافعي رحمه الله : إذا تصدر الحَدَثُ . . فاتَهُ علمٌ كثير ، وقد فسره أبو عبيد في كتابه « غريب الحديث » فقال : معناه : تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالاً ، وفسره شمر اللغوي بالتزوج ؛ فإنه إذا تزوج . . صار سيد أهله ولا سيما إن ولد له . انتهىٰ .

الرحلة لطلب العلم

ثم قال البخاري : (باب الخروج في طلب العلم) ، ورحل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إلىٰ عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه في حديث واحد[١] .

ثم قال البخاري : قال ربيعة : لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يَضَعَ نفسه .

قال في « الفتح » (١/ ١٧٤) : وقد أخرج مسلم حديث أبي هريرة رفعه : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً . . سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » .

والحديث الذي رحل له جابر أخرجه المصنف في « الأدب المفرد » وأحمد وأبو يعلىٰ في « مسنديهما » من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل : أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : بلغني عن رجل

---

(١) رحل جابر من المدينة إلى الشام لطلب حديث ومعه عشرة من الصحابة .

حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاشتريت بعيراً ثم شددت رحلي فسرت إليه شهراً حتىٰ قدمتُ الشام ؛ فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب ، فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم ؛ فخرج فاعتنقني ، فقلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت أن أموت قبل أن أسمعه ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يحشر اللهُ الناسَ يوم القيامة عراة. . . » فذكر الحديث ، وله طريق أخرىٰ أخرجها الطبراني في « مسند الشاميين » وتَمَّام في « فوائده » .

ثم قال : ورویٰ أبو داوود من طريق عبد الله بن بريدة : أن رجلاً من الصحابة رحل إلىٰ فضالة بن عبيد وهو بمصر في حديث ، وروى الخطيب عن عبيد الله بن عدي قال : بلغني حديث عند علي رضي الله عنه ، فخفت إن مات ألا أجده عند غيره ، فرحلت حتىٰ قدمت عليه العراق ، وتَتَبُّعُ ذلك كثير ، وسيأتي قول الشعبي في مسألة (إن كان الرجل ليرحل فيما دونها إلى المدينة) .

وروىٰ مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد ؛ وفي حديث جابر دليل علىٰ طلب علو الإسناد ، ولأنه بلغه الحديث عن عبد الله بن أنيس فلم يقنعه حتىٰ رحل فأخذه عنه بلا واسطة ، وسيأتي في كتاب « فضائل القرآن » عن ابن مسعود قوله : (لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني. . لرحلت إليه) .

وأخرج الخطيب عن ابن العالية قال : (كنا نسمع عن أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا نرضىٰ حتىٰ خرجنا إليهم فسمعنا منهم) .

وقيل لأحمد ابن حنبل : رجل يطلب العلم يلزم رجلاً عنده علم كثير أو يرحلُ ؟ قال : يرحلُ يكتبُ عن علماء الأمصار فَيُشافِهُ الناسَ ويتعلمُ منهم ، وفيه ما كان عليه الصحابة من الحرص علىٰ تحصيل السنن النبوية . انتهىٰ من « فتح الباري » (١/ ١٧٥) .

وحديث ابن عباس أنه تمارىٰ هو والحُر ابن قيس في صاحب موسىٰ عليهما السلام قال في « الفتح » : فيه فضل الازدياد من العلم ولو مع المشقة والنصب بالسفر وخضوع الكبير لمن يتعلم منه .

ثم قال البخاري في « صحيحه » : (باب : كيف يقبض العلم) .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أبي بكر بن حزم : أُنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتبه ؛ فإني خفتُ دروسَ العلمِ وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولتفشوا العلمَ ولتجلسوا حتىٰ يُعَلَّم من لا يعلم ؛ فإن العلم لا يهلك حتىٰ يكون سراً .

وذكر ابن حجر في « فتح الباري » حديثاً رواه أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة قال : لما كان في حجة الوداع . . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « خذوا العلم قبل أن يقبض أو يرفع » ، فقال أعرابي : كيف يرفع ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته ثلاث مرات » .

وقال في « الفتح » : قال ابن بطال : الإنصات للعلماء لازم

للمتعلمين ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء ، وقد قال سفيان الثوري وغيره : أول العلم الاستماع ثم الإنصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر .

وعن الأصمعي تقديم الإنصات على الاستماع ، وعن مطرف قال : الإنصات من العينين ، فقال له ابن عيينة : وما ندري كيف ذلك ؟ قال : إذا حدثت رجلاً فلم ينظر إليك . . لم يكن منصتاً . انتهىٰ ما أردنا نقله من « صحيح الإمام البخاري » ومن « شرحه فتح الباري » للعلامة ابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالىٰ .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قيدوا العلم بالكتاب »[1] رواه الحكيم وسمويه عن أنس ، والطبراني والحاكم عن ابن عمرو .

وقد ذكر الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالىٰ في آخر كتاب « الموطأ » فقال : إن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : يا بُنَيَّ ؛ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء .

كتابُ رسول الله عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم

وذكر الإمام مالك في « الموطأ » في (باب : الأمر بالوضوء لمن مسَّ القرآن) وأيضاً في (كتاب العقول) من « الموطأ » فقال : عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمرو (ألا يمس القرآن إلا طاهر) انتهىٰ .

---

(١) ورواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » بسند حسن .

قال الإمام السيوطي في كتاب « تنوير الحوالك شرح موطأ مالك » قال الباجي : هٰذا أصل في كتابة العلم وتحصينه في الكتب ، وقال ابن عبد البر : لا خلاف عند مالك في إرسال هٰذا الحديث ، وقد رُوِيَ مسنداً من وجه صالح ، وهو كتاب مشهور عند أهل السِّير ، معروف عند أهل العلم معرفة يستغنىٰ بها في شهرتها عن الإسناد ؛ لأنه أشبه التواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول .

قلت : أخرج البيهقي في « دلائل النبوة » من طريق ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : هٰذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم ، فكتب له كتاباً وعهداً ، وأمرهم فيه أمره ، فكتب[1] :

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] ، عهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] وأمره أن يأخذ الحق ، كما أمره أن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين لهم في الحق ، ويشتد عليهم في الظلم . . . ثم ذكر فيه أيضاً : ويستألف الناس حتىٰ يفقهوا في الدين ، ويُعَلِّمَ الناس معالم الحج وسننه وفرائضه .

---

(١) قوبل على الأصل « تنوير الحوالك » (١/ ٢٠٤) والحديث ، وهٰذا باختصار .

وهو كتاب عظيم جامع ، قال في آخره بعد ذكره فريضة الزكاة ـ وهي طويلة ـ : فمن أدىٰ ذلك . . فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك . . فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعاً ، صلوات الله علىٰ محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قال البيهقي : وقد روىٰ سلمان بن داوود عن الزهري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده هٰذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة . انتهىٰ من « تنوير الحوالك » للسيوطي .

وقال الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ في « صحيحه » : قال يحيى ابن أبي كثير : لا يُستطاع العلم براحة الجسم .

قال الإمام النووي في « شرح مسلم » عن القاضي عياض : سبب ذكر الإمام مسلم هٰذه المقالة : أنه أعجبه حُسنُ سياق طرق الحديث التي رواها ـ في حديث أوقات الصلوات ـ وكثرة فوائدها ، وتلخيص مقاصدها ، وما اشتملت عليه الفوائد في الأحكام ، وغيرها ؛ وذلك من اشتغاله وإتعاب جسمه في الاعتناء بتحصيل العلم . انتهىٰ .

وفي « صحيح مسلم » أيضاً : ثم قال الشعبي للخراساني : خُذْ هٰذا الحديثَ بغير شيء ؛ فقد كان الرجل يَرحَلُ فيما دون ذلك إلى المدينة ، قال النووي (ص٢/ ١٨٩) : فيه جواز قول العالم مثل هٰذا ؛ تحريضاً للسامع علىٰ حفظ ما قاله ، وفيه بيان ما كان السلف عليه من الرحلة إلى البلدان البعيدة في حديث واحد أو مسألة واحدة . انتهىٰ .

❋ ❋ ❋

كتابة (أما بعد) في الكتب والرسائل

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ في كتاب « الأدب المفرد » : عن زيد بن أسلم قال : أرسلني أبي إلى ابن عمر رضي الله عنهما ، فرأيته يكتب (بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، أما بعد) .

وعن هشام بن عروة قال : رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل ما انقضت قصة قال : « أما بعد » .

وفي « البخاري » : (باب : من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد) رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن خارجة بن زيد قال : كتب زيد بن ثابت رضي الله عنه :

بسم الله الرحمـٰن الرحيم : لِعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زيد بن ثابت : سلام الله عليك أمير المؤمنين ورحمة الله ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو ، أما بعد .

وسأل رجل الحسن عن قراءة (بسم الله الرحمـٰن الرحيم) قال : تلك صدور الرسائل .

وقال في « الأدب المفرد » أيضاً : (باب : منْ كتب آخر الكتاب السلام عليكم ورحمة الله) ، وكتب فلان ابن فلان لعشر بقين من الشهر . . وذكر رسالة زيد بن ثابت رضي الله عنه : بسم الله الرحمـٰن

الرحيم : لِعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زيد بن ثابت ، سلام الله عليك أمير المؤمنين ورحمة الله ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـه إلا هو ، أما بعد ـ ثم ذكر ـ : فإنك تسألني عن ميراث الجد والأُخْوة. . . وذكر الرسالة ، وفي آخرها قال : ونسأل الله الهدىٰ والحفظ والتثبيت في أمرنا كله ، ونعوذ بالله أن نضلَّ أو نجهلَ ، أو نتكلف ما ليس لنا بعلم ، والسلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وكتب وُهِيب لثنتي عشر بقيت من رمضان سنة اثنتين وأربعين . انتهىٰ من « الأدب المفرد » للإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ .



من كلام سيدنا علي رضي الله عنه

وذكر أبو نعيم في « الحلية » عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من زهد في الدنيا . . عَلَّمه الله تعالىٰ بلا تعلم ، وهداه بلا هداية ، وجعله بصيراً ، وكشف عنه العمىٰ » .

وقال علي رضي الله عنه : (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك) .

وقال أيضاً : (احفظوا عني خمساً ؛ فلو ركبتم الإبل في طلبهن . . لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له) .

وقال علي عليه السلام أيضاً : (ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يُقَنِّطُ الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من مكر الله ، ولا يرخص لهم في معاصي الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها) .

وقال عليه السلام : (كونوا ينابيع العلم مصابيحَ الليل ، خُلُقَ الثياب

جُدُدَ القلوب ، تُعرفوا به في السماء وتُذكروا به في الأرض) انتهىٰ من « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني .

وذكر أبو نعيم في « حلية الأولياء » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (ليس العلمُ بكثرة الرواية ، ولكن العلم الخشية) .

وقال أيضاً : (تعلموا العلم ، فإذا علمتم . . فاعملوا) .

وقال : (ويل لمن لا يعلم! ولو شاء الله . . لعلمه ، وويل لمن يعلم ثم لا يعمل) سبع مرات .

وقال : (إني لأحسب الرجل ينسى العلم ؛ كان تعلمه للخطيئة يعملها) .

ومن كلام له قال فيه : (المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة) انتهىٰ من « حلية الأولياء » .

وذكر في « حلية الأولياء » عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (من فِقْهِ الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه مع أهل العلم) .

وقال أيضاً : (مالي أرىٰ علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ؛ فإن معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في سائر الناس بعدهما) .

وقال : (تعلموا قبل أن يرفع العلم ؛ إن رفع العلم ذهابُ العلماء ، إن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، وإنما الرجلان عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك) ، اللهم ؛ اجعلنا من العلماء والمتعلمين .

وقال في « الحلية » بإسناده إلىٰ معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا ؛ فلن ينفعكم الله بالعلم حتىٰ تعملوا » .

وقال في « الحلية » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (لا يكون الرجل من العلم بمكان حتىٰ لا يحسد من فوقه ، ولا يحقر من دونه ، ولا يبتغي بالعلم ثمناً) .

روى الطبراني عن أبي رافع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

وروى البخاري والترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، وأخرجه أحمد وأبو داوود عن عثمان رضي الله عنه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (إن الله لا يرفع العلم ، إنما يهلك العلماء ، ولا يتعلم الجهال) رواه ابن عساكر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أبا هريرة ؛ علِّم الناسَ القرآنَ وتَعلَّمه ؛ فإنك إن مُتَّ وأنت كذلك . . زارت الملائكة قبرك كما يزارُ البيت العتيق ، وعَلِّم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك ، وإن أحببتَ ألاّ توقف على الصراط طرفة عين حتىٰ تدخل الجنة . . فلا تُحدِثْ في دين الله تعالىٰ حدثاً برأيك » رواه أبو نصر السجزي في « الإبانة » وقال : غريب ، ورواه الخطيب وابن النجار .

وروى الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أيما ناشيء نشأ في طلب العلم

والعبادة حتىٰ يكبر . . أعطاه الله تعالىٰ يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقاً » ذكره في « الفتح الكبير »[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله تعالىٰ . . هابه كل شيء ، وإذا أراد بعلمه الكنوز . . هاب من كل شيء » رواه ابن عساكر وابن النجار .

وروى ابن أبي شيبة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال : حدثنا من كان يُقرِئُنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات ، ولا يأخذون في العشر الأخرىٰ حتىٰ يعلموا ما في هٰذه من العلم والعمل ، فعلمنا العلم والعمل . « جامع الأحاديث » الأفعال الجزء الخامس (ص٤٣٤) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (ويل للذي يَعلَم مرة ، وويل للذي يَعلَمُ ولا يعمل سبع مرات) رواه ابن عساكر ، وقد روي نحوه عن ابن مسعود .

وروي أيضاً عنه قال : (لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين : منصت واع ، أو متكلم عالم) .

وقال أيضاً : (تعلموا العلم قبل أن يرفع ؛ فإن ذهاب العلم ذهاب العلماء) .

---

(١) « الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير » جمع الشيخ يوسف النبهاني المتوفى سنة (١٣٥٠هـ) ، مطبوع طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ثلاثة مجلدات .

وقال أيضاً : (لو نسيت آية لم أجد أحداً يُذَكِّرنِيها إلا رجلاً ببرك الغماد[1] . . رحلت إليه) .

وقال أيضاً : (لا تكون عالماً حتىٰ تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتىٰ تكون به عاملاً) رواها كلها ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

وعن الحسن بن جابر قال : (سألت أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه عن كتاب العلم فلم يَرَ به بأساً) رواه ابن عساكر .

وأخرج الحاكم في « علوم الحديث » وأبو نعيم وابن عساكر ـ بسند ضعيف « الجامع الصغير » ـ عن علي رضي الله عنه : (إذا كتبتم الحديث . . فاكتبوه بإسناده ؛ فإن يك حقاً . . كنتم شركاء في الأجر ، وإن يك باطلاً . . كان وزره عليه) .

وذكر الإمام النووي في « المجموع » قوله : روينا في « مسند الدارمي » عن علي رضي الله عنه قال : (يا حملة العلم ؛ اعملوا به ؛ فإنما العالم : من عَمِلَ بما عَلِمَ ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ؛ يخالف علمهم عملهم ، ويخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً ؛ حتىٰ أن الرجل ليغضب علىٰ جليسه أن يجلس إلىٰ غيره ، ويدعه أولـٰئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالىٰ) .

(١) برك الغِماد . قال في « لسان العرب » : بضم الغين وكسرها ، وهو موضع باليمن .

قلت : قال في « جامع الأحاديث » : رواه الدارقطني والخطيب في « الجامع » .

عن علي رضي الله عنه قال : (هَتَفَ العلم بالعمل ، فإن أجابه ؛ وإلا . . ارتحل) رواه الخطيب في كتاب « اقتضاء العلم العمل » .

وعن علي كرم الله وجهه ورضي عنه قال : (يا طالب العلم ؛ إن العلم ذو فضائل كثيرة ؛ فرأسُهُ التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الأشياء والأمور الواجبة ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقره النجاة ، وقائده العافية ، ومركبه الوقار ، وسلاحه لين الكلمة ، وسيفه الرضا ، وفرسه المداراة ، وجيشه محاوَرَة العلماء ، وماله الأدب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، ومأواه الموادعة ، ودليله الهدىٰ ، ورفيقه صحبة الأخيار) رواه الخطيب في « الجامع » .

وعن علي رضي الله عنه قال : (من حق العالم عليك : أن تُسلمَ على القوم عامة وتخصه دونهم بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشيرن عنده بيدك ، ولا تغمزن بعينك ، ولا تقولن : قال فلان خلافاً لقوله ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تُسَارَّ في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه إذا مَلَّ ، ولا تعرض من طول صحبته ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متىٰ يسقط عليك منها شيء ؛ فإن المؤمن العالم لأعظمُ أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله تعالىٰ ، فإذا مات العالم . . انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلىٰ يوم القيامة) رواه الخطيب في « الجامع » .

وقال علي كرم الله وجهه : (نوم علىٰ علم خير من اجتهاد علىٰ جهل) رواه آدم ابن أبي إياس في « العلم » .

وقال علي رضي الله عنه : (تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ؛ فإنه سيأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو فيه إلا كل نُوَمَة مُنْبِت ، إنما أولـئك أئمة الهدىٰ ومصابيح العلم ، ليسوا بالعُجُلِّ المذاييع البَذُر) رواه أحمد في « الزهد » وأبو عبيد والدينوري في « الغريب » وابن عساكر .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ ما ينفي عني حجة الجهل ؟ قال : « العلم » ، قال : فما ينفي عني حجة العلم ؟ قال : « العمل » رواه الخطيب في « الجامع » .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها . . بعثه الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً »[1] رواه الجوزقي وأبو الفتح الصابوني والصدر البكري في « الأربعين » .

وعن علي رضي الله عنه قال : (إذا قرأتَ على العالم . . فلا بأس أن ترويه عنه) رواه المرهبي .

وفي لفظ عنه رضي الله عنه : (قراءتك على العالم وقراءته عليك سواء) رواه الدينوري والديلمي .

---

(١) وفي لفظ : « من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً . . بُعِثَ يوم القيامة فقيهاً » ، وروى ابن النجار عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً من سنتي . . أدخلته يوم القيامة في شفاعتي » ، قال في « الجامع الصغير » : حديث صحيح .

وقال رضي الله عنه : (وأبردها على الكبد إذا سئلتُ عما لا أعلم أن أقول : الله أعلم) رواه الدارمي وابن عساكر .

وعن علي رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اللهم ؛ ارحم خلفائي » ثلاث مرات ، قيل : يا رسول الله ؛ ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يأتون بعدي ويروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس »[1] رواه الطبراني في « الأوسط » والرامهرمزي والخطيب .

وقال علي كرم الله وجهه : (تعلموا العلم ، فإذا علمتوه . . فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك وباطل فتمجه القلوب) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في « زوائد المسند » والخطيب في « الجامع » .

وقال علي رضي الله عنه : (اكتبوا هـٰذا العلم ؛ فإنكم تنتفعون به إما في دنياكم وإما في آخرتكم ، وإن العِلمَ لا يُضيِّع صاحبه) رواه الديلمي .

وقال رضي الله عنه : (مروا أولادكم بطلب العلم) رواه ابن عمشليق في « جزئه » .

وعنه قال : (لا تنظر إلىٰ من قال ، وانظر إلىٰ ما قال) رواه ابن السمعاني في « الدلائل » .

وقال رضي الله عنه : (ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم) رواه الخطيب .

---

(١) اللهم ؛ اجعلنا منهم ، وانفعنا بما علمتنا ، وارزقنا العمل خالصاً لوجهك الكريم .

وذكر أبو نعيم في « الحلية » عن علي الرضا بسنده عن آبائه ، عن علي رضي الله عنهم : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « العلم خزائن ، ومفاتيحها السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله ؛ فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل ، والمعلم ، والمستمع لهم ، والمحب لهم » .

ومن حديث طويل عن سيدنا علي كرم الله وجهه وقد سأل ابنه الحسن رضي الله عنه عن أشياء من المروة فأجابه الحسن. . . والحديث طويل ، ثم قال علي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ينبغي للعاقل إذا كان عاقلاً أن يكون له من النهار أربع ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربه جل جلاله ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يأتي فيها أهل العلم ، وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذاتها من أمر الدنيا فيما يحل ويجمل ، وينبغي ألاَّ يكون شاخصاً إلا في ثلاث : مَرَمَّةٌ لمعاش[1] ، أو خلوة لمعاد ، أو لذة في غير محرم ، وينبغي للعاقل أن يكون في شأنه ؛ فيحفظ فرجه ولسانه ويعرف أهل زمانه ، والعلم خليل الرجل ، والعقل دليله ، والحلم وزيره ، والعمل قرينه ، والصبر أمير جنوده ، والرفق والده ، واليسر أخوه. . . »[2] الحديث رواه الصابوني في « المئتين » والطبراني وابن عساكر ، ذكره في « جامع الأحاديث المسانيد » رقم (٨٦١٩ ص٣٧٨) الجزء الرابع مسانيد ، وهو حديث طويل .

---

(١) مرمة المعاش : إصلاح أموره ، والرَّم : إصلاح الشيء إذا فسد بعضه ، والرِّمَة : الحبال البالية . اهـ « لسان العرب » .

(٢) وروى الحكيم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « عليك بالعلم ؛ فإن العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قيمه ، والرفق أبوه ، واللين أخوه ، والصبر أمير جنوده » .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ضالة المؤمن العلم ، كلما قيد حديثاً طلب إليه آخر » رواه الديلمي في « مسند الفردوس » .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لبنيه وبني أخيه : (إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين ، فتعلموا العلم ، فمن لم يحسن منكم أن يؤديه أو يحفظه . . فليكتبه وليضعه في بيته) رواه البيهقي في « المدخل » وابن عساكر .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لو أن أهل العلم صانوه ووضعوه عند أهله . . لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد ـ الآخرة ـ . . كفاه الله سائر الهموم ، ومن شعبته الهموم أحوال الدنيا . . لم يبال الله في أي أوديتها هلك » رواه ابن عساكر .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن علمائهم وكبرائهم وذوي أنسابهم ، فإذا أتاهم العلم عن صغارهم وسفلهم . . فقد هلكوا) رواه ابن عساكر .

وروى الديلمي عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ينبغي للعالم أن يكون قليل الضحك كثير البكاء ، لا يمازح ولا يصاخب ، ولا يماري ولا يجادل ، إن تكلم . . تكلم بحق ، وإن صمت . . صمت على الباطل ، إن دخل . . دخل برفق ، وإن خرج . . خرج بحلم » .

وروى ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إن هٰذا العلم يزيد الشريف شرفاً ، ويجلس المملوك على الأسرة) .

وروى ابن زنجويه عن علي الأزدي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن الجهاد فقال : (ألا أدلك علىٰ ما هو خير لك من الجهاد ؟! تجيء مسجداً فتتعلم فيه القرآن والفقه في الدين) أو قال : (السنة) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قَلبٌ ليس فيه شيء من الحكمة . . كبيت خرب ، فتعلموا وعلموا ، وتفقهوا ولا تموتوا جُهالاً ؛ فإن الله لا يعذر على الجهل » رواه ابن السني والبزار وأبو داوود الطيالسي .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس : (العلم حياة الإسلام وعماد الإيمان ، ومن عَلَّم علماً . . أتم الله له أجره ، ومن تعلَّم فَعَمِلَ علَّمه الله تعالىٰ ما لم يعلم) .

وأخرج الإمام أحمد في « المسند » والحاكم عن أبي موسى الغافقي وابن الضريس عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « عليكم بكتاب الله تعالىٰ ، وسترجعون إلىٰ قوم يحبون الحديث عني ، ومن قال عليَّ ما لم أقل . . فليتبوأ مقعده من النار ، فمن حفظ شيئاً . . فليحدِّث به » .

وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كل حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة ، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة » .

وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « خيار أمتي علماؤها ، وخيار علمائِها رحماؤها ، ألا وإن الله تعالىٰ ليغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً ، ألا وإن العالِم الرحيم يجيء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري » رواه أبو نعيم في « الحلية » والخطيب عن أبي هريرة ، والقضاعي عن ابن عمر ، من « جامع الأحاديث » .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سارعوا في طلب العلم ؛ فالحديث من صادقٍ خير من الدنيا وما عليها من ذهب وفضة » رواه الرافعي في « تاريخه » .

وروى الديلمي في « مسند الفردوس » عن جابر رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ساعة من عالم متكيء علىٰ فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاماً » ، ذكره في « الجامع الصغير » وقال : ضعيف .

وروي أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « سلوا أهل الشرف عن العلم ، فإن كان عندهم علم . . فاكتبوه ؛ فإنهم لا يكذبون » .

وروى الترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ضع القلم علىٰ أذنك ؛ فإنه أذكر للمُمْلِي » ، « جامع الأحاديث » مسانيد رقم (١٣٨٤٢ ج٤) .

وروى ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (تعلموا

الصمت كما تعلمون الكلام ؛ فإن الصمت حلم عظيم ، وكن إلىٰ أن تسمع أحرص منك إلىٰ أن تتكلم ، ولا تتكلم في شيء لا يَعنيك ، ولا تكن مِضْحَاكاً من غير عُجب ولا مشَّاءاً إلىٰ غير أرب) .

وقال رضي الله عنه : (نعم صومعة الرجل المسلم بيته ؛ يكف نفسه وبصره وفرجه ، وإياكم والمجالس في السوق ؛ فإنها تلهي وتلغي) .

وعن الحسن قال : قال عمر رضي الله عنه : (عليكم بالتفقه في الدين ، والتفقه في العربية ، وحسن العبادة) رواه أبو عبيد .

وقال عمر رضي الله عنه : (تعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم ، وتواضعوا لمن علَّمتموه العلم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم) رواه الإمام أحمد في « الزهد » ، وآدم بن أبي إياس في « العلم » ، والدينوري في « المجالسة » والبيهقي وابن عبد البر وابن أبي شيبة .

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال : (لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث : لا يتعلم ليماريٰ به ، ولا يباهيٰ به ، ولا يراءىٰ به ، ولا يترك حياء من طلبه ، ولا زهادة في طلبه ، ولا رضىً بالجهل منه) .

وعن كميل بن زياد قال : أخذ بيدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرجني إلىٰ ناحية الجبَّانة ، فلما أصحر[1] . . تنفس ، ثم قال رضي الله عنه : (يا كميل ؛ إن هـٰذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، احفظ عني

---

(١) أصْحَر : دخل في الصحراء .

ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربَّاني ، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلىٰ ركن وثيق .

يا كميل ؛ العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة .

يا كميل ؛ محبة العالم دين يُدان بها ، العلم يكسب العالِم الطاعة لربه في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه .

يا كميل ؛ مات خُزَّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ، هاه! إن هٰهنا لَعِلماً ـ وأشار علي رضي الله عنه إلىٰ صدره ـ لو أَصَبْتُ له حملةً . .) .

ثم قال : (اللهم ؛ بلىٰ أصبتُه لَقِناً غير مأمون ؛ يستعمل آلة الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله علىٰ كتابه ، وبنعمه علىٰ كتابه ، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، اللهم ؛ لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذات ، سلس القياد للشهوات ، أو مغرماً بجمع الأموال والادخار ، وليسا من دعاة الدين أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه) .

ثم قال : (اللهم ؛ بلىٰ لا تخلو الأرضُ من قائم لله بحجة ؛ إما ظاهر مشهور ، أو خائف مغمور ؛ لئلا تبطل حجج الله وبيِّنَاتُه ، وكم وأين أولـٰئك ، أولـٰئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يدفع الله عن حججه حتىٰ يؤدوها إلىٰ نظرائهم ، ويزرعون في قلوب

أشباههم ، هَجَمَ بهم العلم علىٰ حقيقة الأمر ، فباشروا روح اليقين ، واستسهلوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالنظر الأعلىٰ ، يا كميل ؛ أولـٰئك خلفاء الله في أرضه الدعاة إلىٰ دينه ، هاه! شوقاً إلىٰ رؤيتهم ، أستغفر الله لي ولك) رواه ابن الأنباري في « المصاحف » ، والمرهبي في « العلم » ، ونصر في « الحجة » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وابن عساكر . انتهىٰ من « جامع الأحاديث » قسم الأفعال من المسانيد رقم (٧٢٩٥ ص١٩٤) الجزء الرابع .

روى ابن أبي شيبة والحاكم والدارمي عن عمر رضي الله عنه قال : (قيدوا العلم بالكتابة) .

وفي كتاب « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور علىٰ ألسنة الناس من الحديث » للحافظ عبد الرحمـٰن بن علي الشيباني حديث : « قيد العلم بالكتاب » أخرجه الطبراني وأبو نعيم في « الحلية » عن ابن عمرو به مرفوعاً .

وفي « كشف الخفا ومزيل الإلباس » للعجلوني حديث : « استعن بيمينك » ، عن أبي هريرة قال : (كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسمع منه فيعجبه ولا يحفظ ، فشكىٰ ذلك إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « استعن بيمينك » وأومأ بيده للخط) ، وقال عقبة : إسناده ليس بذلك القائم .

ثم قال : وفي « فضل العلم » للمرهبي بسند رواه عن أبي رافع قال :

قلت : يا رسول الله ؛ إنا نسمع منك أحاديث فأستعين بيدي علىٰ قلبي ، قال : « نعم » ، وكانت له صحيفة تسمى (الصادقة) .

وعن الزهري مرسلاً : (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن أن تكتب الأحاديث) .

وبالجملة : ففي الإذن بالكتابة أحاديث ؛ **منها** : عن ابن عمر وأنس رضي الله عنهم ، وفي « الجامع الصغير » : (قيدوا العلم بالكتابة) رواه الحكيم وسمويه عن أنس ، والطبراني في « الكبير » ، والحاكم عن ابن عمرو حديث صحيح .

قال الشيخ العلامة أبو الفرج عبد الرحمـٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ / ٧٩٥هـ) في كتابه « جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم » (ص٣٢٢) : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً . . سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » : وقد روىٰ هـٰذا المعنىٰ أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي ، وهو : المشي بالأقدام إلىٰ مجالس العلماء ، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلىٰ حصول العلم ؛ مثل : حفظه ومدارسته ، ومذاكرته ومطالعته ، وكتابته والتفهم له ، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » : وقد يراد بذلك : أن الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك طريقه

وييسره عليه ؛ فإن العلم طريق يوصل إلى الجنة ، وهٰذا كقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧] .

وقال بعض السلف : هل من طالب علم فيعان عليه .

وقد يراد أيضاً : أن الله ييسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله تعالىٰ والانتفاع به والعمل بمقتضاه ، فيكون سبباً لهدايته ولدخول الجنة بذلك .

وقد ييسر الله لطالب العلم علوماً أُخَر ينتفع بها وتكون موصلة إلى الجنة ؛ كما قيل : (من عَمِلَ بما عَلِمَ . . أورثه الله عِلمَ ما لم يعلم)[1] ، وكما قيل : (إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها) ، وقد دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] .

وقد يدخل في ذلك أيضاً تسهيل طريق الجنة الحسِّي يوم القيامة ؛ وهو الصراط وما قبله وما بعده من الأهوال ، فييسر ذلك علىٰ طالب العلم للانتفاع به ؛ فإن العلم يدل على الله من أقرب الطريق إليه ، فمن سلك طريقه ولم يَعْوَجْ عنه . . وصل إلى الله تعالىٰ وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها ، فسهلت عليه الطريق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا والآخرة ، فلا طريق إلىٰ معرفة الله تعالىٰ وإلى الوصول إلىٰ رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله تعالىٰ به رسله وأنزل به كتبه ، فهو دليل عليه ، وبه يهتدىٰ في ظلمات الجهل والشبه والشكوك .

---

(١) رواه أبو نعيم عن أنس ، وعن الإمام عبد الله بن علوي الحداد أنه العلم اللدني .

ولهٰذا : سمى الله كتابه نوراً ؛ لأنه يهتدىٰ به في الظلمات ، قال الله تعالىٰ : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ـ١٦] .

ومَثَّلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حملة العلم الذي جاء به بالنجوم التي يهتدىٰ بها في الظلمات ؛ ففي « المسند »(١) : عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتَدىٰ بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم . . أوشك أن تضل الهداة » .

وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس في هدىٰ ، بقاء العلم ببقاء حملته ، فإذا ذهب حملته ومن يقوم به . . وقع الناس في الضلال ؛ كما في « الصحيحين » عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً يتنزعه من صدور الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، فإذا لم يبق عالم . . اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً رفع العلم ، فقيل له : كيف يذهب العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأناه نساءنا وأبناءنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « هٰذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارىٰ فماذا تغني عنهم ؟! » .

وسئل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن هٰذا الحديث فقال : (لو

---

(١) ذكره في « الجامع الصغير » في « مسند الإمام أحمد » وقال : حديث صحيح .

شئت لأخبرتك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع) .

وإنما قال عُبادة هـٰذا ؛ لأن العلم قسمان :

أحدهما : ما كان ثمرته في قلب الإنسان ؛ وهو العلم بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته ، وأفعاله المقتضي لخشيته ومهابته ، وإجلاله والخضوع له ، ومحبته ورجائه ، ودعائه والتوكل عليه ، ونحو ذلك . . فهـٰذا هو العلم النافع ؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : (إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه . . نفع) .

وقال الحسن : العلم علمان : علم على اللسان ؛ فذلك حجة الله علىٰ بني آدم[1] ؛ كما في الحديث : « القرآن حجة لك أو عليك » ، وعلم في القلب ؛ فذلك العلم النافع .

والقسم الثاني : الذي هو على اللسان ؛ وهو حجة الله لك أو عليك ، فأول ما يرفع من العلم العلم النافع ؛ وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها ، ويبقىٰ علم اللسان حجة فيتهاون الناس به ولا يعملون بمقتضاه لا حملته ولا غيرهم ، ثم يذهب هـٰذا العلم بذهاب حملته فلا يبقىٰ إلا القرآن في المصاحف ، وليس ثَمَّ من يعلم معانيه ولا حدوده ولا أحكامه ، ثم يسري به في آخر الزمان فلا يبقىٰ في المصاحف ولا في القلوب منه شيء بالكلية ، وبعد ذلك تقوم الساعة ؛ كما قال صلى الله

---

(١) حديث : « العلم علمان : فعلم في القلب ؛ فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان ؛ فذلك حجة الله على ابن آدم » رواه ابن أبي شيبة والحكيم عن الحسن مرسلاً والخطيب عن جابر .

عليه وآله وسلم : « لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الناس » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقوم الساعة وفي الأرض أحد يقول : الله الله » . انتهىٰ من كتاب « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالىٰ[1] .

* * *

---

(١) وللعلامة ابن رجب رسالة ؛ فوائد من حديث « يا عمير ؛ ما فعل النغير ؟! » .

الإمام الشافعي رضي الله عنه ورحمه الله (١٥٠/ ٢٠٤هـ)

هو الإمام أبو عبد الله : محمد بن إدريس بن العباس ، القرشي المطلبي الشافعي ، إمام المذهب ، الغني عن التعريف ، يلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عبد مناف .

ولد بغزة أو عسقلان عام خمسين ومئة هجرية ، وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه .

وتوفي بمصر ليلة الجمعة آخر جمعة من شهر رجب عام أربع ومئتين هجرية وهو ابن أربع وخمسين .

ونشأ يتيماً في حجر أمه في قلة من العيش وضيق حال .

وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيد في العظام ونحوها حتىٰ ملأ منها خبايا .

وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : كان الشافعي في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام العرب والأدب ، ثم أخذ في الفقه بعد .

وكان سبب أخذه في العلم : أنه كان يوماً يسير علىٰ دابة له وخلفه كاتب لأبي ، فتمثل الشافعي ببيت شعر ، فقرعه كاتب أبي بسوطه ثم قال له : مثلك يذهب بمروءته في مثل هٰذا ، أين أنت من الفقه ؟! فهزه ذلك ، فقصد مجالسة الزنجي مسلم بن خالد ، وكان مفتي مكة ، ثم قدم علينا فلزم مالك بن أنس .

وعن الشافعي قال : كنت أنظر في الشعر فارتقيت عقبة بمنىٰ ؛ فإذا صوت من خلفي : عليك بالفقه .

وكان الشافعي قد وصل مكة صغيراً وهو ابن سنتين ، ثم رحل من مكة إلى المدينة المنورة قاصداً الأخذ عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، فلما قدم . . قرأ عليه « الموطأ » حفظاً ، فأعجبته قراءته ولازمه .

قال له مالك : اتق الله واجتنب المعاصي ؛ فإنه سيكون لك شأن .

وفي رواية : قال له : إن الله عز وجل قد ألقىٰ علىٰ قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعاصي .

وكان حين أتىٰ مالكاً له من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقد ولي اليمن .

واشتهر من حسن سيرته وحمله الناس على السُنَّة والطرائق الجميلة أشياء كثيرة ، ثم أخذ بالاشتغال بالعلوم .

ورحل إلى العراق وناظر محمد بن الحسن وغيره ، ونشر علم الحديث ومذهب أهله ، ونصر السنة ، وشاع ذكره وفضله .

وطلب منه عبد الرحمـٰن بن مهدي إمام الحديث في عصره أن يصنف كتاباً في أصول الفقه ، فصنف كتاب « الرسالة » وهو أول كتاب صنف في أصول الفقه ، وأجمع الناس على استحسان رسالته ، وأقوالهم في ذلك مشهورة .

قال المزني : قرأت « الرسالة » خمس مئة مرة ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة ، واشتهرت جلالة الشافعي في العراق ، وسار ذكره في الآفاق ، وصنف في العراق كتابه القديم ، ثم رحل إلىٰ

مصر سنة تسع وتسعين ومئة ، ومنه صنف كتبه الجديدة كلها بمصر ، وسار ذكره في البلدان ، وقصده الناس من جميع النواحي للأخذ عنه وسماع كتبه الجديدة .

ثم قال النووي : وقد تصدر في عصر الأئمة المبرزين للإفتاء والتدريس والتصنيف وهو في حداثة سنه ، وقال له إمام مكة ومفتيها مسلم بن خالد الزنجي : أفتِ يا أبا عبد الله ؛ فقد والله آن لك أن تفتي ، وكان للشافعي إذ ذاك خمسة عشر سنة ، وأخذ عنه العلماء وهو في سن الحداثة رضي الله عنه .

ومصنفاته كثيرة مشهورة ، **منها** : « الأم » في نحو عشرين مجلداً ، وهو مشهور ، و« جامع المزني » الكبير والصغير و« مختصريه » الكبير والصغير و« مختصر البويطي » و« الربيع » وكتاب « حرملة » وكتاب « الحجة » وهو القديم و« الرسالة القديمة » و« الرسالة الجديدة » و« الأمالي » و« الإملاء » ، وغير ذلك مما هو معلوم من كتبه ، وقد جمعها البيهقي في « المناقب » .

وقال القاضي الإمام أبو محمد الحسين بن محمد المروزي في خطبة « تعليقه » : قيل : إن الشافعي رحمه الله صنف مئة وثلاثة عشر كتاباً في التفسير والفقه والأدب وغيره .

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : وددت أن الخلق تعلموا هٰذا العلم علىٰ ألاَّ ينسب إليّ حرف منه .

وقال أيضاً : ما ناظرت أحداً إلا وَدِدتُ أن يُظهِرَ اللهُ الحقَّ علىٰ يديه ، ونظائر هٰذا كثيرة مشهورة عنه رضي الله عنه .

ومن كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وقال : من أراد الدنيا . . فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة . . فعليه بالعلم .

وقال رحمه الله تعالىٰ : ما تُقُرِّبَ إلى الله بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وقال : ما أفلح في العلم إلا من طلبه بالقلة .

وقال : خير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذىٰ ، وكسب الحلال ، ولباس التقوىٰ ، والثقة بالله تعالىٰ علىٰ كل حال . انتهىٰ من « مجموع الإمام النووي » من ترجمة الإمام الشافعي رحمهما الله تعالىٰ .

وقد ذكر الكثير من أحواله وكلامه ومجاهداته ، كما ترجم للإمام الشافعي الكثير من العلماء وتوسعوا في ذلك ، فليرجع إليها من أراد الاطلاع علىٰ أحوال الشافعي ومجاهداته وحكمه وأقواله ، وفيما ذكرناه كفاية .

ومن كلام الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ أيضاً : من لا يحب العلم . . فلا خير فيه ، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة .

وقال أيضاً : العلم مروءة من لا مروءة له .

وقال : إن لم تكن الفقهاء العاملون أولياء الله . . فليس لله ولي .

وقال : ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء .

وقال : من تعلم القرآن . . عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه . . نبُلَ قدره ، ومن نظر في اللغة . . رق طبعه ، ومن نظر في الحساب . . جَزُلَ رأيه ، ومن كتب الحديث . . قويت حجته ، ومن لم يصن نفسه . . لم ينفعه علمه .

وقال الشافعي أيضاً : إذا رأيتم الكتاب فيه إصلاح وإلحاق . . فاشهدوا له بالصحة ، وقال رضي الله عنه : من طلب علماً . . فليدقق ؛ لئلا يضيع دقيق العلم .

وقال : زينة العلماء التوفيق ، وحليتهم حسن الخلق ، وجمالهم كرم النفس .

وقال : ليس العلم ما حُفِظْ ، العلم ما نَفَعْ .

وقال الإمام أحمد ابن حنبل في الإمام الشافعي : ما أحد مس بيده محبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في رقبته منّة .

قال الشافعي : إذا قلت : (قال بعض أصحابنا) . . فهم أهل المدينة ، وإذا قلت : (قال بعض الناس) . . فهم أهل العراق .

وقال : إنما العلم علمان : علم الدين ، وعلم الدنيا ؛ فعلم الدين الفقه ، وعلم الدنيا الطب .

وقال : لا تسكنن بلداً لا يكون فيه عالم يُفتيك عن دينك ، ولا طبيب يُنبيك عن أمر بدنك .

ومن كتاب « آداب الشافعي ومناقبه » للإمام أبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠/ ٣٢٧هـ) قال بسنده : عن

الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ قال : ولدتُ باليمن ، فخافت أمي عليَّ الضيعة وقالت : الحق بأهلك فتكون مثلهم ؛ فإني أخاف أن تُغلب علىٰ نسبك ، فجهزتني إلىٰ مكة فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر ، فصرت إلىٰ نسيب لي وجعلت أطلب العلم فيقول : لا تشتغل بهـٰذا وأقبل علىٰ ما ينفعك ، فجعلت لذتي في هـٰذا العلم وطلبه حتىٰ رزقني الله منه ما رزق .

وعن نسب الشافعي هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف .

وقال الشافعي : تمنيت من الدنيا شيئين : العلم ، والرمي ؛ وأما الرمي . . فإني من عشرة عشرة ، والعلم ما ترون .

وقال : طلبت هـٰذا الأمر عن خفة ذات يد ، وكنت أجالس الناس وأتحفظ ، ثم اشتهيت أن أدوِّن ، وكان لنا منزل بقرب شعب الخيف ، وكنت آخذ العظام والأكتاف فأكتب فيها حتى امتلأ في دارنا من ذلك حُبَّان .

وقال الشافعي : كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام ، فلما ختمت القرآن . . دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء ، وأحفظ الحديث أو المسألة ، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف ، وكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث أو المسألة ، وكانت لنا جرة قديمة ، فإذا امتلأ العظم . . طرحته في الجرة .

وقال في الكتاب : ولد الشافعي سنة خمسين ومئة ، ومات آخر يوم من رجب عام أربع ومئتين ليلة الجمعة ، وعاش أربعاً وخمسين سنة .

قال المزني : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : كيف أصبحتَ يا أستاذ ؟ فقال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، ولسوء عملي ملاقياً ، فوالله ؛ ما أدري : أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها ؟ ثم رمىٰ بطرفه إلى السماء واستعبر وأنشد :

إليك إلـٰهَ الخلق أرفع رغبتي	وإن كنتُ يا ذا المن والجود مُجرما
تعـاظمنـي ذنبـي فلمـا قـرنتـه	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت رجائي نحو عفوك سُلَّما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل	تجـود وتعفـو مِنّـةً وتكـرمـا
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد	فكيف وقد أغوىٰ صفيك آدما

وقال الشافعي : إذا قرأ عليك المحدث . . فقل : حدثنا ، وإذا قرأت على المحدث . . فقل : أخبرنا .

وقال : ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها ؛ لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسي القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة .

وقال الشافعي : لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس ، فقيل : ولا الغني المكفي ؟ فقال : ولا الغني المكفي .

وقال المزني : كان الشافعي ينهانا عن الخوض في الكلام .

وقال : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم .

وقال حرملة : سمعت الشافعي رحمه الله ينشد :

ولا تُعطيَنَّ الرأيَ مَنْ لا يريده فلا أنتَ محمودٌ ولا الرأي نافعه

ومن كتاب « بغية المسترشدين »[1] - فتاوىٰ مشهور - للعلامة عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، المولود بتريم سنة (١٢٤٨هـ) والمتوفىٰ بها سنة (١٣٢٠هـ) : **فائدة** : الفضائل سبع : الصدق ، والتواضع ، والسخاء ، والوفاء ، والعلم ، وأداء الأمانة ، والحياء .

قال بعضهم : إذا جمع المتعلمُ العقلَ والأدبَ وحُسنَ الفهمِ ، وإذا جمع المعلِّمُ الصبرَ والتواضعَ وحُسنَ الخُلُق . . فقد تمت النعمة عليهما .

قال الشاعر[2] :

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ سَأُنْبِيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبُلْغَةٌ وإرشاد أستاذ وطول زمانِ

فائدة : قال الحسن البصري - رحمه الله - : صرير قلم العالم تسبيح ، وكتابة العلم والنظر فيه عبادة ، ومداده كدم الشهيد ، وإذا قام من قبره . .

---

(١) طبع قديماً ، وفي (١٤٣٠هـ) طبع في أربعة مجلدات مع إضافة فتاوىٰ وتعليقات لأربعة من كبار العلماء بتريم ، وهم : أحمد بن عمر الشاطري (١٣١٢/ ١٣٦٠هـ) ، ومحمد بن سالم بن حفيظ (١٣٣٢/ ١٣٩٢هـ) ، وسالم سعيد بكير (١٣٢٣/ ١٣٨٦هـ) ، وحسن بن عبد الله الشاطري (١٣٤٦/ ١٤٢٥هـ) ، طبعة دار الفقيه أبو ظبي .

(٢) وبعضهم ينسبها إلى الإمام الشافعي رحمه الله .

نظر إليه أهل الجمع ، ويحشر مع الأنبياء[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من اتكأ علىٰ يده عالم . . كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ، ومن قَبَّلَ رأس عالم . . كتب الله له بكل شعرة حسنة ، وتَدَارُس العلم ساعة من الليل أفضل من إحيائه بغيره ، ومدارسته أفضل من الذكر »[2] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « حتى الحيتان في الماء » إنما خصها بالذكر لكونها لا لسان لها . انتهىٰ « بجيرمي » .

وقال أبو الليث : من جلس عند عالم ولم يقدر علىٰ حفظ شيء من العلم . . نال سبع كرامات : فضل المتعلمين ، وحبسه من الذنوب ، ونزول الرحمة عليه حال خروجه من بيته ، وإذا نزلت الرحمة علىٰ أهل الحلقة . . حصل له نصيبه ، ويكتب له طاعة ما دام مستمعاً ، وإذا ضاق قلبه لعدم الفهم . . صار غمه وسيلة إلىٰ حضرة الله تعالىٰ ؛ لقوله تعالىٰ في الحديث القدسي : (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) أي : جابرهم وناصرهم ، ويرىٰ عز العالم وذل الفاسق فيرد قلبه عن الفسق ويميل طبعه إلى العلم ، وفيه أيضاً : من جلس مع العلماء . . ازداد من العلم والعمل ، ومن جلس مع الصالحين . . ازداد رغبة في الطاعات .

وقال : عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني (١١٢٧/ ١١٩٤هـ): قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه : إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ، فقال أبو هريرة : (كفىٰ بتركك العلم إضاعة) .

---

(١) ذكره البجيرمي على الخطيب .

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسير (سورة البقرة) .

وقال عن الأشخر : من آداب حامل القرآن فضلاً عن العالم أن يكون شريف النفس مرتفعاً عن الجبابرة والجفاة من أبناء الدنيا .

وقال الجرجاني[1] :

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لِأَخْدُمَ من لاقيت لكن لِأُخْدَما
أأشقىٰ به غرساً وأجنيه ذلة	إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنَّسوا	محياه بالأطماع حتىٰ تجهَّما

وفي « البخاري » : لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضع نفسه .

وورد : من أكرم عالماً . . فقد أكرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم[2] ، فخدمة أهل الفضل والعلم من أعظم القرب ، ومن تعظيم شعائر الله وحرماته إجماعاً . انتهىٰ من كتاب « بغية المسترشدين » .

وفي « مجموع النووي » : عن يحيى بن أبي كثير قال : دراسة العلم صلاة ، وعن سهل التستري : من أراد النظر إلىٰ مجالس الأنبياء . . فلينظر إلىٰ مجالس العلماء ، فاعرفوا لهم ذلك .

وللحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣) كتاب اسمه « تقييد العلم » مطبوع ، وبحمد الله قرأته

---

(١) القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، توفي بنيسابور سنة (٣٦٦هـ) وقيل : (٣٩٢هـ) .

(٢) ذكره السيوطي في « جامع الأحاديث والمراسيل » رقم (٢٠٣٨٩٠/ ٥٠) حرف الهمزة مع الكاف .

جميعه في ثلاث ليال ، وقد ذكر أولاً الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ذكر أقوال الصحابة والتابعين في النهي عن كتابة الحديث ، ثم ذكر أسباب النهي عن ذلك ؛ خوف الانكباب علىٰ دراسة غير القرآن .

وقال في ذلك : فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يُضَاهىٰ بكتاب الله تعالىٰ غيره ، أو يشتغل عن القرآن بسواه ، ونهي عن الكتب القديمة أن تتخذ ؛ لأنه لا يعرف حقها من باطلها وصحيحها من فاسدها ، مع أن القرآن كفىٰ عنها وصار مهيمناً عليها .

ونهي عن كَتْب العلم في صدر الإسلام وجِدّته ؛ لقلة الفقهاء في ذلك الوقت والمميزين بين الوحي وغيره ؛ لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يُؤْمَنْ أن يُلحِقُوا ما وجدوا من الصحف بالقرآن ، ويعتقدون أن ما اشتملت عليه كلام الرحمٰن .

الفصل الثاني : خوف الاتكال على الكتاب وترك الحفظ وما ورد في ذلك .

بئس المستودع العلم القراطيس ، وأمر الناس بحفظ السنن ؛ إذ الإسناد قريب والعهد غير بعيد ، ونهي عن الاتكال على الكتاب ؛ لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ حتىٰ يكاد يبطل ، وإذا عدم الكتاب . . قوي لذلك الحفظ .

وروىٰ بسنده عن سفيان الثوري قال : بئس المستودع العلم القراطيس ـ قال : وكان سفيان يكتب ، أفلا ترىٰ أن سفيان ذم الاتكال على الكتاب

وأمر بالحفظ ، وكان مع ذلك يكتب ؛ احتياطاً واستيثاقاً .

من كان يكتب الكتاب ثم يمحوه :

كان غير واحد من السلف يستعين علىٰ حفظ الحديث بأن يكتبه ويدرسه من كتابه ، فإذا أتقنه . . محا الكتاب ؛ خوفاً من أن يتكل القلب عليه فيؤدي ذلك إلىٰ نقصان الحفظ وترك العناية بالمحفوظ .

وقال في كتابه أيضاً : **قلت** : إنما اتسع الناس في كَتْبِ العلم وعولوا علىٰ تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك ؛ لأن الروايات انتشرت ، والأسانيد طالت ، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت ، والعبارات بالألفاظ اختلفت ، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرناه ، وصار علم الحديث في هـٰذا الزمان أثبت من علم الحافظ مع رخصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن ضعف حفظه في الكتاب ، وعمل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . . . ثم ذكر الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلها بأسانيده .

منها : عن أبي هريرة قال : كان رجل يشهد حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يحفظه ، فيسألني فأحدثه ، فشكا قلة حفظه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : « استعن علىٰ حفظك بيمينك » يعني : الكتاب . . . ثم ذكر روايات كثيرة لهـٰذا الحديث وأشباهه ، وأحاديث عمرو بن العاص .

ومنها : قوله عليه السلام : « قيدوا العلم بالكتاب » رواه ابن عمرو ، وعن أنس .

ثم قال في كتابه « الاستشهاد بآيات القرآن الكريم علىٰ وجوب

الكتاب » : وفي وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب أنه قيد العلم دليل علىٰ إباحته ، ورسمه في الكتب لمن خشي علىٰ نفسه دخول الوهم في حفظه ووصول العجز عن إتقانه وضبطه ، وقد أدب الله سبحانه عباده بمثل ذلك في الدَّين ـ بفتح الدال ـ فقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

فلما أمر الله تعالىٰ بكتابة الدَّين ؛ حفظاً له واحتياطاً له وإشفاقاً من دخول الريب فيه . . كان العلم الذي حِفْظُه أصعب من حفظ الدَّيْنِ أحرىٰ أن تباح كتابته ؛ خوفاً من دخول الريب والشك فيه ، بل كتاب العلم في هـٰذا الزمان مع طول الإسناد واختلاف أسباب الرواية أحج من الحفظ ؛ ألا ترىٰ أن الله عز وجل جعل كَتْب الشهادة فيما يتعاطاه الناس من الحقوق عَوْناً عند الجحود وتذكرة عند النسيان .

كتابة العلم

ثم ذكر حديثين من رواية رافع بن خديج قال : قلنا : يا رسول الله ؛ إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » .

ثم ذكر بأسانيده أحاديث أبي هريرة : (أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وأنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكتابة فأذن له) .

وقال عبد الله بن عمرو : (**والصادقة** : صحيفة كتبتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . .) .

وذكر أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أن يكتبوا لأبي شاه خطبته صلى الله عليه وآله وسلم .

وذكر بسنده عن أنس : (أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له فرائض الصدقة الذي سَنَّهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (قيدوا العلم بالكتاب) .

وعن علي رضي الله عنه قال : (ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم ؛ إلا كتاب الله عز وجل وهٰذه الصحيفة) .

وعن علي قال : (من يشتري مني علماً بدرهم) .

وكان أبو خيثمة يقول : من يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم .

وعن شرحبيل أبي سعد قال : (دعا الحسن بن علي عليهما السلام بنيه وبني أخيه فقال : يا بني وبني أخي ؛ إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين ، فتعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يرويه . . فليكتبه وليضعه في بيته) .

وعن ابن عباس قال : (قيدوا العلم ، وتقييده كتابته) .

وقال أيضاً : (خير ما قيد به العلم الكتاب) .

وعن أنس أنه أمر بكتابة الحديث والآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال أنس : (كنا لا نَعُدُّ علمَ من لم يكتب عِلمَه عِلماً) .

وقال لبنيه : (يا بني ؛ قيدوا العلم بالكتاب) .

وعن الحسن بن جابر : أنه سأل أبا أمامة عن كتابة العلم فقال : (لا بأس بذلك) .

وقال الشعبي : (إذا سمعتم مني شيئاً . . فاكتبوه ولو في حائط) .

وعن الحسن : أنه كان يكتب للناس العلم ويعرضه لهم .

وقال الحسن : (إن عندنا كتباً نتعاهدها) .

وعن سعيد بن جبير قال : (كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفتي حتىٰ أملأها ، ثم أكتب في ظهر نعلي ، ثم أكتب في كفي) .

وعن سعيد بن جبير قال : (كنت أسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي حتىٰ أصبح وأنسخه) .

وقالوا لقتادة : نكتب ما نسمع منك ؟ فقال : وما يمنعك أن تكتب وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1] [طه: ٥٢] .

وذكر : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سنة ماضية أو حديث عَمْرَةَ فاكتبه ؛ فإني قد خفتُ دروسَ العلم وذهاب أهله .

وعن معاوية ابن قُرَّة المزني قال : من لم يكتب العلم . . فلا تعد علمه علماً .

وعن أيوب قال : يعيبون علينا الكتاب ، ثم تلا : ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ [طه: ٥٢] .

---

(١) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] .

وعن يحيى ابن سعيد : لأن أكون كتبت ما أسمع أحب إلي من أن يكون لي مثل مالي .

وعن معتمر قال : كتب لي أبي وأنا بالكوفة أن اشتر الكتب واكتب العلم ؛ فإن المال يذهب والعلم يبقىٰ .

وعن عبد الله بن إدريس قال : كان أبي يقول لي : احفظ وإياك الكتاب ، فإذا جئت . . فاكتب ؛ فإن احتجت يوماً أو شغل قلبك . . وجدت كتابك .

وكان ابن جريج إذا سئل عن شيء . . قال : اكتب ؛ فما قُيِّد العلم بشيء مثل الكتاب .

وقال أبو صالح الفرا : سألت ابن المبارك عن كتاب الحديث فقال : لولا الكتاب . . ما حفظنا .

وقال الشافعي : اعلموا رحمكم الله إن هـٰذا العلم يَنِدُّ كما تَنِدُّ الإبل ، فاجعلوا الكُتُبَ له حماة ، والأقلامَ له رعاة .

وقال الخليل بن أحمد : ما سمعت شيئاً إلا كتبته ، ولا كتبت شيئاً إلا حفظته ، ولا حفظت شيئاً إلا انتفعت به .

وقال ابن حنبل : حدثونا قوم من حفظهم ، وقوم من كتبهم ، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن .

وقال إسحاق ابن منصور : قلت لأحمد : مَنْ كره كتابة العلم ؟ فقال : كرهه قوم كثيرون ، ورخص فيه قوم .

قلت : لو لم يكتب . . ذهب العلم .

قال أحمد : ولولا كتابته . . أي شيء كنا نحن .

وقال أحمد بن إسماعيل :

يا طالب العلم إذا سمعته من الثقه
فاكتبه محتاطاً ولو بخنجر في حدقه
فرب علم فات من ضيعه أن يلحقه

وذكر في كتابه « تقييد العلم »[1] بسنده عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢] قال : « صحف علم خبأها لهما أبوهما » ، ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال بعض الحكماء : لن يصان العلم بمثل بذله ، ولن تكافأ النعمة فيه بمثل نشره ، وقراءة الكتب أبلغ في إرشاد المسترشدين من ملاقاة واضعيها ؛ إذ كان مع التلاقي يقوى التصنع ويكثر التظالم وتفرط النصرة وتشتد الحمية ، وعند المواجهة يملك حب الغلبة وشهوة المباهاة ، والرياسة مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفة من الخضوع .

وفي « كشف الخفا » (١/ ٣١١) : (تفقهوا قبل أن تسودوا) رواه البيهقي عن عمر من لفظه ، وعلقه البخاري جازماً به ، ثم قال : (وبعد أن تسودوا) ، قيل : معناه : قبل أن تتزوجوا فتصيروا أرباب بيوت وسيادة .

ولذا : قال بعض العلماء : ضاع العلم بين أفخاذ النساء ، ونحوه قول الخطيب : يستحب للطالب أن يكون عزباً ما أمكن ؛ لئلا يشغله القيام بحقوق الزوجة عن كمال الطلب .

---

(١) أي الحافظ البغدادي في كتابه « تقييد العلم » .

والمشهور تفسيره بما هو أعم من ذلك ، ولذا : قال الثوري : من أسرع الرياسة . . أضر بكثير من العلم ، ومن لم يسرع الرياسة . . كتب ثم كتب ثم كتب من العلم كثيراً . انتهىٰ .

ورویٰ أحمد في « الزهد » عن مطرف : (تفقهوا ثم اعتزلوا وتعبدوا) .

ومن كتاب « كشف الخفا والإلباس » للعجلوني المتوفىٰ سنة (١١٦٢هـ) (ص٢/ ٦٦) : (العلم في الصغر كالنقش على الحجر) رواه البيهقي عن الحسن البصري من قوله ، وأخرجه ابن عبد البر عنه بلفظ : (طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر) .

وروى البيهقي والديلمي عن ابن عباس : (من قرأ القرآن قبل أن يحتلم . . فهو ممن أوتي الحكم صبياً) .

وروى ابن عبد البر عن علقمة أنه قال : أمَّا ما حفظته وأنا شاب . . فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة .

ولبعضهم :

أرانيَ أنسىٰ ما تعلمتُ في الكِبَرْ ... ولستُ بناسٍ ما تعلمتُ في الصِّغَرْ
وما العلمُ إلاَّ بالتعلم في الصِّبا ... وما الحلم إلاَّ بالتحلم في الكِبَرْ
ولو فَلَق القلبَ المعلمُ في الصِّبا ... لأصبح فيه العلم كالنقش في الحجرْ
وما العلم بعد الشيب إلاَّ تعسفٌ ... إذا كَلَّ قلبُ المرء والسمعُ والبصرْ
وما المرءُ إلاَّ اثنان عقل ومنطق ... فمَنْ فاته هـٰذا وهـٰذا فقد دمرْ

وهـٰذا محمول على الغالب ؛ وإلا . . فقد اشتغل جماعة بعد كبرهم ففاقوا في علمهم وراقوا بمنظرهم ؛ كالقفال والقدوري ، ذكره في « المقاصد » .

وقال ابن الغرس : لكنه قد يثبت في الكبير بالتكرار الكثير ، وشاهده قول القائل :

اطلب ولا تضجر من مطلب ... فـآفـة الطـالـب أن يضجـرا
أمـا تـرى الحبـلَ بتكـراره ... في الصخرة الصمَّاء قد أثرا

انتهىٰ باختصار من « كشف الخفا » (ص٢/ ٦٦) .

قلت : والعلامة ابن حجر لما رأى الحبل قد أثر في الحجر . . جد واجتهد في طلب العلم ، وسمي ابن حجر .

ومن كتاب « نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف » تأليف الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الرحمٰن الحُبَيْشِي (٧١٢/ ٧٨٢هـ) ، وهو كتاب قيم مطبوع ذكر فوائد عظيمة وأشعاراً كثيرة ، ننقل منه ما يلي :

قصص في عزة العلم والعلماء

ولما رحل الإمام الشافعي رحمه الله إلى العراق . . أتاه رسول محمد بن الحسن وأبي يوسف يطلبانه القدوم عليهما ؛ ليسألاه عن شيء من العلم ، فقال لرسولهما : إن من حِكَم العلم : أن يُؤتىٰ أولاً ولا يأتي ، فإن كان لهما حاجة . . فليأتياني ، فرد عليهما الجواب فأتياه لذلك .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من متعلم يختلف إلىٰ باب العالم . . إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ، وبنىٰ له بكل قدم مدينة في الجنة ، ويمشي والأرض تستغفر له ، ويمسي ويصبح مغفوراً له ، وتشهد

له الملائكة أنه من عتقاء الله من النار » رواه أبو الليث السمرقندي رحمه الله في « تنبيهه » بإسناده .

رُوِيَ : أن معاوية رضي الله عنه نزل بالأبطح حاجاً في خلافته معه زوجته فاختة بنت قرظة ، والناس يصدرون ؛ وإذا برجل قد حف به لفيف من الناس يسألونه عن أشياء أشكلت عليهم من أمر دينهم ، وذلك الرجل يفتيهم ، فالتفت معاوية رضي الله عنه إلىٰ بنت قرظة وقال : هٰذا وأبيك الشرف ، هٰذا والله ؛ شرف الدنيا والآخرة .

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله في كتاب « أدب التعليم » : وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضا الله تعالىٰ والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال ، وإحياء الدين ، وإبقاء الإسلام ؛ فإن بقاء الإسلام بالعلم ، ولا يصح الزهد والتقوىٰ مع الجهل .

كن ابن من شئت وكن مؤدبا   فـإنمـا المـرء بفضـل كيسِـهِ
وليـس مـن تكـرمـه لغيـره   كمثـل مـن تكـرمـه لنفسِـهِ

وذكر صاحب « زهرة العيون » : أنه عليه الصلاة والسلام قال : « العالم من ذهبٍ ، والمتعلم من فضةٍ ، والثالث نحاس » .

* * *

من كلام سهل بن عبد الله التستري رحمه الله

وروينا عن صاحب كتاب « الترغيب والترهيب » بإسناده إلى ابن دُرُسْتُوَيْه قال : سمعت سهل بن عبد الله ونحن بين يديه ؛ إذ أقبل أصحاب الحديث ومعهم المحابر ، فقال سهل : اجهدوا ألا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر ، فغمزت بعضهم وقلت له : قل له يملي شيئاً ، فقال : أيها الشيخ ؛ قد مدحتها فذكرنا بشيء ، قال اكتبوا : الدنيا كلها لا شيء إلا ما كان منها علم ، والعلم كله حجة إلا ما كان منه عمل ، والعمل كله هباء إلا ما كان منه إخلاص ، وأهل الإخلاص علىٰ وجل ، ثم تلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] انتهىٰ كلامه رحمه الله ، وما أحسنه .

وقال الشافعي رضي الله عنه : من لا يحب العلم . . فلا خير فيه ، فلا تكن بينك وبينه معرفةٌ وصداقة .

وينشد لعلي رضي الله عنه ـ وقيل : لغيره ـ :

الناس من جهة التمثيل أَكْفَاء	أبــوهُــمُ آدمٌ والأم حــواءُ
فإن يكن لهمُ في أصلهم شرفٌ	يفاخرون به فالطين والماءُ
لا تحقرن امرءاً مهما تكون له	أم من الروم أو سوداء عجماءُ
فـإنمـا أمهـات النـاس أوعيـة	مستودعات وللأحساب آباءُ
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

وروى الخطيب الحافظ البغدادي في كتابه بإسناده : أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلىٰ والي حمص :

مُرْ لأهل الصلاح من بيت المال ما يغنيهم ؛ لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث .

وأنشد الشاطبي رحمه الله تعالىٰ :

ولا بد من مال به العلم يعتلي   وجاه من الدنيا يكف المظالما
ولولا مصابيح السلاطين لم تجد علىٰ سبلات الظلم بالحق قائما

ومن شعر الإمام الشافعي :

عزيز النفس من لزم القناعه   ولم يكشف لمخلوق قِناعه
أفادتني التجارب كلَّ عزٍّ   وهل عزٌّ أعزُّ من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال   وصيِّرْ بعدها التقوىٰ بضاعه
ولا تطع الهوىٰ والنفس واعمل   من الخيرات قدر الاستطاعه
أحبُّ الصالحين ولست منهم   لعلِّي أن أنال بهم شفاعه
وأكره من تجارته المعاصي   ولو كنا سواء في البضاعه

ولما سمع الإمام أحمد هٰذه الأبيات . . قال يخاطب فيها الشافعي رحمهما الله :

تحب الصالحين وأنت منهم   رفيق القوم يلحق بالجماعة
وتكرهُ من بضاعته المعاصي   حمانا الله من تلك البضاعة

وقال ابن المعتز رحمه الله : علْمُ الإنسان ولدُهُ المخلَّد .

وأنشد أبو الفتح البستي رحمه الله[1] :

يقولون ذكر المرء يبقىٰ بنسله ... وليس له ذكرٌ إذا لم يكنْ نسلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فمن سره نسل فإنَّا بذا نَسلو

كان يحيى بن كثير رحمه الله يقول : ميراث العلم خيرٌ من الذهب .

واسمع إلىٰ قول الصحابي ابن مرداس رضي الله عنه :

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريه ... وفي أثوابه أسد زئيرُ
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطريرُ
فما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرم وخيرُ
بغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأم الصقر مقلاة نزورُ
ضعاف الطير أطولها جسوماً ... ولم تطل البزاة ولا الصقورُ
ضعاف الأسد أكثرها زئيراً ... وأصرمها اللواتي لا تزيرُ
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يتغن بالعِظَمِ البعيرُ
ويصرفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجريرُ
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا غِيرٌ لديه ولا نكيرُ
فإن أكُ في شراركم قليلاً ... فإني في خياركم كثيرُ

---

(١) ولجامع هٰذه الرسالة أبيات في هٰذا الموضوع ، وأولها :

وقالوا ما له نسلُ ... فقلت لهم بذا نَسْلُو
ونسلي تلك أشعاري ... بطه المصطفىٰ تعلو
لنا في مدحه درر ... ومسك فائح فضل

وفيها ذكرت بعض مؤلفاتي ، والقصيدة المذكورة في كتابي « آباء وشيوخ من أهل العلم والرسوخ » وهو عن المشايخ والإجازات .

وقال بعضهم ، وقيل : للشافعي :

العلم من شرطه لمن خدمه   أن يجعل الناس كلهم خدمهْ
وواجب صونه عليه كما   يصون للناس عرضه ودمهْ
فمن حوى العلم ثم أودعه   بجهله غير أهله ظلمهْ
وكان كالمُبتني البناء إذا   تم له ما أراده هدمهْ

وقال بعض الحكماء : لم أجد رتبة أرفع ، ولا شيئاً أنفع ، ولا خيراً أجمع من العلم إذا قارنته سكينة ، وإني رأيته يرفع وضيع الحسب إلىٰ أرفع الرتب حتىٰ تكون له الأشراف أتباعاً ، والأخيار أشياعاً .

وأنشد بعضهم :

العلم زين ومحمود عواقبه   فمن ينله يكن من أسعد الناسِ
وهو المقدم والمختار بينهم   كالرأس ما في الفتىٰ أعلىٰ من الرأسِ

وقال آخر :

العلم للمرء مثل التاج للمَلِكِ   والعلم للمرء مثل الشمس للفلكِ
فاشدد يديك بحبل العلم معتصماً   فالعلم للمرء مثل الماء للسمكِ

وأنشد آخر :

العلم زين وفخر لا خفاء به   من ناله نال أعلىٰ عالي الرتبِ
يكسو الفتىٰ حللاً تبقىٰ عليه وما   نال الفتىٰ حلة أبهىٰ من الأدبِ

وقد قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في بعض مصنفاته : أوصيك يا أخي بإحسان الظن بالعلماء ، ومن جملة إحسان الظن بهم :

أن تطلب لكلامهم وجهاً وعذراً ما أمكن ، فإن لم تعثر عليه .. فتتهم نفسك عن دركه ، والله أعلم .

وقال رحمه الله في كتابه « الإملاء علىٰ مشكل الإحياء » : لا تعجل علىٰ أحد بالتخطئة ، ولا تبادر بالتجهيل ؛ فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر ؛ فلكل عالم غور ، وله في بعض ما يأتي به احتجاجات ، والله الموفق بكرمه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « كل صاحب علمٍ غرثان[1] إلىٰ علمٍ » رواه الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه .

وإن العلماء كلهم والحكماء من المتأخرين ومن سبقهم من القدماء هم الذين يجدون للعلم لذة تفوق سائر اللذات ، ويحقرون عندها لذة الملوك وسائر الطيبات ، فيعكفون علىٰ إدمان النظرِ فيه والمطالعات ، ويأنسون بالمذاكرة فيه وكثرة المراجعات ، ويرون أنسهم بذلك خيراً من أنس النديم ، وألذ من الرحيق المختوم ، والذي ختامه مسك ومزاجه من تسنيم ، وفي ذلك أنشد إمامنا الشافعي رضي الله عنه ـ آمين ـ :

لمحبرة تجالسني نهاري ... أحب إليَّ من أنس الصديقِ
ورزمةُ كاغدٍ في البيت عندي ... أحب إليَّ من عدلٍ دقيقِ
ولطمة عالم في الخد مني ... أحب إليَّ من شرب الرحيقِ

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ أيضاً :

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا ... واستبدوا بالرأي دون الجليسِ
أو خدمناهم بقبض وبسط ... كان أدعىٰ إلىٰ دخول الحبوسِ

(١) الغرثان : الجائع .

أو صحبنا التجار عدنا إلى اللو ... م وصرنا إلىٰ حساب الفلوسِ

أو لزمنا السلاح نبغي به العز ... تعـدىٰ إلـى احتـرام النفـوسِ

فلـزمنـا البيـوت نتخـذ الحِبـرَ ... ونطلـي بـه وجـوه الطـروسِ

ونـاجي العلـوم فـي كـل فـن ... عِوَضاً عن منادمات الكؤوسِ

وأنشد الإمام أبو محمد اليحيوي لنفسه في مسجده بمدينة دار السلام بغداد :

اجعل كتابك كالصندوق تفتحهُ ... فتـأخـذ المـال منـه ثـم تطبقـهُ

فالمال يذهب فيما لا التذاذ به ... والعلم يبقىٰ ويبقىٰ فيك رونقهُ

فيه الجمال على التأبيد تلبسهُ ... وهو الذي للسان العي ينطقهُ

وعن علي كرم الله وجهه أنه قال : (الكتب جلاء القلوب ، ومسلاة الهموم ، ولنعم الصاحب الكتاب في الحضر والسفر) .

وقال بهاء الدين بن حمدون رحمه الله : وجدت الكتاب خير صاحب وقرين ، وأفضل رفيق وخدين ؛ لا يخون ولا يمين ، ولا يماكر ولا يناكر ، ولا يعصي ولا ينافر ، مأمون الهفوة والزلة ، محمود الخلوة والخلة ، فهو لمن وُفِّق للاعتزال أسلمُ خليل ، وأكرم أخ بر وصول .

وكتب بعض الأعاجم علىٰ خزانة كتبه ما هـٰذه صورته :

إذا ما خلا الناس في دورهم ... بخمـرِ سُـلافٍ وخُـود كعـابْ

وآنسهـــم حسنـــات الليـــال ... بعزِّ الندامىٰ وزهر الصحابْ

خلوت وصحبي كتب العلوم ... وبيت عروسيَ بيت الكتابْ

ودرسُ العلوم شرابُ العقول ... فـدوروا علـيَّ بـذاك الشـرابْ

ومـا يجمـعُ المـرءُ فـي دهـره ... سـوى العلـم يجمعـه للتـرابْ

وقال غيره عفا الله عنه ، آمين :

في كل شيء لذَّةٌ تُشتهى ... ولذَّةُ العالِمِ في كُتبهِ
وكلما قَلَّبَهُ زاده ... تقليبها لُبّاً إلىٰ لبِّهِ

وقال آخر عفا الله عنه :

أَنست إلى التفرد طول عُمري ... فما ليَ في البرية من أنيسِ
جعلت محادثي ونديم نفسي ... وأنسي دفتري بدل العروسِ

وأنشد بعضهم :

إذا ما خلوتُ من المؤنسينْ ... جعلت المُؤانِسَ لي دفترِي
فلم أخلُ من شاعرٍ محسنٍ ... ومن عالم صالح منذرِ
ومن حِكَم بين أثنائها ... فرائد للناظر المُفْكِرِ

وأنشد بعضهم :

لذةُ العيش أن تكون مُكبّاً ... أبدَ الدهر ناظراً في كتابِ
إنما الكُتْبُ نزهةٌ وبَسَاتِيـ ... ـنُ وفيها فكاهةُ الألبابِ
فاعص من لام في الحديث وفي الكُتْـ ... ـبِ ففيها معادنُ الآدابِ

وروى الخطيب في « جامعه » عن ابن عباس مرفوعاً : « حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر ، وحفظ الرجل بعد ما يكبر كالكتاب على الماء » .

ويقال : إذا جالست العلماء . . فكن علىٰ أن تسمع أحرص منك علىٰ أن تقول .

قال الحسن : من أحسنَ عبادة الله في شيبته . . لقاه الله الحكمة في

سنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

قال بعض الحكماء من الصحابة : (تقول الحكمة : من التمسني فلم يجدني . . فليفعل بأحسن ما يعلم ، وليترك أقبح ما يعلم ، فإذا فعل ذلك . . فأنا معه وإن لم يعرفني) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ، فاغد أيها العبد عالماً أو متعلماً ، ولا خير في ما بين ذلك » رواه الديلمي عن علي كرم الله وجهه .

وروى الحاكم في « تاريخه » عن أنس : (طلب الفقه واجب علىٰ كل مسلم) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة[1] والصيام والحج والجهاد في سبيل الله عز وجل » رواه الديلمي في « مسند الفردوس » عن ابن عباس .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » رواه ابن ماجه عن أنس .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام ، ويعطىٰ أجره مع النبيين » رواه الديلمي عن أنس في « مسند الفردوس » .

---

(١) يعني الصلاة النافلة .

وروى الديلمي عن ابن عباس : (كل علمٍ وبال علىٰ صاحبه إلا من عمل به) .

وفي « كشف الخفا » : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » رواه الترمذي عن ابن عمرو ، وأبو يعلىٰ عن أنس ، والعسكري عن أبي عبادة ابن الصامت رفعوه .

وفيه أيضاً (ص١/ ١٨١) : « ما بدىء بشيء يوم الأربعاء إلا تم » ، قال في « المقاصد » : لم أقف له علىٰ أصل ، ولكن ذكر برهان الإسلام في كتابه « تعليم المتعلم » عن شيخه المرغيناني صاحب « الهداية » في فقه الحنفية : أنه كان يوقف بداية الدرس علىٰ يوم الأربعاء ، وكان يروي في ذلك حديثاً ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من شيء بدىء به يوم الأربعاء وإلا وقد تَمَّ » ، وقال : وهٰكذا كان يفعل أبي فيروي هٰذا الحديث بإسناده عن القوَّام أحمد بن عبد الرشيد . انتهىٰ من « كشف الخفا » .

قلت : وهكذا سمعنا من مشايخنا استحباب البدء في قراءة الكتب يوم الأربعاء ، أو في بدء أي شيء يريد الشخص إتمامه بسرعة ، وفي يوم السبت إذا كانوا يريدون إطالة مدته ، وهٰذا مجرب ثَمَّ .

قال العسقلاني عن بعض الصالحين : اشتكت الأربعاء إلى الله تعالىٰ من تشاؤم الناس بها فمنحها أنه ما بُدِىءَ بشيء فيها إلا تمَّ . انتهىٰ .

ومن كتاب « الغرر » للمحدث محمد بن علي خرد المتوفىٰ (٩٦٠هـ) : قال القاضي العالم الصالح أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفىٰ سنة (٣٦٦هـ) لنفسه :

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناسَ من داناهُمُ هان عندهم ومَنْ أكرمته عِزَّة النفس أكرِما
وما كل برقٍ لاح لي يستفزني ولا كل مَنْ لاقيت أرضاه مُنْعِما
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبِتْ أقلّبُ كفي إثره مُتندِّما
ولم أقضِ حَقَّ العلم إن كان كلما بدا طمعٌ صَيَّرته ليَ سُلَّما
إذا قيل هٰذا منهلٌ قلت قد أرى ولكن نفسَ الحر تحتمل الظما
ولم أبتذِلْ في خدمة العلم مهجتي لِأخدمَ من لاقيت لكن لأُخْدَما
أأشقىٰ به غرساً وأجنيه ذِلَّة إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولَو أنَّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذلوه فهانوا ودنسوا مُحيَّاه بالأطماع حتىٰ تجهما

قال العلامة ابن التقي السبكي عقب إيراده لهٰذه الأبيات في كتابه « معيد النعم ومبيد النقم » : لقد صدق القائل : لو عظموا العلمَ . . لَعَظَّم ، وإنما أقوله بفتح العين (لعَظَّم) فإن العلم إذا عُظِّم . . عَظَّم ، وهو في نفسه عظيم .

ولهٰذا : أقول : ولكن أهانوه فهانوا ، وقد نحا شيخ الإسلام ابن دقيق العيد[1] نحو هٰذا ، وذكر أبياتاً لابن دقيق العيد ، ثم ذكر أبياتاً

(١) العلامة الإمام ، من كبار الشافعية ، واسمه محمد بن عبد الله بن وهب ، وغلب لقبه ابن دقيق العيد على اسمه ، وهو مجدد القرن السابع ، كان علىٰ مذهب مالك ثم رجع شافعياً ، نال درجة عالية في العلم ، مغرماً بالقراءة والبحث والتدقيق ، كانت زوجته غنية تنفق عليه ، وعند خروجه ليخطب في العيد قالت له : نبغي دقيق العيد ، فخرج إلى الجامع ويقول : دقيق العيد ، يا رب ؛ سهل دقيق العيد ، ولما طلع المنبر . . قال : دقيق العيد ، فلقب دقيق العيد ، وتوفي بمصر يوم الجمعة في (٢١) صفر سنة (٧٠٢هـ) ودفن يوم =

أخرىٰ ، ومنها :

قد عاب لِلفقهِ قوم لا عقولَ لهم … وما عليه إذا عابوه من ضررِ
ما ضر شمسَ الضحىٰ والشمسُ طالعةٌ … أن لا يرىٰ ضوءَها من ليس ذا بصرِ

وقال غيره :

وألذ ما طلبَ الفتىٰ بعد التقى … علمٌ هناك يزينه طلبُه
ولكل طالب لذةٍ مُتَنَزَّهٌ … وألذُّ لذةِ عالم كُتُبُه

وأنشد المؤلف في العلم وأهله من كتاب « الغرر » :

العلمُ أسُّ أصول المجد أجمعها … ونورُهُ فعلك العصيان يُطفيهِ
فَعظِّم العلم كي تَعْظُم به وتزن … عند الخليقة والتقوىٰ تزدْ فيهِ
واتبع أوامره واعمل به لِتكُنْ … كالنجم عالٍ به جانب نواهيهِ
واكرم لأهليه إنْ شيتَ الكرامةَ والـ … إعزاز واسمع لِنصحي أنْ تلبيهِ
قُمْ بالحقوق لهم وارعَ لحرمتهم … فالله يكرم شخصاً حَبَّهم فيهِ
هم صفوة الخلق أهل الله قدوتنا … هم الهداة لنا الأعلام أهليهِ
السادة الأمنا الأخيارُ فاتَّبِعَنْ … واقتصْ لآثارهم واحذر من التيهِ
في وادي الجهل تهلك عند فرقتهم … فاقتد بهديهمُ واحلل بناديهِ

وأنشدوا أيضاً :

العلمُ ينهض بالخسيس إلى العلا … والجهل يقعد بالفتى المنسوبِ
فإذا الفتىٰ طلبَ الأمورَ بعقله … وأُعِينَ بالفرعين والتهذيبِ

= السبت ، وكان يوماً مشهوداً رضي الله عنه ، من إفادات العلامة سالم الشاطري حفظه الله .

سَمَتِ الأمورُ به فيبرز سابقاً في كل محضرِ مشهدٍ ومغيبِ

وقال غيره :

العلـــمُ آنَـــسُ صـــاحـــبِ أخلـــو بـــه فـــي وحـــدتـــي
فـــإذا اغتممـــتُ فسلـــوتـــي وإذا سلـــوتُ فلـــذتـــي

وقال غيره :

ولـمْ أرَ مـؤنِسـاً للهـم يشفـي ولا أسلـىٰ لِهَـمٍّ مـن كتـابِ

ومن « عيون الأخبار » لابن قتيبة : قال الأصمعي : قيل لِدُغفل النسابة : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم ؟ فقال : بلسانٍ سؤول وقلبٍ عقول ، وكنتُ إذا لقيت عالماً . . أخذت منه وأعطيته ، وكان يقال : المرء عالمٌ ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد عَلِمَ . . فقد جَهِلَ .

ويـذكـر عـن الإمـام علـي كـرم الله وجهـه : (قيمـة كـل امـرىء ما يحسن) .

ويقال : إذا أرذل الله عبداً . . حظر عليه العلم ، (أرذل الله عبداً) أي : لم يرض عنه ، قال الشاعر :

يُعَدُّ رفيع القوم من كان عالماً وإنْ لم يكن في قومه بحسيب
وإنْ حلَّ أرضاً عاش فيها بعلمه ومـا عـالـمٌ في بلـدةٍ بغـريـب

قال بزرجهر : ما ورَّثَتْ الآباء الأبناء شيئاً أفضل من الأدب ؛ لأنها تكتسب المال بالأدب وبالجهل تتلفه فتقعد عدماً منهما .

وفي كتاب « المهند » : العالِمُ إذا اغترب . . فمعه من علمه كاف ؛ كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه .

وكان يقال : العلم أشرف الأحساب ، والمودة أشد الأسباب .

قال الشاعر :

العلـم والحلـم خُلَّتـا كـرمٍ ... لِلمـرء زيـنٌ إذا هُمَـا اجتمعـا

صنـوانِ لا يستتـم حسنهمـا ... إلاَّ بجمـعٍ لـذا وذاك معـا

كم مِنْ وضيعٍ سَمَا به العلم ... والحلـم فنـال العـلاءَ وارتفعـا

ومـن رفيـع البِنـاء أضـاعهمـا ... أخملـه مـا أضـاع فـاتضعـا

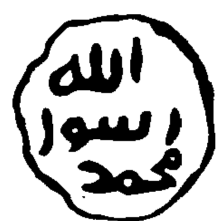
قال الأحنف : كاد العلماء أن يكونوا أرباباً ، وكل عز لم يؤكد بعلم فإلىٰ ذل يصير .

وقال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان. . فلا يعجبنك ذلك ؛ فإن زوال الكرامة بزوالهما ، ولكن ليعجبك إن أكرموك لدينٍ أو أدب .

❋ ❋ ❋

رسائله وكتبه صلى الله عليه وآله وسلم

ولما رجع صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية . . كتب إلى الروم ، فقيل له : إنهم لا يقرءون كتاباً إلا أن يكون مختوماً ، فاتخذ صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر (محمد) سطر و(رسول) سطر و(الله) سطر .



وكتب إلىٰ هرقل وأرسل الكتاب مع دِحْية الكلبي .

وكتب إلىٰ كسرىٰ وأرسله مع عبد الله بن حذافة .

وكتب إلى النجاشي وأرسله مع عمرو بن أمية الضمري .

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية وأرسله مع حاطب بن أبي بلتعة .

وكتب إلى المنذر بن ساوىٰ وأرسله مع العلاء ابن الحضرمي .

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ ملكي عمان واليمن وأرسله مع عمرو بن العاص، وفي آخر الكتاب: وكتب أبي بن كعب وختم الكتاب .

وكتب عليه الصلاة والسلام إلىٰ صاحب اليمامة هوذة بن علي وأرسل به سليط بن عمرو العامري .

وكتب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني إلىٰ دمشق وأرسله مع شجاع بن وهب .

وقدم عليه صلى الله عليه وآله وسلم تميم بن أوس الداري في ستة نفر من قومه فأسلموا ، وكتب لهم كتاباً ، وفي آخره شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة ، وكتب ـ أي كتبه ـ شرحبيل .

ولما رجع صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك . . قدم عليه وفد تميم وقومه وطلبوا منه أن يجدد لهم كتاباً ، فكتب لهم كتاباً آخر ، وفي آخره : شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم .

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم ليوحنا بن روبة صاحب أيلة .

وكتب لأهل جرباء وأذرح .

وكتب عليه الصلاة والسلام لأبي ضميرة وأهل بيته ، وفي آخره : وكتب أبي بن كعب ، وله صلى الله عليه وآله وسلم كُتُبٌ غير هٰذه في بيان الزكاة والأحكام . انتهىٰ باختصار من « الأنوار المحمدية » للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله المولود سنة (١٢٦٥هـ) والمتوفىٰ ببيروت سنة (١٣٥٠هـ) .

وذكر السيد علي بن عبد الله السمهودي (٨٤٤/ ٩١١هـ) في كتاب « طِيب الكلام بفوائد السلام » (مطبوع) قال : وروى الحاكم عن معاذ رضي الله عنه : أنه مات له ابن فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعزيه : « بسم الله الرحمٰن الرحيم : من محمد رسول الله إلىٰ معاذ بن جبل ، سلام عليك ؛ فإني أحمد الله إليك الذي لا إلـٰه إلا هو ، **أما بعد :**

فأعظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ؛ فإن أنفسنا وأموالنا وأهلينا من مواهب الله عز وجل الهنية ، وعواريه المستودعة ، متعك الله به في غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كثير ، الصلاة والرحمة والهدىٰ ، إن احتسبته . . فاصبر ، ولا يحبط جزعك أجرك فتندم ، واعلم : أن الجزع لا يرد شيئاً ولا يدفع حزناً ، وما هو نازل فكأنْ قدْ ، والسلام » ، ثم قال الحاكم : حديث غريب حسن ، إلا أن فيه مجاشع بن عمرو وليس من شرط هٰذا الكتاب .

وكتب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس رضي الله عنهما : (**أما بعد** :

فإن الإنسان يسره دركُ ما لم يكن ليفوته ، ويسوؤه فوتُ ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلتَ من دنياك فَرِحاً ، ولا بما فاتك تَرِحاً ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمل ، فكأن قد ، والسلام) .

وفي حديث أنس مرفوعاً : « ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها ؟ » قلت : بلىٰ بأبي وأمي يا رسول الله ؛ قال : « متىٰ لقيت من أمتي أحداً . . فسلم عليه يطل عمرك ، فإذا دخلت بيتك . . فسلم عليهم يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحىٰ ؛ فإنها صلاة الأبرار » أخرجه البيهقي في « الشعب » ، والسهمي في « تاريخ جرجان » انتهىٰ .

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنت لأخرج إلى السوق وما لي حاجة إلا أنْ أُسلِّمَ ويُسَلَّم عليَّ) انتهىٰ .

❋ ❋ ❋

كُتَّاب رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم

ذكرهم الحافظ أبو القاسم في « تاريخ دمشق » أن كُتَّابَهُ عليه الصلاة والسلام ثلاثة وعشرون كاتباً ، وروىٰ ذلك بأسانيده ، وهم كالآتي :

أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب ، الزبير بن العوام ، أبي بن كعب ، زيد بن ثابت ، معاوية بن أبي سفيان ، محمد بن مسلمة ، الأرقم بن أبي الأرقم ، أبان بن سعيد بن العاص ، أخوه خالد بن سعيد ، ثابت بن قيس بن شمَّاس ، حنظلة بن الربيع ، خالد بن الوليد ، عبد الله بن الأرقم ، عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، العلاء بن عتبة ، المغيرة بن شعبة ، وزاد غيره : شرحبيل بن حسنة ، رضي الله عنهم .

وكان أبي بن كعب أول من كتب للرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة ، وكان أكثرهم زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عن أصحاب رسول الله وآل بيته أجمعين . انتهىٰ من كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » للإمام النووي .

وفي « بهجة المحافل » للعامري ذكر عددهم خمسة وعشرين كاتباً ، وفي « الأنوار المحمدية للنبهاني » ذكر تسعة وعشرين كاتباً ، ومنهم : طلحة بن عبيد الله ، سعيد بن العاص ، سعد بن أبي وقاص ، عامر بن فهيره ، يزيد بن أبي سفيان ، معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ، جُهيم بن

الصامت ، عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ بن سلول ، عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، حويطب بن عبد العزى العامري ، رضي الله عن آل رسول الله وأصحابه أجمعين .

ومن كتاب « نور العيون فيما يجب اعتقاده والعمل به » تأليف الشيخ العلامة شيخنا محمد عوض بافضل (١٣٠٣/١٣٦٩هـ) ننقل منه ما يلي : أسماء الرسل عليهم الصلاة والسلام خمسة وعشرون ، جمعها السيد المرزوقي بقوله :

هم آدم إدريس نوح هود مَعْ صالحْ وإبراهيم كلٌّ مُتَّبعْ
لوط وإسماعيل إسحاق كذا يعقوب يوسف وأيوب احتذا
شعيب هارون وموسىٰ واليسع ذو الكفل داوود سليمان اتبع
إلياس يونس زكريا يحيى عيسىٰ وطه خاتم دع غيا

وفي نسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن الجوزي :

محمد عبدُ الله شيبةُ هاشمٌ منافٌ قصيٌّ مع كلابِ ومُرَّةِ
وكعبٌ لؤيٌّ غالب فهرُ مالكٌ ونضرٌ كنانةُ وهو إبن خزيمةِ
ومدركةٌ إلياسُ مع مضرٍ تلا نزارٌ معدٌّ ثم عدنانُ صحةِ

وقال جامع هٰذه « الرسالة » طه بن حسن بن عبد الرحمٰن السقاف نزيل المدينة المنورة قصيدة في نسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذكر أجداده ونسبه الشريف نظمها بتاريخ (١٢) شوال سنة (١٤٢١هـ) أولها :

أسماءُ أجدادِ الرسولِ محمدٍ هو ابنُ عبدِ الله عبد المطلبْ
ابن هاشم عبد منافٍ ينتمي لقصي بن كلاب مُقري المغتربْ

ابـن مـرة كعـب لـؤي غـالـب   فهر بن مالك ابن نضر قد كتبْ

وكنانة بن خزيمة أكرِمْ بهم   وهو ابن مدركة فخار قد حُسِبْ

إلياس ابن مضر ابن نزارهم   ومَعَدْ وعدنان لهم طه نسبْ

وإلىٰ هنا وقفت النبي مؤكداً   عدنان حقاً لِلذبيح قد نسبْ

وهو ابن سيدنا الخليل عليهما   أزكىٰ صلاة الله ما ماءٌ شُرِبْ

وفي أسماء أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نظمها بعضهم :

أولاد طـه قـاسـم فـزينـب   رقيـة ذات الجمـال البـاسمـه

فـأم كلثـوم ففـاطمـة فعبـ   ـد الله إبراهيم وهو الخاتمه

وزوجات الرسول التسع نظمها بعضهم بقوله :

توفي خير الخلق عن تسع نسوة   فخذ عدَّها نظماً وأصْغِ له السمعا

فتاة أبي بكر وحفصة زينب   ورملة هند ثم ميمونة تدعى

جـويـريـة مـع سـودة وصفيـة   كَمُلَنْ بهـٰذا النظم يا سائلي تسعا

انتهىٰ من « نور العيون » لبافضل .

ومما أفادنا به شيخنا العلامة حسن بن عبد الله بن عمر الشاطري (١٣٤٦/ ١٤٢٥هـ) عن الشيخ محمد عوض بافضل : نظم بعضهم أسماء الصحابة الذين شاركوا في غسل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم خمسة رضي الله عنهم فقال :

لقد حضر المختارَ في الغسل خمسة   علي وعباس وفضل كذا وردْ

أسامةُ شقرانٌ ومن كتب اسمهم   علىٰ رأسه ما مسه ألم الرمدْ

وذكر لبعضهم هٰذه الأبيات :

عتبت على الدنيا فقلت إلىٰ متى تجودين بالهم الذي ليس ينجلي
فكل شريف من سلالة هاشم يكون عليه الرزق غير مسهل
فقالت نعم يا بن الأكارم إنني حقدت عليكم حين طلقني علي

❋ ❋ ❋

سيدنا الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

سيدنا الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ؛ هو : حبر الأمة والبحر ، سمي به ؛ لكثرة علمه .

عاش بعد ابن مسعود خمسة وثلاثين عاماً ، تشد إليه الرحال ويقصد من جميع الأقطار .

وعاش بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سبعة وأربعين عاماً يقصد ويستفتىٰ ويعتمد .

وهو أحد العبادلة الأربعة من الصحابة : ـ ابن عمر ، ابن عباس ، ابن الزبير ، ابن عمرو رضي الله عنهم .

وهو أحد الستة من الصحابة أكثر حديثاً في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم : أبو هريرة ، ثم ابن عمر ، ثم جابر ، وابن عباس ، وأنس ، وعائشة رضي الله عنهم .

روي له ألف وست مئة وستون حديثاً (١٦٦٠) .

الإمام البخاري رحمه الله

إمام المحدثين : محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤/ ٢٥٦هـ) الإمام الحجة الحافظ ، صاحب كتاب « الجامع الصحيح البخاري » اشتهر باسم جامعه العظيم ، ووقع له القبول والمحبة ، والاعتماد عليه في جميع الأقطار وجميع الأعصار .

عن محمد بن حاتم وَرَّاق البخاري عن الإمام البخاري قال : أُلهِمتُ حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب ، قلت : وكم أتىٰ عليك إذ ذاك ؟ فقال : عشر سنين أو أقل ، ولما طعنتُ في السنة السادسة عشر . . حفظتُ كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفتُ كلام هٰؤلاء ـ يعني : أصحاب الرأي ـ ولما طعنت في السنة الثامنة عشر . . حفظتُ كتاب « فضل الصحابة والتابعين » ، ثم صنَّفتُ التاريخ في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكنتُ أكتب في الليالي المقمرة ، وكل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة .

وقال البخاري : دخلتُ إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين .

وقال البخاري : كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث .

وقال البخاري أيضاً : لا يكون المحدث كاملاً حتىٰ يكتب عمَّن هو فوقه وعمَّن هو مثله وعمَّن هو دونه ، وأخرج الحاكم في « تاريخه » من شعر البخاري :

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوع   فعسىٰ أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيتَ من غير سقم   ذهبت نفسه الصحيحة فلته

ويروى البيت الثاني هٰكذا :

كم سقيم قد عاش دهراً طويلاً   وصحيح قد مات من غير عله

قال حاشد بن إسماعيل : كان البخاري يختلف معنا إلىٰ مشايخ البصرة وهو غلام ، ولا يكتب حتىٰ أتىٰ علىٰ ذلك أيام ، فلمناه بعد ستة عشر يوماً فقال : قد أكثرتم علي ، فاعرضوا علي ما كتبتم ، فأخرجناه فزاد علىٰ خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتىٰ جعلنا نحكم كتبنا علىٰ حفظه .

وقصته : لما دخل بغداد وسمع به أصحاب الحديث وأرادوا امتحان حفظه . . فعمدوا إلىٰ مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هٰذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هٰذا المتن لمتن آخر ودفعوها إلىٰ عشرة أنفس كل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري ، ثم إنه فَنَّدها لهم ووضحها وقال : هٰذا حديث سنده كذا ومتنه كذا ، وهٰذا السند لحديث آخر . . . وهٰكذا صَحَّحَ الأسانيد والمتون ، ووضح لهم أن الأسانيد والمتون التي ألقوها مختلفة ومبدلة وغير صحيحة والصحة كذا وكذا ، فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل ، والعجب أنه حفظ الأخطاء التي قالوها وأتىٰ لهم بالترتيب لكلامهم الذي هو أغلاط ومبدل وصحح لهم الأحاديث كلها !

وقال البخاري : لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفتُ مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولستُ أروي حديثاً من الموقوفات على الصحابة والتابعين إلا وله أصل ؛ أحفظ ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال البخاري : أحفظ مئة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح .

وقال : ولو قيل لي : تمنَّ . . لما قمت حتىٰ أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة .

وقال له محمد بن حمدويه : تحفظ جميع ما أدخلت في مصنفاتك ؟ فقال : لا يخفىٰ علي جميع ما فيها ، وصنفت جميع كتبي ثلاث مرات .

وقيل له : هل من دواء للحفظ ؟ فقال : لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومته النظر ؛ يعني : في الكتب .

وقال البخاري : أقمتُ في المدينة بعد أن حججت سنةً أكتب الحديث ، وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتب أصنف وأحج وأرجع من مكة إلى البصرة ، وأنا أرجو الله أن يبارك الله تعالىٰ للمسلمين في هٰذه المصنفات[1] ، وتذكرتَ يوماً أصحاب أنس رضي الله عنه فحضرني في

---

(١) قال جامعه طه بن حسن السقاف : وأنا العبد الفقير أرجو الله تعالىٰ أن يجعل ما كتبته وجمعته من أشعار ومديح في المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ، وما كتبته من مؤلفات وتراجم نرجو الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ويعم النفع به للمسلمين ومقبولاً لديه ، آمين ، وبعض ما أكتبه أراجعه وأقرأه في الحرم النبوي الشريف ، والحمد لله .
وفي يوم الاثنين (٥ جماد أول ١٤٣٠هـ) كنت في الروضة في الحرم وبدأت في قراءة هٰذه الرسالة ومراجعتها وتصحيحها ، وكتبت هٰذا وأنا في الروضة جوار المنبر ، تقبل الله ذلك وجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ورزقنا حسن الخاتمة في المدينة المنورة في خير وعافية ، آمين .
وكتبت هٰذا في الروضة الشريفة ، وصليت الضحىٰ في الروضة الشريفة ، وقمت أمام المواجهة الشريفة ، وسلمت على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وسلمت علىٰ صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومعي هٰذه الرسالة المباركة ، والحمد لله .

ساعة ثلاث مئة نفس ، وما قدمتُ علىٰ شيخ إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به .

وقال : صنفتُ « الجامع الصحيح » في المسجد الحرام وما أدخلتُ فيه حديثاً حتى استخرتُ الله تعالىٰ وصليتُ ركعتين وتيقنتُ صحته[1] .

وقالوا : إن الإمام حَوَّلَ تراجم جامعه « الصحيح » بين قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره ، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين ، وقد سمع من الإمام البخاري كتاب « الجامع الصحيح » تسعون ألفاً .

وله مؤلفات كثيرة ، منها : « الأدب المفرد » ، و« التاريخ الكبير » ، و« الضعفاء » ، و« الجامع الكبير » ، و« المسند الكبير » ، و« التفسير الكبير » انتهىٰ باختصار من مقدمة « فتح الباري » .

وقال الإمام البخاري : صنفتُ « الصحيح » ست عشرة سنة ، وخرجته من ست مئة ألف حديث ، وجعلته حجة بيني وبين الله تعالىٰ .

وذكر الإمام النووي عن الحافظ صالح بن محمد بن جزره قال : كان الإمام البخاري يجلس ببغداد وكنت أستملي له ، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألف شخص .

وذكر شيخنا محمد بن هادي السقاف : أن الإمام البخاري كان يحفظ من مرة واحدة .

---

(١) رضي الله عن الإمام البخاري ، وهنيئاً له ، ونرجو الله أن يكرمنا كما أكرمه ، ويتقبل منا كما تقبل منه ، ويجزيه خير الجزاء في الدارين .

الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠/ ١٥٠) توفي ببغداد .

إمام أصحاب الرأي ، وفقيه أهل العراق .

رأىٰ أنس بن مالك ، وسمع عطاء بن أبي رباح ومحمد ابن المنكدر ونافعاً وهشام بن عروة .

وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان .

وقال الفضيل بن عياض : كان أبو حنيفة فقيهاً معروفاً بالفقه ، مشهوراً بالورع ، وسيع الصدر ، معروفاً بالإفضال ، صبوراً علىٰ تعليم العلم بالليل والنهار ، كثير الصمت ، قليل الكلام حتىٰ ترد مسألة في حلال أو حرام ، وكان يُحسِن يدل على الحق هارباً من السلطان .

وعن ابن المبارك قال : ما رأيتُ في الفقه مثل أبي حنيفة .

وعن وكيع قال : ما لقيتُ أفقه من أبي حنيفة ، ولا أحسن صلاة منه ، وكان لا ينام الليل ، وصلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ، ولما زار الإمام الشافعي ضريح الإمام أبي حنيفة في بغداد . . ترك القنوت في صلاة الفجر ؛ تعظيماً له واحتراماً .

وأخذ أبو حنيفة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، ولازمه سنتين .

وكان يقول : لولا السنتان مع الإمام جعفر عليه السلام . . لهلكت .

توفي ببغداد سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٠م) ، وبنيت عليه قبة عظيمة .

الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله

الإمام إسحاق بن راهويه : مات سنة (٢٣٨هـ) وعمره (٧٧) سنة ، الإمام الفقيه الحافظ .

صنف الكتب وفرَّع على السنن .

قال أبو داوود الخفاف : أملأ علينا إسحاق من حفظه إحدىٰ عشر ألف حديث ، ثم أقرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

قال إبراهيم بن أبي طالب : أملأ « المسند » كله من حفظه ، وقرأها مرة من حفظه ، وأملأ التفسير عن ظهر قلب ، وسمي والده راهويه ؛ لأنه ولد في الطريق .

الشيخ أبو بكر ابن المنذر النيسابوري رحمه الله

الشيخ أبو بكر ابن المنذر النيسابوري : المتوفىٰ بمكة سنة (٣٠٩هـ) الإمام المجمع علىٰ إمامته وجلالته ووفور علمه ، وجمعه بين التمكن في علمي الحديث والفقه .

وله المصنفات المهمة الجامعة النافعة في الإجماع والخلاف وبيان مذاهب العلماء ، منها : كتاب « الإجماع » وكتاب « الإشراف » .

وله من التحقيق في كتبه ما لا يقاربه أحد .

وله عادات جميلة في كتبه : أنه إن كان في المسألة حديث صحيح . . قال : ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذا ، أو : صح عنه كذا ،

وإن كان فيها حديث ضعيف . قال : روينا ، أو قال : يُروىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذا ، وهٰذا هو الأدب الذي سلكه هو طريق المحدثين ، وقد أهمله أكثر الفقهاء وغيرهم .

الإمام مالك بن أنس رحمه الله

الإمام مالك بن أنس (٩٣/١٧٩هـ) بالمدينة المنورة : إمام دار الهجرة من تابعي التابعين .

سمع نافعاً والزهري ومحمد بن المنكدر وأبا حازم .

واجتمعت طوائف العلماء علىٰ إمامته وجلالته والإذعان له في الحفظ والتثبيت وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال البخاري : أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال الشافعي : إذا جاء الأثر . . فمالك النجم .

وكان مالك إذا شك في شيء من الحديث . . تركه كله ، وكان مالك إذا أراد أن يخرج يحدث الناس . . توضأ وضوءه للصلاة ، ولبس أحسن ثيابه ومشط لحيته ، فقيل له في ذلك فقال : أُوقر حديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أخذ مالك عن تسع مئة شيخ ، منهم ثلاث مئة من التابعين ، وست مئة من تابعي التابعين .

وكان مالك يحدث فلدغته عقرب (١٦) مرة فكان يتغير ويتلوىٰ ولا يقطع حديثه .

وقال القائل في الإمام مالك :

يأبى الجوابَ فما يُراجع هيبةً ... والسائلون نواكس الأذقانِ
أدبُ الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطانِ

وينسب للإمام مالك هٰذان البيتان :

إلٰهي نجني من كل ضيق ... بجاه المصطفىٰ مولى الجميع
وهب لي في مدينته قراراً ... ورزقاً ثم دفناً في البقيع

رزقنا الله ذلك بفضله وكرمه ، آمين .

أفادنا بهما شيخنا الإمام هدار بن محمد الهدار المتوفىٰ في المدينة المنورة جمادىٰ أول سنة (١٤١١هـ) وأجازنا فيهما رحمه الله .

وللإمام مالك كتاب في الحديث اسمه « الموطأ » وهو كتاب عظيم جامع .

الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله (١٦٤/ ٢٤١هـ)

الإمام المجمع علىٰ إمامته وجلالته ، وورعه وزهده ، وحفظه ووفور علمه .

ولد ببغداد ، ودخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة .

سمع سفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد ويحيى القطان وعبد الرزاق .

عن أبي زرعة قال : ما رأيت أحداً من المشايخ أحفظ من أحمد ابن حنبل ، حزرت كتبه فكانت اثني عشر حملاً وعدلاً كل ذلك يحفظه عن ظهر قلب .

وروىٰ عنه البخاري ومسلم وأبو داوود وأبو زرعة .

قال ابن مسهر : ما أعلم أحداً يحفظ علىٰ هٰذه الأمة أمر دينها إلا شاباً بالمشرق ؛ يعني : أحمد ابن حنبل .

وقال علي بن المديني : قال لي سيدي أحمد بن حنبل : لا تحدث إلا من كتاب .

وعن إبراهيم بن خالد : كنا نجالس أحمد فيذكر الحديث ونحفظه ونتقنه ، فإذا أردنا أن نكتبه . . قال : الكتاب أحفظ شيء ، فَيَثِبُ ويجيء بالكتاب .

وعن أبي زرعة : ما رأيت أحداً أجمع من أحمد ابن حنبل ، وما رأيت أحداً أكمل منه ؛ اجتمع فيه زهد وفقه وفضل .

وقال الشافعي : ما رأيت أعقل من أحمد ابن حنبل وسليمان بن داوود الهاشمي .

وكان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث بأسانيدها ، وإذا جف القلم من كتابته للعلم . . مسحه في رأسه ولم يمسحه في ثوبه ، فقيل له في ذلك فقال : إن هٰذا أثر مداد العلم فلا أضعه في خرقة ؛ لعلها ترمىٰ في نجاسة .

وقال الإمام أحمد : ما من أحد بيده محبرة أو قلم إلا وللشافعي منة في عنقه .

وقد رحل ثلاثة من حفاظ الحديث من بغداد إلىٰ مكة لطلب الحديث ووصلوها علىٰ ثلاثة أيام طويت لهم الأرض ، وسافروا من مكة إلىٰ

صنعاء لمقابلة الإمام عبد الرزاق ، والثلاثة هم : أحمد ابن حنبل ، وعلي بن معين ، وعلي بن المديني ، ولما وصلوا إلىٰ صنعاء . . لم يأذن لهم عبد الرزاق ، ثم أذن أولاً للإمام أحمد ، ثم أذن لصاحبيه بعد ، وسافروا إلى المغرب ورحلوا إلىٰ عدة أقطار لأخذ الحديث .

الإمام يحيى بن معين أبو زكريا رحمه الله

الإمام يحيى بن معين أبو زكريا : توفي سنة (٢٣٣هـ) ، إمام أهل الحديث في زمانه ، وهو المعول عليه فيه .

سمع ابن المبارك ووكيعاً وابن عيينة ، وغيرهم ، وروىٰ عنه أحمد ابن حنبل وزهير بن حرب والبخاري ومسلم وأبو داوود .

أجمعوا علىٰ إمامته وتوثيقه وحفظه وجلالته .

ويقول : كتبت بيدي هـٰذه ست مئة ألف حديث .

قال ابن عقبة : وأظن أن المحدثين كتبوا له ست مئة ألف حديث وست مئة ألف حديث .

وقال محمد بن عبد الله : خلَّف يحيىٰ من الكتب مئة قمطراً وأربعة عشر قمطراً وأربعة حباب مملوؤة من الكتب[1] .

قال البخاري : توفي يحيى بن معين بالمدينة المنورة سنة (٢٣٣هـ) وعمره سبعة وسبعون إلا عشرة أيام ، واتفقوا علىٰ أنه توفي بالمدينة ، وغسل على السرير الذي غسل فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) **القمطر** : ما يصان فيه الكتب ، **والحباب** : ما يجمع فيها الكتب . وذكر الشافعي أنه يكتب في العظام والأكتاف ما ملأ حُبَّان مما كتبه .

وسلم ، وحُمِلَ على السرير الذي حمل فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ونودي عليه : هٰذه جنازة يحيى بن معين ذاب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وكذلك حمل علىٰ ذلك السرير سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه .

علي بن المديني رحمه الله

علي بن المديني : توفي سنة (٢٣٤هـ) .

قال البخاري : وهو بصري أصله من المدينة ، وكان أحد أئمة الإسلام المبرزين في الحديث ، صنف فيه مئتي مصنف لم يسبق إلىٰ معظمها .

قال عباس العنبري : كانوا يكتبون قيام ابن المديني وقعوده ولباسه وكل شيء يقول ويفعل .

سمع أباه وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة .

وروىٰ عنه أحمد ابن حنبل والبخاري ومعاذ بن معاذ .

عبد الله بن المبارك رحمه الله

عبد الله بن المبارك : توفي سنة (١٨١هـ) وهو ابن ثلاثة وستين سنة ، الإمام المجمع علىٰ إمامته وجلالته في كل شيء ، الذي تُستنزل الرحمة بذكره وتُرتجى المغفرة بحبه ، من تابعي التابعين .

سمع هشام بن عروة ويحيى الأنصاري والأعمش .

وروىٰ عنه الثوري وجعفر بن سليمان والفضيل بن عياض وعبد الرزاق ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة .

قالوا فيه : جمعَ العلمَ والفقهَ والأدبَ ، والنحوَ واللغةَ ، والزهدَ والورعَ ، والإنصافَ وقيامَ الليل ، والشجاعةَ والسخاءَ ، وكان من رواة العلم .

قال أحمد ابن حنبل : لم يكن في زمن ابن المبارك أطلب منه للعلم ، رحل إلى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة .

وكان هارون الرشيد بالرقة فقدم ابن المبارك فأشرفت أم ولد من قصر الرشيد فرأت الزحام والخلق الكثير والغبار الكثير فقالت : من هٰذا ؟ قالوا : عالم من خراسان ، فقالت : ابن المبارك ؟! ثم قالت : هٰذا الملك ، لا ملك هارون الرشيد الذي لا يجمع الناس إلا بالسوط والخشب .

وكان ابن المبارك سنة يذهب إلى الحج وسنة يذهب إلى الجهاد والغزو .

وله كتاب « الزهد » وكتاب « أربعين حديثاً » رحمه الله .

أبو حامد الإسفرايني رحمه الله (٣٤٤/ ٤٠٦هـ)

أبو حامد الإسفرايني ، قال الخطيب : قال أبو حامد : ولدت سنة (٣٤٤هـ) وقدمت بغداد سنة (٣٦٤هـ) .

ودرس الفقه من عام (٣٧٠هـ) إلىٰ وفاته ، وكان يحضر درسه ست مئة فقيه ، وتوفي سنة (٤٠٦هـ) .

أبو أيوب سليمان بن حرب رحمه الله (١٤٠/ ٢٢٤هـ)

أحد الأعلام الحفاظ ، ولي قضاء مكة .

قال أبو حامد : ظهر من حديثه نحو عشرة آلاف حديث ، ولقد حضرت مجلسه فحزروا من حضر أربعين ألف رجل .

عبد الله بن وهب رحمه الله (١٢٥/ ١٩٧هـ)

عبد الله بن وهب : كان ديوان العلم ، جمع الفقه والعبادة والرواية .

حَدَّثَ بمئة ألف حديث وعشرين ألف حديث كلها عن حرملة بن يحيىٰ إلا حديثين .

أبو الوفاء علي بن عقيل الظفري رحمه الله (. . . / ٥٣١هـ)

أبو الوفاء : علي بن عقيل الظفري من علماء الحنابلة ، توفي سنة (٥٣١هـ) .

له مصنفات ، منها : كتاب « الفنون » الذي يزيد علىٰ أربع مئة مجلد ، وقيل : ثمان مئة مجلد .

الإمام محيي الدين يحيى النووي رحمه الله (٦٣١/ ٦٧٦هـ)

الإمام محيي الدين يحيى النووي : الإمام الحافظ ، الثبت الحجة ، الورع الزاهد ، شيخ الإسلام وعلم الأعلام .

حفظ « التنبيه » في أربعة أشهر ونصف ، وقرأ ربع « المهذب » حفظاً علىٰ شيخه الكمال بن أحمد في باقي السنة ـ سبعة أشهر ونصف ـ .

ثم حج مع أبيه ، وأقام بالمدينة شهراً ونصفاً .

وكان يقرأ كلّ يوم اثني عشر درساً في كثير من العلوم ، ولازم الاشتغال بالتصنيف ونشرِ العلم والأورادِ والعبادةِ والصيامِ والذكر ، وكان لا يضيع له وقت لا في ليل ولا في نهار حتىٰ في الطريق .

وله التصانيف الكثيرة والمشهورة بالسر والنور والبركة ، وهي مشهورة ومعروفة لدى الجميع في جميع الأعصار والأقطار ، ومنها : « المجموع » شرح « المهذب » و« الأذكار » و« شرح صحيح مسلم » و« رياض الصالحين » ، و« الأربعين حديثاً » ، و« تهذيب الأسماء واللغات » ، وغيرها كثير .

وقد ولي مشيخة دار الحديث في دمشق ، وفيها يقول السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى إلىٰ فُرُشٍ لها أصبو وآوي
لعلي أن أمسَّ بِحُرِّ وجهي مكاناً مسه قدم النواوي

والإمام النووي لم يتزوج ، وعاش خمسة وأربعين سنة ، وألف المؤلفات الكثيرة والكبيرة ، وبارك الله في عمره وفي كتبه ، ووضع لها القبول وعم بها النفع ، وانتشرت في جميع الأقطار لحسن نيته وإخلاصه .

قال بعضهم :

غير كتب النووي لا تعتمد وتنزه في رياض الصالحينْ

الإمام مسلم رحمه الله

الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦/١٦١هـ) ، جامع « الصحيح » باسمه ، وإمام أهل الحديث ، أجمعوا علىٰ جلالته وإمامته وعلو مرتبته .

وكتابه « الصحيح » لا يوجد مثله في حسن الترتيب ، وتلخيص طرق الحديث ، ودقائق الأسانيد ، وعدم التحويل والتكرار .

وهو من كبار علماء الحديث والمبرزين فيه ، ومن أهل الحفظ والإتقان ، والرحلة في طلب الحديث إلى الأقطار الكثيرة .

وقد سمع أحمد ابن حنبل وقتيبة بن سعيد ويحيى بن يحيىٰ وحرملة بن المثنىٰ ومحمد بن يسار ، وغيرهم كثير .

وللإمام مسلم جامعه « الصحيح » ، و« الكتاب المسند علىٰ أسماء الرجال » ، و« طبقات التابعين » وكتاب « العلل » وغيرها ، ورحل إلىٰ كثير من الأقطار .

سهل بن محمد الصعلوكي رحمه الله

سهل بن محمد الصعلوكي المتوفىٰ سنة (٣٨٧هـ) ، من فقهاء الشافعية ، كان في مجلسه أكثر من خمس مئة محبرة ، وقد تخرج به كثير .

قال الحاكم عنه : هو مفتي نيسابور ، وهو أكتب من رأينا من علمائنا وأنظرهم .

الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله

الإمام سفيان بن عيينة (١٠٧/ ١٩٨هـ) بمكة ، من تابعي التابعين ، اتفقوا علىٰ إمامته وجلالته وعظم مرتبته .

قال الإمام الشافعي : ما رأيتُ أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان ، وما رأيتُ أحداً أكف عن الفتيا منه ، وما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه .

وقال سفيان : قرأتُ القرآن وأنا ابن أربع سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين ، ثم لزمتُ العلماء بوصية أبي .

سعيد بن المسيب رحمه الله

سعيد بن المسيب : إمام التابعين ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقيل : لأربع ، ورأىٰ عمر ، وسمع منه ومن عثمان وعلي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، وغيرهم .

وروىٰ عنه جماعة من أعلام التابعين ، واتفق العلماء علىٰ إمامته وجلالته ، وتقدمه علىٰ أهل عصره في العلم والفضيلة ووجوه الخير .

قال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيتُ أحداً أعلم من سعيد بن المسيب .

وروينا عن سعيد قال : كنت أرحلُ الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .

وكانت زوجته بنت أبي هريرة ، وهو أعلم الناس بحديث أبي هريرة .

وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وقد جمعهم بعضهم بقوله :

ألا كل من لا يقتدي بأئمةٍ فقسمته ضيزىٰ عن الحق خارجة

فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

أسماء الفقهاء السبعة من التابعين : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عروة بن الزبير ، قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، خارجة بن زيد بن ثابت ، سليمان بن يسار ، أبو بكر بن عبد الرحمـٰن بن الحارث بن هشام ، سعيد بن المسيب ، رحمهم الله أجمعين .

محمد بن مسلم الزهري رحمه الله

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري : توفي سنة (١٢٤هـ) ، وعمره (٧٢) سنة ، من صغار التابعين ، سمع أنس بن مالك وسهل بن سعد والسائب بن يزيد ، وغيرهم ، ورأى ابن عمر رضي الله عنهم .

روينا عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم قال : قلت لأبي : بِمَ فاقكم الزهري ؟ قال : كان يأتي المجالس من صدرها ولا يأتيها من خلفها ، ولا يبقي في المجلس شاباً إلا سأله ، ولا كهلاً إلا سأله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقي فيها شاباً إلا سأله ، ولا كهلاً إلا سأله ، ولا فتىً إلا وسأله ، ولا عجوزاً إلا وسألها ، ولا كهلة إلا وسألها ، حتىٰ يحاول ربات الحجال .

وعن الليث قال : ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علماً منه .

وقال الشافعي : لولا الزهري . . ذهبت السنن .

ويقال : إنه أخذ القرآن ؛ أي : حفظه في ثمانين ليلة .

وقال الزهري : ما استودعت حفظي شيئاً فخانني .

الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله

الإمام وكيع بن الجراح (١٢٧/ ١٩٧هـ) ، من تابعي التابعين .

سمع إسماعيل بن أبي خالد والأعمش وهشام بن عروة والأوزاعي والسفيانين .

وروىٰ عنه ابن المبارك وابن مهدي وأحمد ابن حنبل وابن راهويه ، وأجمعوا علىٰ جلالته ووفور علمه ، وحفظه وإتقانه ، وصلاحه وتوثيقه واعتماده .

قال أحمد ابن حنبل : ما رأيت أوعىٰ للعلم ولا أحفظه من وكيع ، ما رأيته شك في حديث إلا يوماً واحداً ، ولا رأيت معه كتاباً ولا ورقة قط .

وقال أحمد : ما رأيتُ رجلاً قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب ، ويحفظ الحديث جيداً ، ويذاكر بالفقه مع ورع واجتهاد ، ولا يتكلم في أحد .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله :

شكوتُ إلىٰ وكيع سوءَ حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

وأعلمني بأن العلمَ نورٌ ... ونورُ الله لا يؤتاه عاصي

أبو بكر الشاشي رحمه الله

أبو بكر الشاشي (٤٢٩/ ٥٠٥هـ) ، فخر الإسلام ، لازم الشيخ أبا إسحاق ، وقرأ « الشامل » على ابن الصباغ ، ثم شرحه في عشرين مجلداً وسماه « الشافي » ، وانتهت إليه رئاسة العلم بعد شيخه أبي إسحاق الشيرازي رحمهما الله .

الإمام الذهبي رحمه الله

الإمام الذهبي صاحب « الميزان » (٦٧٣/ ٧٤٨هـ) .

قال السيوطي : تصانيفه تقارب المئة كتاب ، وعد منها ابن تَغْرِي خمسة وستين كتاباً ، منها وأهمها « تاريخ الإسلام الكبير » (٢١) مجلداً و« سير النبلاء » (١٥) مجلداً .

جمال الدين الأسنوي رحمه الله

جمال الدين الأسنوي (٧٢٣/ ٧٧٢هـ) ، له نحو ثلاث مئة مصنف .

الأذرعي رحمه الله

الأذرعي (٧٠٨/ ٧٨١هـ) ، له مؤلفات كبيرة وكثيرة ، ومنها : « قوت المحتاج لشرح المنهاج » .

الإمام البيهقي رحمه الله

الإمام البيهقي أبو بكر : أحمد بن الحسين (٣٦٤/ ٤٥٨هـ) ، إمام في الحديث والفقه .

رحل في طلب العلم فدخل بغداد والكوفة ومكة ، وغيرها ، بلغ شيوخه أكثر من مئة شيخ .

صنف زهاء ألف جزء ، منها : « السنن الكبرىٰ » عشرة مجلدات .

قال إمام الحرمين : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه مِنَّة إلا البيهقي ؛ فإن له المنة على الشافعي ، وعلىٰ كل شافعي ؛ لما صنف من نصرة المذهب ومناقب الشافعي .

الخطيب البغدادي رحمه الله

الخطيب البغدادي (٣٩٤/ ٤٦٣هـ) : عالم برع في علم الحديث حتىٰ صار حافظ زمانه ، بلغت تصانيفه أكثر من خمسين ، ذكر ياقوت منها (٥٦) كتاباً ، من أعظمها كتاب « تاريخ بغداد » (١٤) مجلداً .

القاضي الروياني رحمه الله

قاضي القضاة الروياني : عبد الواحد بن إسماعيل (٤١٥/ ٥٠٢هـ) ، يلقب بالبحر وفخر الإسلام .

قال : لو احترقت كتب الشافعي كلها . . لأمليتها من حفظي .

الإمام الغزالي رحمه الله

الإمام الغزالي حجة الإسلام : أبو حامد محمد بن محمد (٤٥٠/ ٥٠٥هـ) ، له أكثر من مئتي كتاب ، من أهمها « إحياء علوم الدين » و« جواهر القرآن » و« الأربعين الأصل » و« البداية » و« المستصفىٰ » و« البسيط » و« الوجيز » و« الخلاصة » و« منهاج العابدين » و« تهافت الفلاسفة » و« رسالة أيها الولد » ، وغيرها من الكتب الكبيرة والرسائل المختصرة .

وله القصيدة المنفرجة ، وأولها :

الشدة أودت بالمُهج يا رب فعجل بالفرج

وعددها (٥٩) بيتاً .

وكان الغزالي مدرساً في المدرسة النظامية ببغداد ، وألف مؤلفات كثيرة ، وانتشرت كثيراً ، ولا سيما كتابه العظيم « الإحياء » .

وفي مرضه كان « صحيح البخاري » واضعه علىٰ صدره وقَبَّلَهُ ثم توفي رحمه الله .

أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي (٣٩٣/ ٤٧٦هـ) : من كبار فقهاء الشافعية .

قال : كنت أعيد كل درس مئة مرة ، وإذا كان في المسألة بيت شعر يستشهد به . . حفظت القصيدة كلها من أجله .

وكان إمام الشافعية في بغداد ، والمدرس الأول في المدرسة النظامية ، ورحل إليه الناس من جميع الأمصار .

انتشرت تصانيفه شرقاً وغرباً ببركة إخلاصه ، من مؤلفاته كتاب « المهذب » الكتاب العظيم الجليل وكتاب « التنبيه » . انتهىٰ من « مجموع النووي » .

الإمام الواسطي رحمه الله

يزيد بن هارون الواسطي (١١٧/ ٢٠٦هـ) ، أحد الأئمة المشهورين بالحديث والفقه والصلاح .

ورویٰ عن سفيان الثوري ومالك .

ورویٰ عنه أحمد ابن حنبل .

كان حافظاً للحديث .

وعن يزيد قال : أحفظ عشرين ألف حديث بأسانيدها ولا فخر ، وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث .

ويقال : إن في مجلسه سبعين ألف شخص يحضرون .

فوائد متنوعة

وفي كتاب « السلسلة العيدروسية » : قال الإمام الشافعي رحمه الله : تفقه قبل أن ترأس ، فإذا ترأست . . فلا سبيل إلى التفقه .

وقال بعض المشايخ : من لم يتعلم في صغره . . لم يتقدم في كبره .

وعن قتادة : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل ؛ أي : سنة .

وقال وهب بن منبه : إن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عالم عاقل ؛ فإنه أشد عليه من مئة ألف عابد جاهل .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الحكمة تزيد الشريف شرفاً » .

ومن كلام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (من جالس العلماء . . وُقِّر ، ومن مزح . . استخف به ، ومن أكثر من شيء . . عُرِفَ به ، ومن عُرِفَ بالحكمة . . لاحظته العيون بالوقار ، ومن كَثُرَ كلامه . . كَثُرَ خطؤه ، وإذا تم عقل الرجل . . قل كلامه ، المرء مخبوءٌ تحت لسانه) .

قال بعض الحكماء : القلوب تحتاج إلىٰ أقواتها من الحكمة كما تحتاج الأجسام إلىٰ أقواتها من الطعام .

وقيل : الحكمة ترفع المملوك حتىٰ تجلسه مجالس الملوك .

وقال سيدنا علي رضي الله عنه : (العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، العلم يرفع الوضيع ، والجهل يضع الرفيع ، كفىٰ بالعلم شرفاً أن يَدَّعِيَهُ من لا يحسنه ، ويفرح به إذا نسب إليه ، وكفىٰ بالجهل ضِعَةً أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إليه ، سادة الأمة الفقهاء) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : من أراد الدنيا والآخرة . . فعليه بالعلم . انتهىٰ من « السلسلة العيدروسية » .

وفي « نفح الطيب » (ج٣ ص٢٦٣) : روى ابن عساكر بسنده عن الإمام مالك بن أنس : لا يُحمل العلم عن أهل البدع كلهم ، ولا يحمل

العلم عمَّن لا يعرف بالطلب ومجالسة العلماء ، ولا يحمل العلم عمَّن يكذب في حديث الناس وإن كان في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً ؛ لأن الحديث والعلم إذا سُمِعَ من العالم . . فقد جعل حجة بين الذي سمعه وبين الله تعالىٰ . انتهىٰ من « نفح الطيب » .

الشبراملسي رحمه الله

الشيخ نور الدين علي بن علي الشبراملسي الأزهري الشافعي (٩٩٧/ ١٠٨٧هـ) : علامة فقيه محقق .

له مؤلفات كثيرة ، حكي : أنه لا يطالع إلا « تحفة ابن حجر » ، فرأى الشمس الرملي يقول له : أحي كتابي أحيا الله قلبك ، فاشتغلَ بـ« النهاية » .

وكان جبلاً من جبال العلم ، لا يضجر من البحث ولا يمل من المذاكرة ، ويحب طلبة العلم ويتلطف بالمتعجرف .

ابن عبسين رحمه الله

العلامة القاضي عبد الله بن محمد بن عبسين المتوفىٰ (٩٠٨هـ) حصلت له قصة مع العلامة محمد عمر بحرق[1] المتوفىٰ في القرن العاشر ؛ حصل بينهما خلاف في مسألة وطال الخلاف بينهما ، وهي

---

(١) محمد عمر بحرق (٨٦٩/ ٩٣٠هـ) له مؤلفات ، منها : « الحديقة » ، وأخذ عن الإمام أبي بكر العدني بن عبد الله العيدروس ، وكتب له ترجمة .

مذكورة في « النور السافر » للعيدروس ، ثم ظفر ابن عبسين بالنقل من « الروضة » ، فلما رآه العلامة بحرق . . رجع إلىٰ قول ابن عبسين ، ثم رقى المنبر واعترف بأن الحق مع ابن عبسين ورجع عن رأيه ، ذكره عمر بن علوي الكاف المتوفىٰ سنة (١٤١٢هـ) في كتابه « خلاصة الخبر » عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر (ص٤٠٧) .



(ح) لتحويل السند

عند المحدثين وفي كتبهم وفي الأسانيد والمسلسلات والإجازات تكتب (ح) لتحويل السند ؛ وهي تكتب للحديث الذي له إسنادان أو أكثر .

قال الإمام العراقي في « الألفية » :

وكتبوا عن انتقال من سندْ   لغيره ح انْطَقُن بها وقد
رأى الرهاوي أنها لا تُقرأَ   وأنها من حائل وقد رأى
بعض أولي الغرب بأن يقولا   مكانها الحديث قط وقيلا
بل حاء تحويل وقال قد كُتب   مكانها (صح) فـ(حا) منها انتُخب

وفي « فضل العلم » : قال شيخنا الإمام الكبير محمد بن هادي بن حسن بن عبد الرحمٰن السقاف (١٢٩١/ ١٣٨٢هـ) : قال رضي الله عنه في وصيته لأخيه السيد عبد القادر بن هادي ـ وتاريخها (٩ شوال ١٣٥٢هـ)ـ قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب أن ينظر إلىٰ عتقاء الله من النار . . فلينظر إلى المتعلمين ، فوالذي نفسي بيده ؛ ما من متعلم يختلف إلىٰ باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ، وبُنِيَ له بكل قدم مدينة في الجنة ، ويمشي في الأرض تستغفر له الأرض ، ويمسي ويصبح مغفوراً له ، وتشهد الملائكة لهم بأنهم عتقاء الله من النار » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من طلب العلم لغير الله . . لم يخرج من الدنيا حتىٰ يأتي عليه العلم فيكون لله ، ومن طلب العلم لله . . فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله ، وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهباً له فَأَنْفَقَهُ في سبيل الله » .

وعن الحسن مرفوعاً : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام . . كان بينه وبين الأنبياء درجة في الجنة » انتهىٰ .

وفي مجموع كلام شيخنا محمد المذكور الجزء الثاني من « تحفة الأشراف » (ص٣٩٤) ، وهو جمع تلميذه السيد أحمد بن علوي بن سقاف الجفري[1] في ثلاثة أجزاء مخطوطة ، المتوفىٰ بإندونيسيا قال : وكان بعضهم إذا أتاه النوم وهو يطالع . . اكتحل بالملح ، وكنت عند شيخنا الحبيب شيخان بن محمد الحبشي المتوفىٰ بسيؤون سنة (١٣١٣هـ) وتذاكرنا نحن وإياه في المجاهدات ، فقال الحبيب شيخان : كنت أيام طلبي للعلم إذا جاءني النوم أكتحل بالملح .

وكان الحبيب علوي بن محمد بن عمر بن سقاف وفاته (١٢٨٤هـ) الذي له « حاشية » على « التحفة » كان يحمل معه « التحفة » و« فتح الجواد » و« القاموس » والكتب كلها قلم وهي كبيرة وثقيلة .

وكان الحبيب عبد الله الحداد يسمي ولده حسناً (الحكيم) لزهده في الدنيا ، إذا انهدم منزل من داره . . هجره وجعل بينه وبينه حائطاً . . . وهٰكذا إلىٰ أن بقيت الضيقة[2] فجلس فيها ، ومن زهد في الدنيا . . فهو حكيم .

---

(١) توفي بجاوه : له كتاب « كفاية المريد في طريق الأسانيد » .

(٢) دهليز الدار .

ومن كلام الحبيب محمد بن هادي : وقد أمر سيدي محمد بقراءة « آداب طالب السلوك » لابن خفيف البغدادي الشيرازي[1] .

وأمر سيدي حينئذ بقراءة « آداب طالب السلوك » لابن خفيف ، وكان كثيراً ما يقرؤها لنا ، فلذا : أثبتها هنا مع وصية منه لي ولعدد من التلاميذ ، وهي مختصرة ، وطلب من كل تلميذ يكتب نسخة له ويكتب اسمه فيها ، وهي تأتي بعد « رسالة ابن خفيف » لاتحاد المقصود ؛ وهو نفع الطالب بما يقرب إلى الله المعبود مبتدأً بآداب ابن خفيف رحمه الله ، وهي هٰذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الكبير أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي قدس الله سره وروحه : يجب على المريد إذا أراد سلوك الطريق ، والخروج من المضيق

---

(١) أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي : توفي بتاريخ (٣) رمضان سنة (٣٧١هـ) وعمره خمسة وتسعون عاماً ، وكان من أولاد الأمراء ، فتزهد وجمع بين العلم والعمل وعلو السند ، وكان فقيهاً شافعياً وشيخ الصوفية ، وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه « الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتابه العزيز » (ص٩٨) : الشيخ العارف ، معدن المعارف أبو عبد الله بن خفيف ، ونقل عنه كلاماً منقولاً في « رسالة القشيري » وذكره فيها ، واسمه : محمد بن خفيف أبو عبد الله ، وقال أبو عبد الله رحمه الله : كنت أقرأ في ركعة واحدة عشرة آلاف (قل هو الله أحد) وربما أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله ، وأصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة ، ذكره في « الرسالة » .
قلت : من قبل سنتين بعدما وقفت علىٰ رسالته « آداب طالب السلوك » في كلام شيخنا وأنا أبحث عن أي إفادة أو معلومات عن أبي عبد الله وعن عصره ، وسألت عدداً من طلبة العلم فلم أجد إفادة أو معلومة ، وبعد البحث والاعتناء والاهتمام وفقني الله وله الحمد والشكر علىٰ ما ذكرته هنا ، وذلك عام (١٤٢٩هـ) .

إلى الشفيق الرفيق ، أن يحفظ هـٰذه الخصال التي أذكرها :

الأولىٰ : أن يبدأ بالندم علىٰ ما سلف من أيامه في الغفلة ، وأن يخرج من المظالم .

الثانية : أن يتعلمَ من العلم ما يستعمله في وقته .

الثالثة : لزوم الصمت والخلوة وذكر الله تعالىٰ في كل حال .

الرابعة : معرفة الله تعالىٰ في قيامه وقعوده وجميع أحواله .

الخامسة : ألا يستعمل شيئاً إلا بمشورة .

السادسة : أن يكون له أستاذ أو أخ ناصح .

السابعة : أن يوافق قلبه لسانه ، ولا تخطر الدنيا بباله .

الثامنة : أن يستعملَ الصدقَ في جميع أفعاله وأحواله وأقواله .

التاسعة : أن يضبط بطنه ولسانه ؛ فإن المريد إذا كان شره النفس أكولاً يحب الشهوات . . فإنه لا يجد ما يريد وتذهب أيامه في الغفلة والباطل ، وإذا كان كثير الكلام . . فإنه لا يسكن بقلبه ذكر الله ومراقبته ؛ فإن معصية اللسان أكبر من سائر المعاصي .

العاشرة : أن يستعملَ الأدب ، وألاَّ يتكلمَ إلا بما لا بد منه .

الحادية عشرة : ألاَّ يأكل حتىٰ يجوع ، ولا يشرب حتىٰ يعطش ، ولا ينام حتىٰ يغلب عليه النوم .

الثانية عشرة : ألاَّ يجلس مع النساء ، ولا يجلس معهن في مواضع الشهوات .

الثالثة عشرة : أن يغض بصره ، ولا ينظر إلا ما بين يديه ، ولا ينظر إلىٰ حجرات المسلمين ؛ فإنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أنَّ من نظر إلىٰ حجرات المسلمين . . فهو منافق » .

الرابعة عشرة : ألاَّ يغفلَ عن الوضوء كل ساعة ، ولا يغفل عن مولاه ولو عند الأكل والنوم .

الخامسة عشرة : إياه ومجللس الغافلين إلا عند الضرورة أو في ما لا بد منه .

السادسة عشرة : إياه واستعمال الكلام في الدنيا .

السابعة عشرة : ألاَّ يدخل بيتاً فيه عرس ؛ فإنه شر بيت .

الثامنة عشرة : ألاَّ يقول : لو فعلت كذا . . كان كذا ، ولو لم أفعل كذا . . لكان كذا ؛ فإنه كلام المنافقين ، بل يقول : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وما قدر سيكون ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

التاسعة عشرة : ألاَّ ينازع قَدَرِيّاً ولا معتزلاً ولا رافضياً ولا مبتدعاً .

العشرون : إياه والمعاتبة مع أحد من الناس ؛ فإن هـٰذه ليست من أفعال المريدين الصادقين .

الحادية والعشرون : ألاَّ تقبل نفسه شيئاً من الوسواس ، وأنه خير من غيره ، وأنه يعلم ما لا يعلمه غيره .

الثانية والعشرون : إياه والكبر ، وعلامة الكبر : أن يزدري بأحد من الناس أو يستخف بأحد منهم .

الثالثة والعشرون : إياه والعُجُب ، وعلامة العُجُب : أن يرضىٰ نفسه وعقله ، ولا يقبل من أحد شيئاً إذا نصحه .

الرابعة والعشرون : إياه والحسد ، وعلامة الحسد : أن يحسدَ الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله .

الخامسة والعشرون : ألاَّ يستعمل ما يشغل قلبه عن مولاه فيغفل عن جهده ، ولا يقعد مقعد صدق عند مليك مقتدر حتىٰ تهون عليه كل شدة .

ويحتاج المريد إلىٰ أربعة أشياء : دابة فارهة ، ودار واسعة ، وثوب حسن ، وسراج مضيء .

فأما الدابة الفارهة . . فهي الصبر .

وأما الدار الواسعة . . فهي العقل .

وأما الثوب الحسن . . فهو الحياء والتقىٰ .

وأما السراج المضيء . . فهو العلم النافع .

ووصيتي لك بحفظ العهد والوفاء بالوعد ، ولزوم الباب ، وذكر الله علىٰ كل حال ، وكتمان الفقر والقعود للحق بلسان الحق في طريق الحق حتىٰ تصل إلى الحق بالحق إن شاء الله تعالىٰ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

انتهت رسالة أبي عبد الله بن خفيف رحمه الله تعالىٰ ، وهي جامعة وفيها فوائد قيمة جزاه الله خيراً .

وهٰذه الوصية من الحبيب محمد بن هادي للطلاب المتقدم ذكرها ، وكتبها وأمر كل طالب يكتب له نسخة ويكتب اسمه فيها ، وهي هٰذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نعم المعين وبه نستعين .

وبعد : فهٰذه تذكرة ووصية للولد أحمد بن علوي بن سقاف الجفري ، كان الله له أينما كان ووفقه لكل إحسان ، آمين : أوصيك أيها الولد إن أردتَ العلمَ ؛ أن تلازمَ الطلب ، وتسلكَ طريقَ الأدب ، وتجلسَ في مجلس العلم ساكنَ الأطراف منصتاً واعياً مجموع الخاطر من أول الدرس إلىٰ آخره ، وأن تلازمَ في قراءتك أموراً :

الأول : المطالعة ؛ فطالع بقدر ما أمكنك إما ثلاثاً أو أربعاً وإما خمساً .

وقد كان سيدنا القطب العلامة أحمد بن زين الحبشي (١٠٦٩/ ١١٤٤هـ) فيما بلغنا عنه لا يقرأ شيئاً علىٰ أحد من مشايخه إلا وقد طالعه إحدىٰ وعشرين مرة .

الثاني : تحسين اللفظ .

الثالث : الوقوف علىٰ رأس العبارة .

الرابع : تفهم المعنىٰ .

الخامسة : مراعاة الإعراب في النحو .

السادس : نية العمل بما سمعتَ وقرأتَ .

أقول وأنا الفقير إلى الله تعالىٰ محمد بن هادي بن حسن بن عبد الرحمـٰن السقاف : أجزتك في مطالعة ما أردتَ من الكتب ، وأشترط عليك تقوى الله والتحري فيما تفعل وتقول ، وعلىٰ مولانا الكريم القبول ، والله يتولىٰ هداك ويرزقك العلم النافع ويفقهك في الدين بجاه حبيبي سيد المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وفي مجموع كلامه ـ وقد رأىٰ تردد الطلبة والناس إلىٰ حضور مجالسه الخاصة إذا سمعوا به في مكان أو مجلس خاص ذهبوا إليه ، ففي كلامه ـ قال جامعه : وقد أحب سيدي أن تكون جلسة الروحة خاصة ، ولما رأىٰ كثرة الخلق . . قال سيدي رضي الله عنه : الناس ما ركبوا ظهراً إلا أدبروه ولا جواداً إلا عقروه ، أنا أحببت أجلس هـٰذه الليلة مع بعض الطلبة لحفظ الوقت ، ونتذاكر في مسألة علمية أو أدبية ؛ ليكون المجلس مجلس علم وإفادة واستفادة ، ولا أود بالمجلس العام ؛ لأني في غاية من الوهن والضعف ، وأريد ترويح نفسي لتنشط بعده للمجلس العام ، وأنتم متىٰ سمعتم بالروحة . . لا تسعون لها ، ولا أقول لكم : إني لا أريدكم أن تحضروا مجالسي ؛ بل لأني قد يحصل معي قبض في بعض الأوقات ونفسي غير مرتاحة وأريد ترويحها وتنشيطها .

وقد كان شيخي الحبيب علي بن محمد الحبشي مرة جالساً في بيت المحب أحمد عمر حسان في مجلس خاص فحضرت وحضر ناس كثير ، فقال الحبيب علي : ما لي أرى الناس وبعض الطلبة هـٰكذا يتسابقون إلى

المجالس ؛ فإني بعض الأوقات ما أريد المجلس ، وأحب من بعض الناس ألا يسألوا عني ، ويحفظوا أوقاتهم ويصرفوها في طلب العلم ؛ لأن الناس محتاجون إليه ، وقد بنينا الرباط لطلبة العلم ، ونحب من طلبة العلم صرف الأوقات في التعلم والتعليم ، ومن لم يحضر منهم مثل مجلسنا هٰذا . . فسيأتيه نصيبه منه ولو كان في بيته ، ونحن إذا صفىٰ لنا المجلس كما نحب . . برزنا للمجلس العام مرتاحين الخواطر وبثثنا لهم بعض ما عندنا .

وقال سيدي ـ عن الإجازة قال ـ : ونحن عند مسيرنا لزيارة نبي الله هود عليه وعلىٰ نبينا محمد الصلاة والسلام طلبنا الدعاء والإجازة من صلحائنا وقبلناها لنا ولكم معشر الطلبة ولمن تعلق بنا ولأولادنا الموجودين ومن سيوجد ، وقد كنتُ قبل ذلك أستشكل قبول الإجازة لمن سيوجد ، ولكني وجدته منقولاً ، وعملَ به كثير من العلماء ، منهم : الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي عن شيخه الشيخ زكريا الأنصاري ، وهو عن شيخه ابن حجر العسقلاني ، وقد أورده ابن عنقاء الحُسيني في كتابه عن شيخه ؛ فإنه طلب منه الإجازة له ولأولاده الموجودين ومن سيوجد ، وكان شيخه من كبار العلماء ، أخذ أسبوعاً يتكلم علىٰ معنى (الحمد لله البر الجواد) .

ثم قال سيدي محمد : وأنتم الآن من طلب منكم الإجازة . . فليطلبها له ولأولاده ، وعلىٰ هٰذا النمط واقبلوها عنهم .

والقصد من الإجازة : أنهم متىٰ قرأوا شيئاً من أوراد السلف وكتبهم . . يكون لهم سند متصل في ذلك ؛ فإن الزمان زمان إدبار

والأعمال معلولة ، فلعلها إذا تعلقت بالكمل من الرجال.. تصير مقبولة . انتهىٰ من « تحفة الأشراف » .

ومن كلامه : قال بعض المشغوفين بالعلم النافع أبياتاً ، أولها[1] :

سهري لتنقيح العلوم ألَذُّ لي ... مِنْ وَصْلِ غانية وطيب عناقِ

وتمايلي طرباً لحل عويصة ... أشهىٰ وأحلىٰ من مدامة ساقي

معنى الغانية : المرأة التي لا تحتاج إلىٰ زينة وما يقرب إلى الزوج ، بل هي مستغنية بجمالها .

نريدكم تكونون مثل الشيخ أبي بكر ابن الأنباري ترك المرأة التي أحبها لأجل مسألة ، وقال : علمي خير منها ، وقد ذكرنا لكم قصته كثيراً[2] ، ونريد منكم إذا جلستم في بيوتكم.. تضعون الكتب عندكم ، وإذا جلستم عند بعضكم.. تتذاكرون ، وإذا خرجتم إلىٰ مكان.. تتحفظون شيئاً من الشواهد والمسائل ، وخلوا العلم يحل في قلوبكم ؛ لأجل أن تظهر ثمرة العلم .

وانووا في طلبكم العلم نيات حسنة وأنتم تطلبون العلم إلى الممات ؛

---

(١) تنسب لابن السبكي .

(٢) الشيخ أبو بكر الأنباري : هو من كبار العلماء ، كان يحفظ من كلام العرب شواهد للقرآن ثلاث مئة ألف بيت ، ومن التفاسير مئة وعشرين تفسيراً للقرآن ، أين أهل الوقت من هٰذا ؟! لو جمعت التفاسير التي عندنا.. لم تبلغ عشرين تفسيراً ، وكان لم يشغله المتاع الفاني عن علمه ، ذكروا أنه رأىٰ جارية فأعجبته وأحبها ، ثم اشتريت له وأتوا بها إليه ، فلما وصل الدار.. أخبروه أنها في الدار وقد وُهِبَتْ له ، وكان الشيخ عنده مسألة علمية يريد مراجعتها فقال : هل أذهب إلى الجارية أم أحقق المسألة وأترك الجارية ؟ حتىٰ قال لها : اخرجي ، علمي أفضل منك ، وتركها وفضَّل العلم عليها ؛ لما رآها باتأخذ من علمه ووقته . اهـ من كلام الحبيب محمد بن هادي .

فالشان كل الشان في المداومة في جميع الأشياء ، انتبهوا بارك الله فيكم ، ما نريد مجرد مجالس فقط يمر الوقت من غير فائدة تظهر وتبقىٰ معكم أحياءً وأمواتاً ، ولا جمعناكم وجلسنا معكم إلا لنفيد ونستفيد .

وأما مجرد المجالس من غير فائدة. . فالأحسن للإنسان أن يتركها ويقبض له كتاباً من الكتب يطالع فيه يستفيد منه ، ويجعل له حزباً من قراءة القرآن .

الحذر ؛ تمر عليكم الأيام من يوم إلىٰ يوم ومن شهر إلىٰ شهر ولا شيء زاد فيكم ، وكلما ندبناكم إلىٰ شيء. . قمتم به أياماً قلائل وتركتموه ، ما نريد منكم هـٰذا ؛ نريد منكم تقومون بهمة ووُجهة للطلب ، وتبذلون جهدكم في طلب المعالي ؛ حتىٰ أنكم إذا جلستم عند أهلكم. . لا تتركون كتبكم ، طالعوا فيها ولو مسألة .

والحاصل : أنكم لا تخلون وقتكم يمر عليكم من غير فائدة ؛ إما نحوية أو فقهية أو أدبية ، احرصوا علىٰ تقييد الفوائد والشوارد ، جعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ويتوب علينا توبة صادقة لا شقاوة بعدها ، ويديم ذلك إلى الممات ، ويحسن الختام بجاه سيدنا الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وجاه السلف الفحول ، يا أرحم الراحمين .

تعليق من كاتب هـٰذه الرسالة طه بن حسن السقاف

انظر : إلىٰ ما ذُكِرَ في كلام الإمامين العظيمين علي بن محمد الحبشي ومحمد بن هادي السقاف ؛ فإنه جواهر ودرر وإرشادات ، واحترام وأدب وتفاني ، ومحبة في الشيوخ .

ومما يؤسف له ما يكون من بعض الطلبة ؛ كثرة ترددهم إلىٰ زيارة الشيوخ ودائماً ، وهو ينافي الأدب ، وبعضهم الشيخ إذا خرج من بيته . . يتبعونه ويذهبون معه ، أو إذا سمعوا به ذهب إلىٰ بيت أحد من أصدقائه أو قراباته أو في جلسة خاصة . . يتبعونه ، وربما جلسات خاصة أو ضيافة عند بعض قراباته ، فأين الآداب مع الشيخ ، وأين حرمة المجالس ؟!

وقد عرفنا كثيراً من الشيوخ تكون لهم دروس وروحات ومجالس عامة يعلنونها للناس ويحضرها الكثير وتكون الأبواب مفتوحة أو مغلقة وتفتح لمن يأتي ، وأوقات لهم مجالس خاصة ما يحبون الناس يحضرونها ؛ إما للراحة ، وإما في موضوع خاص ، فكثير من الناس ما يلاحظون هـٰذا الحبيب ذهب إلى المكان الفلاني ، ولا يدرك يذهب من غير دعوة ، وبعض الناس يكتفي بالوصول إلىٰ دار الشيخ ، فإن سُمِحَ له بالدخول . . فبها ونعمت ، ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ [النور : ٢٨] .

ودائماً شيخنا العلامة محمد الهدار يكتفي بالوصول إلىٰ دار الحبيب عبد القادر ؛ فإن دخلوا . . فتلك الغنيمة والمقصود ، وإن لم يحصل لهم الزيارة . . فقد حصلت الزيارة حسب القصد .

وعدد من الإخوان يكتفي بالوصول إلى الدار ، وإذا ما حصلت لهم زيارة الحبيب . . حصلت لهم بالقصد والنية ، ويقف عند الباب ويرجع ويقول : حصلت الزيارة بحسب النية ، ومنهم : الأخ الفاضل أحمد عطاس بن محمد بن حفيظ يكتفي بوصوله إلىٰ باب دار الحبيب ودعوات و(فاتحة) وحصل المقصود ، فهنيئاً لهم بذلك .

ورأيت في كتاب « إتحاف المستفيد » في مشايخ الحبيب محمد بن

حسن عيديد أن بعض مشايخه من آل الحداد بالحاوي[1] شيخ كبير يمنعون الناس من زيارته .

وقال لهم الحبيب الحداد : إذا جاء محمد حسن عيديد. . خلوه يدخل لا تردوه ، فإذا ذهب عيديد لزيارته . . يتبعونه بعض طلبة الرباط ، فنهاهم الحبيب عبد الله الشاطري وقال لهم : لا حد من الطلبة يذهب مع محمد عيديد .

وهكذا من الأدب ألا يذهب الطلبة مع من يسمح له بالزيارة ، فأين الآداب مع الشيوخ واحترامهم وتقديرهم ؟! أنا في بعض زيارات الحبيب عطاس الحبشي إلى المدينة كلمته بالتلفون : نحب نزوركم ، فقال لي : إذا باتجي . . تعال وحدك لا تجيب أحد ، فقلت له : سمعاً وطاعة با أجي وحدي ، فذهبت وحدي لزيارته .

وكثير من شيوخنا وعلمائنا يحافظون علىٰ أوقاتهم وترتيبها واستغلال الأوقات وعدم السهر بالليل ، وعلىٰ سبيل المثال : الأستاذ الكبير محمد بن أحمد الشاطري مرة اتصلت به أرغب زيارته فقال لي : أهلاً وسهلاً الساعة العاشرة تجدني في انتظارك ، فقلت له : إن شاء الله ، واليوم الثاني اتصلت به بالتلفون أذكره بالموعد حوالي التاسعة والنصف ، فقال لي : أين أنت الآن ؟ الساعة عشرة أنا في انتظارك ؛ أنا عندي مواعيد وارتباطات لا تتأخر ، فقلت له : مسافة السكة ، وذهبت فوجدته في انتظاري .

---

(١) الحبيب عمر بن حسن الحداد ، المتوفىٰ بتريم يوم الأربعاء (٢٣) ذي الحجة سنة (١٣٠٨هـ) .

ومثله شيخنا العلامة الداعي محمد علوي المالكي حريص علىٰ ترتيب المواعيد والأوقات ، وإذا كان مدعواً للغداء عند أحد مريديه . . يحضر قبل المدعوين ، وأحياناً يصلي الظهر في بيت الداعي أو يأتي بعد صلاة الظهر مباشرة .

مرة كنا مدعوين لضيافة عند صديقنا الكبير المرحوم أحمد بن علي بن سالم العطاس بالمدينة فحضر السيد مباشرة أول الظهر ، وحضرت مع الأوائل وشاركت بقصيدة في الجلسة ، وتأخر بعض الناس ، فقال له السيد محمد : أنتم تتغدون عند نسائكم وتتأخرون والناس في انتظاركم في الجوع ، وتكررت الضيافات عند أحمد العطاس ويحضر السيد محمد للغداء أول الظهر ، وإن كان عشاء . . يحضر بعد صلاة العشاء مباشرة وينتقد الذين يحضرون متأخرين .

ومرة ذكر لي أحمد العطاس أنه عنده ضيافة في مكة للغداء ، ودعا الحبيب عبد القادر السقاف ودعا السيد محمد المالكي ، وحضر المالكي أول الظهر وبعض المدعوين ، وفي انتظار السقاف يأتي من جدة ، والمالكي يصيح على العطاس : الغداء الغداء ، فبمجرد دخول خالك قدمنا لهم الغداء .

والمالكي دائماً يحضر مبكراً ويحافظ على المواعيد ولا يحب التأخير ، وداره في مكة بجواره مسجد ، فإذا بدأ المؤذن في الأذان . . لا يفتحون الباب إلا بعد الصلاة ، وكذلك بالمدينة مع الأذان لا يفتحون لأحد ، ومجلسه دائماً في المدينة وفي مكة يصلون المغرب ، وبعد أذان العشاء يصلون العشاء وتنتهي الجلسة دائماً ، وغالب الناس وخاصة في

السعودية يسهرون الليل وينامون النهار . . . وهٰكذا عكس النظام الإلهي .

قال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١٠ـ ١١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧١ـ ٧٣] ، فهل يستطيع أحد أن يأتي بالشمس بالليل والقمر بالنهار ؟! تلك فطرة الله التي فطر الناس عليها سبحانه وتعالىٰ جل جلاله .

وأكثر من خمسين آية في القرآن في هٰذا المعنىٰ .

ومن الآيات البينات ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٦٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ

مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان: ٦٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ [النبأ: ٩ـ١١] .

قال سيدي محمد بن هادي رضي الله عنه لما قُرئت عليه هـٰذه الآية : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١] : وأن الله جعل الليل نعمة للعباد امتن به عليهم ليسكنوا فيه ، ولو لم يجعل الليل . . لكان الناس لا يستريحون ويجعلون الأوقات كلها في طلب الدنيا ؛ لأنهم

يحبونها ، ولكن الله جعل ذلك ليستريحوا ويناموا فيه .

وأما أهل الله ؛ فإنهم إذا جاء الليل . . قاموا وتنشطوا للعبادة وصفُّوا أقدامهم ، فيستريحون فيه بالمشاهدات وتنزل الرحمات ومناجاة رب البريات ويتلذذون بالطاعات ، حتىٰ أن بعضهم يقول : ما غمني منذ أربعين سنة إلا طلوع الفجر ، وبعضهم يصلون الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، أين نحن من عملهم ومجاهداتهم ؟! يَهِمُّ أهل الغفلة طلوع الفجر لأجل النوم ، وفي رمضان كذلك بالفجر لأجل النفس تعشق النوم بعد صلاة الفجر ؛ لأنها ممنوعة منه فإنه مكروه ؛ لأنه وقت تقسيم الأرزاق الحسية والمعنوية ، يُحصِّلها من تعرض لها ، ولا تغتر بمن ينام بعد الفجر وعنده مال كثير ؛ فإنما هـٰذا المال صورة عنده يحرم بركته ، يخرج من الدنيا كما دخل ما قدم له شيئاً هناك لآخرته ، وأي فائدة له من المال إذا لم يُقَدِّمْ شيئاً للآخرة ، والذي جمعه يُخلِّفه للورثة وحسابه وعقابه عليه ؟! فالنوم بعد صلاة الفجر يمحق بركة المال والعمر ، والأرض تصيح مِمّنْ ينام بعد صلاة الصبح ، قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم ؛ بارك لأمتي في بكورها » .

وفي الحديث عند البخاري : « واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجَة » .

وفي «مسلم»: « سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدُّلْجَة ».

ويستفاد منه : أن العمل يكون بالصباح وبالعشي وقليل من الليل ، وفي « القرآن » : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥] ، ومثلها كثير .

وكثير من العلماء والحكماء والأطباء والشعراء والأدباء يوصون بالنوم مبكراً ويمدحونه ، وينهون عن السهر بالليل ويذمونه ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ؛ فنوم الليل سعادة وراحة وهناء ، وسهر الليل ونوم النهار تعب للجسم وقلق وعناء وعدم تنظيم ، وهو سبب لكثير من الأمراض ، والإسلام يحث على المحافظة على الوقت ، وأن أنفاس الإنسان جواهر ثمينة يجب المحافظة عليها واستغلالها ، فانظر إلىٰ مواقيت الصلاة ووقت الإفطار والإمساك بالدقيقة الواحدة ، وهل حياة الإنسان وعمره إلا أيام وساعات ودقائق وثواني ؟!

وقال في « رياضة الصبيان » :

ويمتنعْ نوم النهار قطعا   خوفَ الكسلْ أو يتخذْه طبعا

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي[1] :

دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثواني
فاختر لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثاني

وقال غيره :

تمر الليالي ليلةً بعد ليلةٍ   ويوم إلىٰ يوم وشهر إلىٰ شهرِ

❀ ❀ ❀

اللهم ؛ وفقنا للمحافظة علىٰ أوقاتنا وساعاتنا وأعمالنا ، ووفقنا فيها للأعمال الصالحات ، واحفظنا من المعاصي والسيئات والمحرمات

---

(١) أحمد شوقي : الشاعر والأديب المصري الكبير ، له ديوان وأشعار كثيرة وروايات ، ولقب (أمير الشعراء) ، ولد سنة (١٨٦٨م) وتوفي رحمه الله سنة (١٩٣٢م) ، وله مدائح نبوية مشهورة .

والمكروهات ، وأطل أعمارنا في طاعتك ومرضاتك ؛ واحفظنا من الشيطان الرجيم وجنوده وأعوانه ومن الأذيات والمكروهات ومن الأمراض ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق منك بخير ، ونسألك حسن الخاتمة والسعادة والتوفيق يا أرحم الراحمين ، آمين .

ومرة سمعت كلاماً من الإذاعة لبعض العلماء المصريين لا أذكر اسمه يقول : الناس والتجار في هٰذا الزمان يقولون : ما فيه مكاسب وأرباح ، السبب هم ضيعوا وقتهم في النوم ؛ سهروا الليل وناموا بالنهار ، يخرجون إلىٰ أعمالهم وأسواقهم قريب الظهر منتصف النهار ، من أين تأتي البركة ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهم ؛ بارك لأمتي في بكورها » ؟! انتهىٰ .

أصبحوا يفضلون النوم على البركة ، هم ما بغوا البركة ، وفي السابق وإلىٰ وقت قريب يذهبون إلىٰ أعمالهم أول النهار بعد الإشراق ، وفي الحرمين بعد صلاة الفجر يفتحون الأسواق .

وأذكر من وصايا سيدي الوالد رحمه الله : المحافظة على الأوقات وصرفها في الطاعات ، ويقول : إن أنفاس الإنسان جواهر ودرر يجب المحافظة عليها ، وكل نَفَس جوهرةٌ ثمينة غالية ، فإذا صرفها في الطاعات . . سَعِدَ ورَبِحَ وفاز ، وإذا صرفها في الشهوات والشبهات . . يا خسارته ويا ويله خسر الدنيا والآخرة ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله التوفيق والسعادة .

ومن وصايا سيدي الوالد حسن بن عبد الرحمٰن بن محمد السقاف ـ (١٣٠٣/ ١٣٧٠هـ) رحمه الله تعالىٰ ـ كان يوصيني بلزوم

الصمت والسكوت ، وينهىٰ عن كثرة الكلام .

وكانَ يقول لي : اجعل كلامك جواباً ويكون في اللازم ، كانت وصاياه كثيرة في هـٰذا الموضوع .

ويوصي سيدي بملازمة العلماء والصالحين ، وحضور مجالسهم والأدب فيها والإنصات ، ويحمل الطالب معه سفينة يكتب فيها الفوائد والمسائل وما يروق له من أبيات شعرية وحكايات ، وينهىٰ عن الخوض فيما لا يعني ، وعدم حضور المجالس التي لا فائدة فيها ، ويقول : هـٰذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، رضي الله عنه وعن مشايخنا وآبائنا وأجدادنا أجمعين ، آمين .

ومن وصية الحبيب محمد بن هادي السقاف للشيخ أحمد بازرعة وللسيد عباس السقاف وأجازنا فيها أيضاً وتاريخها (١٣) ربيع الثاني سنة (١٣٧١هـ) ، قال فيها :

واحذروا النوم بعد صلاة الصبح ؛ فإنه منهي عنه ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيدتنا فاطمة رضي الله عنها لما مر بها تلك الساعة وهي نائمة ؛ أمرها بالانتباه فحركها برجله وقال لها : « قومي لتشاهدي رزق ربك ، ولا تكوني من الغافلين ، إن الله يقسم أرزاق العباد بين طلوع الفجر وطلوع الشمس » .

وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « ألا أدلكم علىٰ ساعة من ساعات الجنة ؛ الظل فيها ممدود ، والرزق فيها مقسوم ، والرحمة فيها مبسوطة ، والدعاء فيها مستجاب ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما بين طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس » انتهىٰ .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي يؤذن عليه الفجر وهو نائم يبول الشيطان في أذنه فيصبح خبيث النفس كسلان ؛ فقد جاء في « صحيح البخاري » : (باب : إذا نام ولم يصل . . بال الشيطان في أذنه) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ذُكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقير ما زال نائماً حتىٰ أصبح ما قام إلى الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بال الشيطان في أذنه » .

وقال أيضاً : (باب : عقد الشيطان علىٰ قافية الرأس إذا لم يصل بالليل) عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يعقد الشيطان علىٰ قافية رأس أحدكم إذا هو نائم ثلاث عُقَدٍ ؛ يضرب علىٰ كل عقدةٍ : عليك ليلٌ طويلٌ فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالىٰ . . انحلت عُقدَة ، فإن توضأ . . انحلت عُقدَة ، فإن صلىٰ . . انحلت عُقدُه فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا . . أصبح خبيث النفس كسلان » .

ومما يذكره شيخنا العلامة محمد بن هادي السقاف في مجالسه رحمه الله : أنَّ عدداً من الفقهاء والعلماء ـ ومنهم : الفقيه العلامة أحمد بن حجر الهيتمي (٩٠٩/ ٩٧٣هـ) ـ ذكروا أن هٰذا البول حقيقة ، فينبغي لكل من قام من نومه بعد أذان الفجر أن يغسل أذنيه قبل الوضوء .

وهٰذا مجرب عند كثير من الناس أنَّ الذي يقوم من نومه قبل أذان الفجر يصبح نشيطاً طيب النفس ، والذي يقوم من نومه بعد أذان الفجر يقوم بصعوبة ويصبح خبيث النفس كسلان ، ويقضي نهاره في نوم وكسل وتعب ، نعوذ بالله من ذلك .

وهٰذا مشاهد عند كثير من الناس ، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإن الإنسان إذا وفقه الله تعالىٰ وقام من نومه آخر الليل وذكر الله وتوضأ وصلىٰ ركعتين . . فيصبح طيب النفس نشيطاً ، فهنيئاً له بهٰذه السعادة والغنيمة الباردة .

اللهم ؛ وفقنا لذلك وللأعمال الصالحة بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين ، فهنيئاً له بهٰذه السعادة العظيمة والتوفيق ؛ فقد جاء في « البخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقىٰ ثُلُثُ الليل الآخِر يقول : من يدعوني . . فأستجيب له ؟ من يسألني . . فأعطيَهُ ؟ من يستغفرني . . فأغفر له ؟ » .

وفيه : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ تعَارَّ من الليل فقال : لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إلٰه إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم ؛ اغفر لي ، أو دعا . . استجيب له ، فإن توضأ . . قبلت صلاته » .

وفي « مسند الفردوس » عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ركعتان في جوف الليل يكفران الخطايا » .

وروى الترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .

وروىٰ مسلم عن جابر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم يقول : « إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالىٰ خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه ، وذلك كل ليلة » .

وروىٰ أبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله امرأ قام من الليل فصلىٰ وأيقظ امرأته ، فإن أبت . . نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت وأيقظت زوجها ، فإن أبىٰ . . نضحت في وجهه الماء » .

وروىٰ أبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وصليا ركعتين . . كتبا في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » رواه أبو داوود بإسناد صحيح .

وقال سيدي محمد بن هادي : ذكر الجمل في « شرح المنهج » : أن الإمام الإسنوي شرع يطالع كتاباً من بعد صلاة العشاء ، واستغرق الليل كله ولم يحس بالوقت ؛ لاستغراقه في القراءة .

وبلغنا : أن الحبيب أحمد بن زين كان يطالع كل ليلة ثمان ورق من « التحفة » من القطع الكبير وهو ابن ثمانين سنة ، أين الهمم العالية ؟ يأتي الطالب للدرس وهممكم قصيرة ، وإذا حدوناكم ورغبناكم . . قمتم بهمة ولكنها ما تدوم ، كنت أول طلبي للعلم إذا جلست للدرس . . يمر علي الوقت ولا أعلم به ، إذا أردت أن أجلس ساعة . . لم أشعر بالوقت ، وإذا أردنا أن نجلس للمطالعة خمس ساعات . . لم نشعر إلا وقد مضت سبع ساعات ، ما نحن مثلكم إذا جلستم للمطالعة . . تقومون سريعاً ، وإذا

جلسنا في المدرس . . لا يخطر علىٰ قلوبنا شيء .

ينبغي علىٰ طالب العلم أن يكون حريصاً على الإفادة والاستفادة في كل وقت ، ويستعد بالبياض والدواة والقلم ، إذا عرضت الفائدة والمسألة أو النادرة أو الشاردة . . قيده ، ما تجده مستعداً للعلم ، شعراً :

العلـم صيـد والكتـابـة قيـده   قيد صيودك بالحبال الواثقه
ومن الحماقة أن تصيد غزالة   وتفكها بين الخلائق طالقه

ونحن نحب من الطلبة إذا اجتمعوا علىٰ شاهي أو غيره يكون المجلس مشتملاً على البحث في المسائل العلمية والفوائد النقلية والعقلية ولو في الأدب ؛ لأجل لا يفوت المجلس بلا فائدة .

كان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط يأتي من شبام إلىٰ مدرس الحبيب عمر بن سقاف ، وإذا وصل . . لا يتكلم ولا يخرج كلمة إلا إن سأله أحد في أمر فيه فائدة ، وإذا رتب الحبيب عمر (الفاتحة) . . رجع إلىٰ بلده ويتغدىٰ في الغرفة عند طرموم ، وكان محباً للحبيب عمر ، وكان هـٰذا دأبه إلىٰ وفاة الحبيب عمر ، وبعد وفاته يجيء إلى الدرس عند أولاده وفاء بحق شيخه ، هـٰكذا علامة المريد الصادق يقوم بأولاد شيخه .

وكانوا يربون أولاد شيوخهم الذكور إلىٰ أن يبلغوا والإناث إلىٰ أن يتزوجن ، ثم إن الحبيب أحمد بن عمر جاء كعادته ، وبعد رجوعه تغدىٰ عند طرموم بالغرفة ، فبعد الغداء تحدث هو وطرموم ، فقال طرموم : كنت عند الحبيب عمر بن سقاف فقال : الحبيب عمر قال : إن الحبيب أحمد بن عمر يأتي من شبام فقال : طرموم يأتي من شبام للمدرس ويرجع وهو ساكت لا يتكلم ولا يقول شيئاً ولا معه كتب .

فقال الحبيب عمر بن سقاف : إن أحمد بن عمر سيطلق لهاته في الدعوة إلى الله ، فصاح الحبيب أحمد وقال لطرموم : تشهد بالله أنه قال هٰكذا ؟! قال له : أشهد بالله أنه قال ، ثم أطلق لسانه وقال : أطلقناها .

وذكر الإمام النووي فقال : كان والده تاجراً ويريده مثله ، ولكن رأىٰ وجهته إلى العلم أكثر ، وسار به إلى المكتب ، وتعلم القرآن والعلم ، وصار إلىٰ ما صار فيه من العلم ، وبارك الله في عمره وعلمه ، ومات وهو ابن خمس وأربعين سنة .

وله من المصنفات في العلم شيء كثير ؛ منها : « المنهاج » و« التحقيق » و« الروضة » وغير ذلك في الفقه ، وفي التصوف ؛ ككتاب « الروض » ، وفي الحديث ؛ كـ« شرح مسلم » ، وكثير من كتبه لم تبلغنا ولم نطلع عليها[1] ، انظروا إلىٰ بركة عمره رضي الله عنه ؛ صنف الكتب ودَرَّس وعلَّم وأرشد ومات وهو ابن خمس وأربعين سنة ، هٰذه هي البركة في العمر .

ومثله الإمام العيدروس الأكبر ؛ بلغ من العلوم الدرجة العلياء ، ومن الولاية كذلك ، ومات وهو ابن خمس وخمسين سنة .

ومثله الإمام الغزالي ؛ بلغ من العلوم ما بلغ ، ومات وسنه سن العيدروس خمس وخمسين سنة .

---

(١) والحمد لله في السنوات الأخيرة طبع الكثير من المخطوطات النفيسة ، والكثير من كتب الحديث والفقه والتصوف ، فجزى الله القائمين بذلك من نشره وتوزيعه خير الجزاء ، وفروا للناس الكتب وصححوها وطبعوها ، نعمة عظيمة تبغىٰ شكر .

حصلت لهم البركة في العمر بسبب نياتهم الصالحة والوجهة القوية .

وقال الإمام الحداد : ما بلغنا العلم بالقيل والقال ولا بمزاحمة الرجال ، بل بخلو البطن ، والتضرع والبكاء بالأسحار ، وطاعة العزيز الغفار .

وذكر سيدي محمد بعض أخباره مع شيخه الحبيب عُبيد اللاه بن محسن بن علوي السقاف (١٢٦١/ ١٣٢٤هـ) فقال : كنت مع الصبيان وأنا صغير ليلة رؤيا هلال رمضان ، وأنا أمشي قدام الصبيان ، والحبيب عبيد اللاه وعدد من الحبايب مستند بالجدار الشرقي لمسجد طه بسيؤون وغيرهم جالسون يريدون خبر الشهر ، فقال بعضهم : من رأى الشهر. . كيف يقول للقاضي ؟ فقلت له في الحال : يقول : (أشهد أني رأيت الهلال هـٰذه الليلة وإن غداً من رمضان) ، فسمعني الحبيب عبيد اللاه ففرح مني ، وقال : هاتوا هـٰذا الولد الذي قال هـٰذا الكلام ، وكنت صغير السن فقال : إيش يقولون إذا رأوا الهلال ؟ فقلت : يقول الشاهد : (أشهد أني رأيت الهلال وإن غداً من رمضان) ، فكان العم عبيد اللاه يذكر ذلك كل ما لاقاني إلىٰ أن تزوجت ، وهـٰذا مني وأنا صغير لم أكن قرأت ولكن أسمع قراءة غيري على الوالد ، فكنت إذا حضرت. . أقعد وأنصت وأحرص علىٰ سماع الفائدة .

وكان من عادة الوالد إذا كان وقت زيارة نبي الله هودٍ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. . يقرأ في (باب صلاة المسافر) ، وإذا كان وقت الحج. . قرأ (باب الحج) ، ويقرأ لهم فضائل أيام عرفة وأيام العشر ودعواتها ، وإذا

كان قرب رمضان.. يقرؤون في (باب الصيام) ، وهكذا دأبه[1] .

ومن كلام سيدي محمد : كان الأصمعي يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة ، وبعضهم يحفظ من مرة ـ مثل : الإمام البخاري وكثير من أهل الوجهات القوية والهمة العلية وصدق الرغبة والإقبال الكلي ـ احملوا سفينتكم معكم ، وإذا عرضت مسألة وهي مثبتة عندكم.. أفدتموها ، وإن لم تكن مثبتة عندكم.. أثبتوها عندكم ، كثيراً ما نحثكم علىٰ ذلك وأنتم تتصاممون ، ولا نأمركم بكتابة مسألة إلا إذا كانت غير مشهورة في غالب الكتب ، وأحضروا معكم كتاب « الخضري » و« فتاوىٰ مشهور » و« مختار الصحاح »[2] ، وإذا أشكلت مسألة.. تراجعونها .

وقال الشاعر[3] :

العبد ذو ضجر والرب ذو قدرٍ والدهر ذو دُوَلٍ والرزق مقسومُ
والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه الشوم واللومُ

وقال شيخنا العلامة محمد بن هادي السقاف في وصيته لأحمد بازرعة سنة (١٣٧١هـ) : واجتهدوا في طلب العلوم النافعة مع العمل وصدق الطلب ، ولا تشتغلوا عنها بغيرها ؛ يسخر الله لكم الكون ، وتستغفر للعالم حيتان البحر إذا مات إلىٰ يوم القيامة ؛ لأن العلم ينتفع به بعد موت العالم إلىٰ يوم القيامة ؛ ولهـٰذا : كان ثوابه لا ينقطع

(١) وهـٰكذا سلفنا وشيوخنا ، وإذا كان ربيع الأول.. يقرؤون في السيرة النبوية ، وفي رجب الإسراء والمعراج ، وفي رمضان عن الصيام وفضائل رمضان وغزوة بدر وفتح مكة .
(٢) الأول في النحو ، والثاني في الفقه ، والثالث في اللغة .
(٣) تنسب لأبي الفوارس الطبري .

بموته ، وفيه دليل علىٰ شرف العلم وتقدم أهله ، ومن أوتيه . . فقد أوتيَ خيراً كثيراً .

قال الحبيب عمر بن سقاف (١١٥٤/١٢١٦هـ) : وأما من تجرد لطلب العلم وصدق فيه . . فإن الكون كله يصبح خادماً له ، فأخلصوا النية في طلبه ، وعظموا أهله كائناً ما كانوا ؛ فلقد كان الحبيب الغوث أحمد بن زين الحبشي يعظم العلم غاية التعظيم ، ويثني عليه وعلىٰ أهله غاية الثناء ، ويكرمهم ويبجلهم غاية التبجيل والإكرام ، ويشير إلىٰ أن الخير كله في طلب العلم مع الإخلاص فيه لله تعالىٰ ، ويقول : إن الساعة منه تعدل عبادة العمر ، ويوصي بطلبه كل من أتىٰ إليه .

وعن الإمام الشافعي : (من أراد الآخرة . . فعليه بالعلم ، ومن أراد الدنيا . . فعليه بالعلم) ، وطالبُ العلمِ مُعَانٌ ، وقد تكفل الله برزقه تكفلاً خاصاً بعد التكفل العام ، لكن مع الصدق والإخلاص كما تقدم .

ومن كلام الحبيب عبد الله الحداد (١٠٤٤/ ١١٣٢هـ) إغراء علىٰ طلب العلم النافع : ما وجدنا العلم بالقيل والقال ولا بمزاحمة الرجال ، ولكن وجدنا العلم في خلو القلب عن الدنيا ، والبكاء في جوف الليل ومراقبة الجبار ، ولا وجدنا الخير كله إلا بالعلم ، ولولا العلم . . ما عرف العبد ربه ولا كيف يعبده ؛ فاجتهد يا أخي في طلب العلم ، وعلموا ما عندكم من العلم مَنْ جَهِلَهُ ، شعراً :

أفيدوا جهولاً ما عَلِمْتُوهُ دونه   أفادكم الرحمـٰن ما تجهلونه

ولا تركنوا إلىٰ علمكم وعملكم ، بل اعتقدوا أن المنة لله حيث وفقكم لطاعته وللعلم والعمل به .

حكي عن بعض علماء بني إسرائيل : أنه جمع سبعين صندوقاً من العلم ، فأوحى الله إلىٰ نبي ذلك الزمان أن قل للعالم : لا تنفعك هٰذه العلوم وإن جمعتَ مثلها أضعافاً مضاعفة ، وما دمت متصفاً بثلاث خصال : حب الدنيا ، ومساعدة النفس علىٰ ما تهوىٰ والشيطان ، وأذية مسلم ، فهٰذه الأشياء التي ذكرها في عتاب العالم الإسرائيلي توقع الإنسان في ورطة انتقام الله وغضبه(١) ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢] .

خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ أصحابه فقال : « رأيت الليلة عجباً ؛ رأيت رجالاً يُعَلَّقُونَ بألسنتهم! فقلت : من هٰؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هٰؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا » ، قال بعضهم : بغير جناية منهم يستحقون الأذية بها .

وطالعوا في كتب السلف النافعة ، مثل : كتب الإمام الغزالي والنووي ، والحبيب عبد الله الحداد ، والحبيب عبد الله بن حسين وأمثالها ، وتفهموا ما فيها ، واحملوا أنفسكم على العمل بما حوته ؛ فإنها تدل على الله وترشد إليه ؛ ففيها ما يكفي ويشفي من داء الجهل ، ويلحق الفرع بالأصل ، وفيها العلم والهدىٰ والنور وكل ما فيه رضاء الله العزيز الغفور .

وذكر سيدنا الحبيب العلامة عيدروس بن عمر الحبشي المتوفىٰ سنة (١٣١٤هـ) في كتابه « عقد اليواقيت الجوهرية » قال : قال شيخنا عبد الله باسودان (١١٧٨/١٢٦٦هـ) في بعض كتبه بعد أن تكلم عن

---

(١) أعاذنا الله من ذلك ، ونسأله تعالىٰ أن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما جهلنا .

الصبر حيث قال : والصبر ركن من أركان الدين ، ومقام من مقامات اليقين ، وفي الاعتماد عليه والعمل به بلوغ المطالب ، ونيل الرغائب . . . إلىٰ أن قال : والإنسان محتاج إلى الصبر ، ولا سيما طالب العلم الذي لا يُملك بالمنىٰ ، ولا يُدرك بالهوينا ؛ كما قال بديع الزمان الهمداني رحمه الله :

اعلم : أن العلم بطيء اللزام ، بعيد المرام ، ولا يُدرك بالسهام ، ولا يُرىٰ في المنام ، ولا يُورث عن الآباء والأعمام ، وإنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس ، ولا تُغرس إلا في النفس ، ولا تسقىٰ إلا بالدرس ، ولا تُحصَّلُ إلا باستناد الحجر وافتراش المدر ، وإدمان السهر وقلة النوم وصلة الليل باليوم ، ولا يدركه إلا من أنفق العين (الذهب والمال)، وجثىٰ على العين، أيظن من أشغل نهاره بالجمع ـ جمع الدنيا ـ وليله بالجماع يخرج من الفقهاء ؟ كلا والله ؛ حتىٰ يقصد الدفاتر ، ويستصحب المحابر ، ويقطع القفار ، ويصل في طلب العلم بين الليل والنهار ، ويوافق من الصبر مرّاً طيباً ، ومن التوفيق مطراً صيباً . انتهىٰ .

ثم قال في « العقد » : وقد بلغَنا من اجتهاد الأئمة وتحصيلهم ما يحير الواقف عليه ويعد من معجزات متبوعهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإنهم رضي الله عنهم لم يبلغوا ما بلغوه وينالوا ما نالوه حتى استلانوا ما استوعره المترفون ، وهجروا لله وفي الله ما هجروه ، واشتد منهم بنفوسهم الاعتناء ، كما قال الإمام أبو بكر العدني ابن العيدروس الأكبر رضي الله عنهما :

نلنا المنىٰ لما بلغنا بالنفوس ما شق

فقد حكي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله : أنه كان يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن ، وأنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان يسمع بكاءه حتىٰ يرحمه جيرانه ، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ، وصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد خمساً وأربعين سنة .

وعن الإمام الشافعي رحمه الله : أنه صنف مئة وثمانية عشر كتاباً في التفسير والفقه وغير ذلك ، وكان يختم في رمضان ستين ختمة كلها في الصلاة .

وعن الإمام أحمد ابن حنبل : أنه حفظ ألف ألف حديث ، وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة ، وقال : ما نمتُ في فراش منذ أربعين سنة ، وكان لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع .

ثم ذكر الحبيب عيدروس بعضاً من أعمال ومجاهدات أسلافنا الأجلاء وساداتنا آل باعلوي ، ثم قال : كان الشيخ محمد بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم يطالع قراءته بالليل فيستغرق نصف الليل أو أكثر ، وربما استغرق الليل كله .

وحكي : أنه احترق له بالسراج أربعة عشر عمامة عند مطالعته ؛ لشدة استغراقه في المطالعة[١] .

---

(١) ولهٰذا : سمي بصاحب العمائم .

ويوم الثلاثاء (١٦/ ٥/ ١٤٣٠هـ) قرأت في هٰذه « الرسالة » في الحرم النبوي الشريف وراجعتها وصححتها إلىٰ صفحة (١٢٣) والحمد لله علىٰ ذلك .

ثم ذكر أن الشيخ عبد الله العيدروس هجر النوم أكثر من عشرين سنة لم يرقد فيها لا ليلاً ولا نهاراً ، وكان يأخذ الكتاب الذي هو قريب حجم « المنهاج » فيطالع فيه من أول الليل حتىٰ يأتي علىٰ آخر الكتاب .

وقال : قد آخذُ شيئاً من الكتب مثل : « نشر المحاسن » وكتاب « أطراف العجائب » وقت الظهر وأتقن ما فيه ، وما يأتي وقت العصر إلا وقد أتيت علىٰ آخره .

ثم ذكر الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي بن أبي بكر السكران كان يغتسل لكل فرض ، وكان كثير التلاوة والأوراد ، وكان يقول : ما أحب الحياة إلا لمطالعة الكتب ، ولِأَزْداد من الخير والعلوم النافعة .

وكان قرأ « الإحياء » علىٰ والده أربعين مرة ، وقُرِىء عليه « الإحياء » أربعين مرة ، وكان الحبيب أحمد بن زين الحبشي يقول : من حين الصغر وأيام الصبا ونحن نتلهف علىٰ طلب العلم والخير ولا نجد المعين في بلدنا ولا من يشفي الغليل ، وكان معنا تطلع وتولع وتأله لطلب الزيادة من الخير وأفعال البر ولا سيما طلب العلم .

وكان يرحل إلى البلدان القريبة من شبام كل خميس وإثنين يقرأ على الفقيه الصالح أحمد بن عبد الله باشراحيل .

وكان يقول في ابتداء الأمر : لا أصبر عن تريم ، وأكثر المجيء إليها ، وكان يشق على الوالدة ، فجعل الحبيب الحداد بيننا ثلاثة أيام في كل شهر ، وكنت لا أُعوِّل في شأن القوت إن كان تمراً أو خبزاً ، أو غير ذلك .

وقال أيضاً في « العقد » : قال شيخ مشايخنا مفتي المدينة المنورة

وعالمها السيد أحمد بن علوي باحسن ـ جمل الليل[1] نفع الله به ـ :
يتحتم علىٰ كل من انتسب إلىٰ سيد الأوائل والأواخر صلى الله عليه وآله وسلم واتصل بذاته التي هي معدن المحامد والمفاخر أن يحفظ حرمته ، وينهض لاكتساب المعالي همته ؛ وذلك بأمور :

الأول : الجد الصادق بالنية الصالحة في تحصيل العلوم الشرعية خصوصاً الكتاب العزيز والسنة النبوية ؛ فإنه لم يزل السلف من أهل البيت النبوي رضوان الله عنهم علىٰ ذلك ، والعلوم الشرعية لم تظهر إلا من عناصرهم الكريمة ، فكيف بهم عدم الاهتمام بها ؟! وما ثبت عن سادات أهل البيت وأئمتهم من بذل الهمة في ذلك حتىٰ طَبَّق علمهم الآفاق قد تكفلت به تراجمهم ، فليراجعها من رام الوقوف علىٰ باهر فضلهم .

ولذلك : قال سيدنا علي رضي الله عنه : (الشريف كل الشريف من شَرَّفه علمه ، والسؤدد كل السؤدد من اتقىٰ ربه ، **والكريم** : من أكرم عن ذل النار وجهه) ، وطيب العنصر وشرف المحتد يستدعي الميل إلىٰ ذلك ، فمن لم يجد في نفسه رغبة في هـٰذه الخصال الحميدة . . فهو علىٰ خطر ، وليحذر أن يقصد بالعلم غرضاً دنيوياً من تحصيل رياسة أو جاه أو مال أو تصدر في المجالس ؛ فيحبط بذلك عمله ، وينكسف نور علمه ، ويضيع تعبه ، ويكون ممن لم ينفعه الله بعلمه ، وقد استعاذ عليه الصلاة والسلام من علم لا ينفع ، ومع ذلك لا ينال من هـٰذه الأمور إلا ما قدر له ، ومن أعظم الموانع لنيلها قصد التوصل إليها بالعلم الذي هو من أعظم العبادات وأفضل القربات ، فما أخسر صفقته وأكبر ندامته .

---

(١) من علماء المدينة المنورة ، توفي بالمدينة سنة (١٢٣٦هـ) رحمه الله .

الثاني : تطهير القلب من كل دنس وغل وحسد وخلق ذميم وسوء عقيدة ؛ فإنها من جنايات القلب .

الثالث : اجتناب كل ما يستقبح شرعاً ؛ فإن القبيح من أهل هٰذا البيت أقبح منه من غيرهم .

ولهٰذا : قال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما كما في « تاريخ دمشق » لابن عساكر : (يا بني ؛ إن الكذب ليس بأحد من هٰذه الأمة أقبح منه بي وبك وبأهل بيتك ، يا بني ؛ لا يكون شيء مما خلق الله أحب إليك من طاعته ، ولا أكره إليك من معصيته ؛ فإن الله عز وجل ينفعك بذلك في الدنيا والآخرة) .

وقال الحسن المثنىٰ رضي الله عنه : (إني أخاف أن يضاعف على العاصي منا العذاب ضعفين ، ووالله ؛ إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين) .

ثم قال :

الرابع : ترك الفخر بالآباء ، وعدم التعويل عليهم من غير اكتساب الفضائل الدينية .

قال السيد السمهودي : أعظم بها خسارة وإساءة أن يمنح الله العبد قرب النسب من أفضل الخلق وأشرفهم صلى الله عليه وآله وسلم فَيَكْفُرُ هٰذه النعمة بتعاطي ما يسوءه صلى الله عليه وآله وسلم عند عرض عمله عليه .

الخامس : اجتناب الدخول في الولايات الدنيوية والتعرض لها ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا » .

السادس : سلوك طريقة أسلافهم في التواضع والحلم والصبر .

السابع : معاملتهم في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام ومزيد الإكرام ، وترك التعاظم علىٰ أحد ، وإحسان الظن بهم .

الثامن : التقلل من الدنيا ورفضها والزهد فيها ، والأخذ منها بما تدعو الحاجة إليه .

التاسع : عدم امتداد العين إلىٰ ما في أيدي الناس من زهرة الحياة الدنيا والتشوف إلى استخلاص شيء منها ؛ فإن ذلك له آفات وغوائل زلت بها الأقدام الراسخة من الفحول فضلاً عن غيرهم . انتهىٰ باختصار وحذف يسير من « عقد اليواقيت » .

فائدة

ذكروا الشيوخ أن الإمام عبد الله بن علوي الحداد يقول عند استفتاح الدرس أو حضور مجلس علم أو مطالعة كتاب : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، نويت التعلم والتعليم ، والتذكر والتذكير ، والنفع والانتفاع ، والإفادة والاستفادة ، والحث على التمسك بكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والدعاء إلى الهدىٰ ، والدلالة على الخير ، والعمل بما عَلِمْنَا ، والإخلاص في ذلك لله تعالى ؛ ابتغاء وجه الله ومرضاته وقربه وثوابه ، وفقنا الله لذلك .

وطلبوا من طالب العلم أن يحسن النية ، وأن يكون علىٰ طهارة ،

ويجلس متأدباً ، ولا يكون كاشف الرأس ، ويحافظ على الآداب ، ويعظم الشيوخ ويتأدب معهم غاية الأدب ، وإذا جاء في قراءته ذكر رسول الله . . فيكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يغفل عن ذكر (وآله) فإنها كلمة واحدة ؛ فإن ثوابها عظيم ، ولا يمل من تكرير الصلاة عليه ولو كررت في الصفحة الواحدة مرات كثيرة ، وألاَّ يخوض مع الطلبة في الدرس ، ويتجنب المزح والضحك فضلاً عن الكذب والاستهزاء ، والنميمة والغيبة ، والحقد والحسد ، ووقت الدرس لا تشتغل بسوىٰ ما أنت فيه حتى النوافل والأذكار والتسبيح ، وأن تراجع ما تم شرحه ، وأن تكون لك سفينة تكتب فيها الفوائد ، وتحضر الدفتر والقلم ، وأن تنوي العمل بما علمته واستفدته ، وتطالب نفسك بذلك .

واعمل ولو بالعُشر كالزكاة تخرج بنور العلم من ظلمات

وفقنا الله للعمل بذلك ، ونفعنا بما علمنا ، وجعله حجة لنا لا حجة علينا ، ورزقنا حسن النية والإخلاص لوجهه الكريم بمنِّه وفضله ؛ إنه أرحم الراحمين ، آمين .

ومن كلام الحبيب الإمام عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس (٩٤٥/ ١٠١٩هـ) قال : العلم مثل البلدة التي عليها أربعة أسوار :

الأول : كتب التوحيد .

والثاني : كتب الشاذلية .

والثالث : كتب الغزالية .

والرابع : كتب الفقه .

فمن أراد التوحيد . . فليثبت ؛ وهو السور الأول ، فإن لم يثبت . . تلقته الشاذلية ؛ وهو السور الثاني ، فإن لم يثبت . . تلقته كتب الغزالية ؛ وهو السور الثالث ، فإن لم يثبت . . تلقاه السور الرابع ؛ وهو كتب الفقه .

انتهىٰ من « مناقب الحبيب عبد الباري بن شيخ العيدروس » .

قال ابن عيينة : يستحب للعالم إذا عَلَّمَ ألاَّ يُعَنِّفَ ، وإذا عُلِّمَ ألاَّ يَأْنفَ .

وفي حكمة لقمان عليه السلام : إن العالم الحكيم يدعو الناس إلىٰ علمه بالصمت والوقار ، وإن العالم الأخرق يطرد الناس عن علمه بالهذر والإكثار .

وأنشد ابن الأعرابي :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها ... قــدرٌ وأبعـدَهـا إذا لـم تُقْـدرِ
فسـل الفقيـه تكـن فقيهـاً مثلـه ... مَنْ يسعَ في عملٍ بِفقهٍ يُمهرِ
وتـدبـر الأمـرَ الـذي تعنـىٰ بـه ... لا خير في عمل بغير تدبرِ
فلقد يجد المرء وهو مقصرٌ ... ويخيب جد المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدىٰ بفعالهم ... والمنكـرون لكـل أمـرٍ منكـرِ
وبقيت في خَلَف يُزَيِّنُ بعضه ... بعضاً ليدفع معْورٌ عن معْور

وقال بعضهم : خير خصال المرء السؤال .

ويقال : إذا جلست إلىٰ عالم . . فسل تفقهاً ولا تسل تعنتاً ، وكان يقال : عَلِّمْ علمك من يجهل ، وتعلَّم ممن يعلم ؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك . . علمتَ ما جهلتَ وحفظتَ ما علمتَ .

ومن كتاب « تنبيه الغافل » للحبيب عمر بن سقاف السقاف (١١٥٤/١٢١٦هـ) قال : **واعلم** : أن العلمَ يرفع الوضيع ، والجهل ينزل الرفيع ، فكن ممن شرَّف نفسه بمحاضر العلماء ، وزيَّنَ حَسَبَهُ بسلوك سبيل سلفه القدماء ، وكَمَّلَ علمه بالأعمال ، وأخلص لله في الأفعال والأقوال ، وجمَّل علمه وعمله بالزهد في دار الزوال المُشَبَّهِ بالخيال ؛ فما الحياة إلا لأهل العلم ، وما الموت إلا لأهل الجهل ، شعراً :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسادهم قبل القبور قبور

ففي العلم حياة الأبد ، وفي الجهل موت الأبد ، وعليك أيها الطالب لأسنى المطالب بمعرفة حق العلم والأدب ؛ ليكمل لك النفع وتزداد بعلمك فضلاً وسعادة ، وتتسع بمعرفتك وتتم به سعادتك .

ثم قال : وعليك أيها الطالب لأسنى المطالب بمجالسة العلماء وأهل الفضل والعقل ، وجانب أهل الغفلة والجهل ؛ فقد قيل : مجالسة أهل الجهل مرض العقل ؛ فمجالسة أرباب الجهالة نزول عن العلا وسفالة ، واختر مجالسة من ينفعك لفظه ويزينك لحظه ، وقربك منه واتصالك به عنوان محبتك ، وتُسْخِنُ به عين عدوك وشانيك ؛ كما قيل شعراً :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافاً لأرباب الصدور تصدرا

وقيل : من جالس . . دانس ، فاحذر وفر من مجالسة من ليس بجنسك ؛ فإنك إن جالسته . . تقاس به وينزل قدرك بسببه ؛ فمن جالس الأفاضل . . فُضِّل ، ومن جالس الأنذال . . نُذِّل ، وقد حذروا طالب العلم من محبة الدنيا والنظر إليها ، فالزهد في الدنيا زينة الطالب ، فلا

تَشِنْ علمك بمحبتها والجمع لحطامها ، فحبها شين للعلم ، اللهم إلا ما كان لصيانة المروءة والدين ودفع الحاجة ، ونعم العون لطالب العلم الكفاية من الحلال ، فمن حصل الكفاية من الحلال.. فقد فاز بأعظم نعمة بعد نعمة الإسلام ، وخصوصاً لطالب العلم ، وأما من صدق في الطلب وجد واجتهد في نيل الأرب وإن كان فقيراً.. فسوف يغنيه الله من فضله ؛ فقد تكفل الله برزق طالب العلم تكفلاً خاصاً بعد التكفل العام ، وقد جربنا ذلك كثيراً ، ورأينا ستر الله شاملاً علىٰ من توجه لربه بطلب العلم .

ثم قال : وقد ذكر الإمام العارف بالله السيد الشريف علي بن عبد الله الحسني السمهودي المدني (٨٤٤/ ٩١١هـ) في كتابه « جواهر العقدين في فضل الشرفين : العلم والنسب » آداباً عجيبة وفوائد مهمة يتعين علىٰ طالب العلم الاعتناء بالنظر فيها والعمل بها . انتهىٰ من « تنبيه الغافل » .



مجالسة العلماء

قال أبو الأسود : عن الحسن بن هارون قال : حدثنا زكريا بن زياد النحوي قال : كان أشياخنا يقولون : جالس العلماء ؛ فإنك إن أصبتَ . . حمدوك ، وإن أخطأت . . علَّموك ، وإن جهلتَ . . لم يعنفوك .

ولا تجالس الجهال ؛ فإنك إن أصبت . . لم يحمدوك ، وإن أخطأتَ . . لم يعلموك ، وإن جهلتَ . . عنفوك ، وإن شهدوا لك . . لم ينفعوك .

قال ابن المقفع : حبب إلىٰ نفسك العلم حتىٰ تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك وسلوتك وبغيتك .

ليس الجمال بأثواب تزينها إن الجمالَ جمالُ العلمِ والأدبِ

ومما ذكره لنا شيخنا العلامة محمد بن سالم بن حفيظ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته في مكاتبة منه لي من تريم إلى المدينة سنة (١٣٧٤هـ) :

عتبتُ على الدنيا لرفعةِ جاهلٍ وخسةِ ذي تقوىٰ فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهٰذا رفعتهم وأهل التقىٰ أبناء ضرتي الأخرى
أأترك أولادي يموتون ضيعة وأرفع أولاداً لضرتي الأخرى

قال شيخنا العلامة الإمام محمد بن هادي بن حسن السقاف (١٢٩١/ ١٣٨٢هـ) في رسالته « الثمار الدانية لطالب علم النحو والعلوم النافعة » ـ مطبوع جاء فيه ـ : ومن كلام سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي

الحداد (١٠٤٤/ ١١٣٢هـ) إغراء علىٰ طلب العلم النافع : ما وجدنا العلم بالقيل والقال ولا بمزاحمة الرجال ، ولكن وجدنا العلم في خلو القلب عن الدنيا ، والبكاء في جوف الليل ومراقبة الجبار ، ولولا العلم . . ما عرف العبد ربه ولا كيف يعبده ، فاجتهد يا أخي في طلب العلم .

أمر رضي الله عنه ببذل المجهود في طلب العلم النافع ، ومداومة الصبر عليه ، وصرف نفيس الوقت فيه .

والعلم أسنىٰ سائر الأعمالِ　　　وهو دليل الخير والإفضالِ

ثم قال شيخنا في « الرسالة » : وقال ابن هشام صاحب « المغني » :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله　　　ومن يخطب الحسناء يصبر على البذلِ
ومن لم يذل النفس في طلب العلا　　　يسيراً يعش دهراً طويلاً أخا ذُلِّ

وقال غيره :

العلم زين للفتى　　　يكرمه حيث أتى
من لم يكن يعرفه　　　فحقه أن يَسْكُتَا

وقال غيره :

وبعد فالعلم عظيم الجدوى　　　لاسيما الفقه أساس التقوى
فهو أهم سائر العلومِ　　　إذ هو للخصوص والعمومِ

وقال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط المتوفىٰ سنة (١٢٥٨هـ) :

لا شيءَ كالعلم قطُّ　　　سيروا إليه وحطوا
في مجلس العلم سر　　　للوزر عنا يحط

من يطلب العلم يحظى ... برتبة لا تحط
والرزق يأتيه سهلاً ... إن عم في الناس قحط
والعلم حصن حصين ... من شر من جاء يسطو
لطالبيه بقصد ... لم يمتزج فيه خلط
يا جاهلاً قدره اسمع ... ما مثله قط قط
إن شئت تظفر بحظ ... منه ويأتيك قِسط
كن في البكور غراباً ... وفي التملق قط
ثم الصلاة علىٰ من ... أحكامه الكل قِسط
أخلاقه طاهرات ... والوجه يعلوه بسط
وخير آل وصحب ... لهم جهاد وضبط

ثم ذكر من الشعر للإمام الشافعي :

اصبر علىٰ مُرِّ الجفا من معلم ... فإن رسوبَ العلم في نفراتِهِ
ومن لم يذق مر التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياتِهِ
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعاً لوفاتهِ
حياة الفتىٰ والله بالعلم والتقى ... إذا لم يكونا لا اعتبار لذاتهِ

وقال ابن السبكي :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانيةٍ وطيب عناقِ
وصرير أقلامي علىٰ أوراقها ... أحلىٰ من الدوكاء والعشاقِ
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقّي الرملَ عن أوراقي
وتمايلي طرباً لحلِّ عويصة ... في الدرس أشهىٰ من مدامة ساقي
وأبيت سهران الدجىٰ وتبيته ... نوماً وتبغي بعد ذلك لحاقي

وقال غيره :

ولو حويتُ غنىٰ قارون في كنفي ... إيوان كسرىٰ وتحتي عرش بلقيسِ
وقيل لي خل هٰذا العلم مطرحاً ... وما يضرك من نبذ القراطيسِ
لَما رضيت لِما قالوه من غلط ... وكل صاحب علم غير منحوسِ
الجهل يوحشني والعلم يؤنسني ... لا أبدل النفس إيحاشاً بتأنيس

وقال ابن الوردي[1] في « لاميته » يوصي ولده :

اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعدَ الخيرَ علىٰ أهل الكسلْ
واحتفل بالفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال وخولْ
واهجر النوم وحصله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذلْ
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصلْ
في ازدياد العلم إرغام العدا ... وجمال العلم إصلاح العملْ
جمل المنطق بالنحو فمن ... يحرم الإعراب في النطق اختبلْ

وقال بعضهم :

تعلم فإن العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لكل المحامدِ
وكن مستفيداً كل يوم زيادة ... من العلم واسبح في بحور الفوائدِ
تفقه فإن الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوىٰ وأعدل قاصدِ
هو العَلَمُ الهادي إلىٰ سنن الهدى ... هو الحصن ينجي من جميع الشدائدِ
فإن فقيهاً واحداً متورعاً ... أشد على الشيطان من ألف عابدِ

---

(١) ابن الوردي : العلامة عمر بن مظفر بن عمر الكندي الشافعي ، ولد سنة (٦٩١هـ) وتوفي بحلب سنة (٧٤٩هـ) ، شاعر وأديب ومؤرخ ، له كتاب « اللباب في الإعراب » ، و« بهجة الحاوي » ، و« اللامية المشهورة » .

وناهيك ما ذكر شرفاً في النحو والفقه والعلم ما تقدم عن العلماء العاملين والمحققين المدققين والأئمة العارفين بالله تعالىٰ من نثر ونظم تنويهاً وتعظيماً بشأن علم النحو والفقه ، كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد . انتهىٰ من « الثمار الدانية » .

وقد ذكر شيخنا في أول « رسالته » الحث والترغيب في علم النحو ، وذكر كثيراً من كلام العلماء نثراً وشعراً رضي الله عنه .

وفي « مجموع الإمام النووي » : قال أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو التابعي :

العلـم زيـن وتشـريـف لصـاحبـه ... فاطلب هُدِيتَ فنونَ العلم والأدبا

لا خير فيمن له أصلٌ بلا أدبٍ ... حتىٰ يكون علىٰ ما زانه حدبا

كم من كريم أخي عَيٍّ وطمطمة ... فَـدْمٍ لـدى القـوم معـروف إذا انتسبـا

فـي بيـت مكـرمـةٍ آبـاءه نجـبٌ ... كانوا رؤوساً فأمسىٰ بعدهم ذَنَبا

وخـامـل مقـرف الآبـاء ذي أدب ... نـالَ المعـالـيَ بـالآداب والـرتبـا

أمسىٰ عـزيـزاً عظيـم الشـان مشتهـراً ... فـي خـده صَعَـرٌ قـد ظـل محتجبـا

العلـم كنـز وذخـر لا يعـادلـه ... نعم القرين إذا ما صاحبٌ صَحِبَا

قد يجمع المرء مالاً ثم يحرَمُه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجـامـع العلـم مغبـوطٌ بـه أبـداً ... ولا يحـاذر منـه الفـوتَ والسلبـا

يـا جـامع العلـم نعـم الـذخر تجمعه ... لا تعـدلـن بـه دراً ولا ذهبـا

وقال غيره :

تعلـم فليـس المـرء يـولـد عـالمـاً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ

وإن كبيـر القـوم لا علـم عنـده ... صغير إذا التفت عليه المحافلُ

وقال غيره :

عَلِّمِ العلـم مـن أتـاك لعلـمٍ　　واغتنـم مـا حييـت منـه الـدعـاءَ
وليكـن عنـدك الغنـي إذا مـا　　طلـب العلـم والفقيـر سـواءَ

وقال غيره :

صـدر المجـالس حيـث حَـلَّ لبيبهـا　　فكـن اللبيـب وأنـت صـدر المجلسِ

ومن الأشعار المنسوبة لسيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام :

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ　　على الهدىٰ لمن استهدىٰ أدلاءُ
وقَـدْرُ كـل امـرء مـا كـان يحسنـه　　وللـرجـال علـى الأفعـال أسمـاءُ
وضـد كـل امـرء مـا كـان يجهلـه　　والجـاهلـون لأهـل العلـم أعـداءُ
ففـز بعلـم تعـش حيّـاً بـه أبـداً　　الناس موتىٰ وأهل العلم أحياءُ

وقال :

لو صِيغَ من فضة نفسٌ علىٰ قدر　　لعـاد مـن فضلـه لمـا صفـا ذهبـا
مـا للفتـىٰ حسـب إلا إذا كملـت　　أخلاقه وحوى الآداب والحسبا
فاطلب فديتك علماً واكتسب أدباً　　تظفر يداك به واستعجل الطلبا
لله در فتـــىٰ أنســـابـــه كـــرم　　يـا حبـذا كـرم أضحـىٰ لـه نسبـا
هـل المـروءة إلا مـا تقـوم بـه　　من الذمام وحفظ الجار إن عتبا
من لم يؤدبه دين المصطفىٰ أدباً　　محضاً تحيَّر في الأحوال واضطربا

وقال :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله　　وأجسـادهـم قبـل القبـور قبـورُ
وإن امرؤ لم يحيَ بالعلم ميت　　وليـس لـه حتـى النشـور نشـورُ

وقال :

رضينـــا قسمـــة الجبـــار فينـــا | لنـــا علـــم وللجهـــال مـــالُ
فـإن المـال يفنـىٰ عـن قـريـب | وإن العلـــم بـــاقٍ لا يـــزالُ

وقال :

إذا كنت لا تدري ولم تك سائلاً | عن العلم من يدري جهلتَ ولم تدرِ

وقال :

حرض بنيك على الآداب في الصغرِ | كي ما تقر بهم عيناك في الكِبرِ
وإنمـــا مثـــل الآداب تجمعهـــا | في عنفوان الصبا كالنقش في الحجرِ
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها | ولا يخـاف عليهـا حـادث الغِيَـرِ
إن الأديـــبَ إذا زلـــت بـــه قـــدمٌ | يهوي إلىٰ فرش الديباج والسررِ
النـاس إثنـان ذو علـم ومستمـع | واع وسـائـرهـم كـاللغـو والعَكَـرِ

وقال :

العلـم زيـن فكـن للعلـم مكتسبـاً | وكن له طالباً ما عشت مقتبسا
اركـن إليـه وثـق بـالله واْعـن بـه | وكن حليماً رزين العقل محترسا
لا تَسـأَمـن فـإمـا كنـت منهمكـاً | في العلم يوماً وإما كنت منغمسا
وكن فتىٰ ماسكاً محض التقىٰ ورعاً | للـديـن مغتنمـاً للعلـم مغتـرسـا
فمـن تخلـق بـالآداب ظـل بهـا | رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا
واعلم هُدِيتَ بأن العلم خير صفا | أضحىٰ لطالبة من فضله سلسا

وقال :

أيها الكاتب ما تكتب ... مكتوب عليك
فاجعل المكتوب خيراً ... فهو مردود إليك

❀ ❀ ❀

الخط يبقىٰ زماناً بعد كاتبه ... وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

وقال آخر :

ولا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وقال الإمام الشافعي :

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبيرَ القوم لا علم عنده ... صغيرٌ إذا التفت إليه الجحافلُ
وإن صغيرَ القوم إن كان عالماً ... كبيرٌ إذا ردت إليه المحافلُ

وقال :

لا يدرك الحكمة مَنْ عمره ... يكدح في مصلحة الأهلِ
ولا ينال العلم إلا فتى ... خال من الأفكار والشغلِ
لو أن لقمان الحكيم الذي ... سارت به الركبان بالفضلِ
بكىٰ بفقر وعيال لما ... فرق بين التبن والبقلِ

وقال :

علمي معي حيثما يممت يتبعني ... قلبي وعاء له لا بطن صندوقي
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوقِ

❀ ❀ ❀

إن الفقيه هو الفقيه بفعله ليس الفقيه بنطقه ومقالِهِ

❀ ❀ ❀

ما وهب الله لامرىء هبةً أفضل من عقله ومن أدبهْ
هما كمال الفتىٰ فإن فقدا فإن فقد الحياة أجمل بهْ

وقال سيدنا علي عليه السلام :

وكن للعلم ذا طلبٍ وبحثٍ وناقش في الحلال وفي الحرامِ
وبالعوراء لا تنطق ولكن بما يرضي الإله من الكلامِ

❀ ❀ ❀

ومما ينسب لسيدنا علي عليه السلام ، وقيل : للإمام الشافعي :

رأيتُ العلمَ صاحبه كريم ولو ولدته آباء لئامُ
وليس يزال يرفعه إلىٰ أن يعظمَ أمرَه القومُ الكرامُ
ويتبعونه في كل حالٍ كراعي الضأن تتبعه السوامُ
فلولا العلم ما سَعِدَت رجال ولا عُرِفَ الحلال ولا الحرامُ

وقال الإمام الشافعي لما دخل مصر :

أأنثر علماً بين سارحة البُهَمْ وأنظم منثوراً لراعية الغنمْ
لعمري لئن ضُيِّعت في شر بلدة فلست مضيعاً فيهم غرر الحِكَمْ
لئن سهل الله العزيز بلطفه وصادفتُ أهلاً للعلوم وللحكمْ
بثثت مفيداً واستفدتُ ودادهم وإلا فمكنون لدي ومكتتمْ
ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلمْ

وقال : ومن ذلك من يوزع الكتب ويعطيها لمن ليس لها أهل .

العلم من فضله لمن خدمه — أن يجعل الناس كلهم خدمه
فواجبٌ صونهُ عليه كما — يصون في الناس عرضه ودمه
فمن حوى العلم ثم أودعه — بجهله غير أهله ظلمه

وقال آخر :

ففي العلم النجاة من المخازي — وفي الجهل المذلةُ والغرامُ
هو العَلَمُ الدليل إلى المعالي — ومصباحٌ يضيء به الظلامُ
إذا ما كنت ذا فضل وعلم — بما اختلف الأوائلُ والأواخِرْ
فناظر من تناظر في سكون — حليماً لا تُلحُّ ولا تكابِرْ
يفيدك ما استفاد بلا امتنان — من النكت اللطيفة والنوادِرْ
وإياك اللَّجُوج ومن يرائي — بأني قد غلبت ومن يفاخِرْ
فإن الشر في جنبات هٰذا — يُمَنِّي بالتقاطع والتدابِرْ

وقال الإمام الشافعي :

العلم مغرس كل فخر فافتخر — واحذر يفوتك فخر ذاك المغرسِ
واعلم بأن العلم ليس يناله — مَنْ همه في مطعم أو ملبسِ
إلا أخو العلم الذي يعنىٰ به — في حالتيه عارياً أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً — واهجر له طيب الرقاد وعبِّسِ
فلعل يوماً إن حضرت بمجلس — كنت الرئيس وفخر ذاك المجلسِ

وقال :

كل العلوم سوى القرآن مشغلةٌ إلا الحديث وعلم الفقه في الدينِ
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوىٰ ذاك وسواس الشياطينِ

وقال بعض العلماء : إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث . . فكأنما رأيتُ رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزاهم الله خيراً ، حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل .

العلم سؤال وجواب ، ومن ثم قيل : حسن السؤال نصف العلم .

العلم يؤخذ عن الأكابر ، وجاء في الحديث : « من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر » .

وقال الشافعي : لو كلفت بصلة . . ما عرفت مسألة ، ومما ينسب للإمام علي عليه السلام :

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن رام العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي
ومن طلب العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحالِ
لنقل الصخر من قُلَلِ الجبال أحب إليَّ من مِنَنِ الرجالِ

وقال غيره :

وليس علماً ما حوى القِمَطْرُ
ما العلم إلا ما حواه الصدرُ



قالوا عن الكتاب والمكتبة :

يقول الدكتور طه حسين الأديب المصري المعروف[1] : إن طالب الجامعة بدون مكتبة تجتذبه للقراءة والبحث لا يساوي شيئاً ، وإن سبب انخفاض مستوى الخريجين : أن الطلبة لا يقرؤون شيئاً ، ولذلك كانت معلوماتهم سطحية ، هٰذا الوقت الذي يقضيه فيه الطالب الأوربي ثلاثة أرباع وقته في المكتبة والربع الباقي بين المدرجات ، إن بناء مكتبة حديثة وتزويدها بكل الكتب ، وسدها النقص الذي يعانيه الطلبة . . خير عندي من بناء جامعة ، وإن عشرة طلبة مثقفين خير عندي من مئة خريج سطحي . انتهىٰ .

والكتب هي أعز ما يملك الإنسان ؛ فهي التي قد حفظت بين دفتيها وما زالت تحفظ كل ما أتته البشرية من أعمال وما أنجبته من أفكار وكل ما كسبته وعملته .

قال نصر ابن سيار : كل شيء إذا كثر رخص ثمنه إلا الأدب ، وكل شيء ينقص إذا أنفقت منه إلا العلم ؛ فإنه يزيد وينمو .

قلت : وأذكر أني كتبتُ وأنا في أيام صغري حوالي ثلاث صفحات عن فائدة المكتبة وشراء الكتب وحفظها ، وبدأت في جمع مكتبة لي وتنميتها دائماً ، وهي إن شاء الله تكون موجودة ؛ ففيها بداية الكتب القديمة عندي في الحديث والفقه والتصوف ؛ وذلك حوالي عام (١٣٦٥هـ) ، ومن

---

(١) الأديب الكبير طه حسين بن علي بن سلامة ، لقب بعميد الأدب العربي ، ولد بمصر بالمنيا سنة (١٣٠٧هـ) ، وأصيب بالجدري وفقد بصره ، توفي سنة (١٣٩٣هـ) .

الكتب التي اشتريتها في القديم « رياض الصالحين » ، و« الأذكار » ، و« الشفاء » ، و« فتاوىٰ مشهور » ، و« الباجوري » ، و« الفتاوى الحديثية » و« بهجة المحافل » ، و« الإحياء » ، وغيرها .

وقال صديقنا الأديب الشاعر محمد بن حسن بن علوي الحداد في كتابه « هدية الحبائب في الرحلة إلىٰ مأرب » في شهر رجب (١٤٢٨هـ) : قال بعض الشعراء في وصف إحدى المكتبات وقد ذكر أسماء بعض الكتب فيها :

رأيتُ الخزانةَ قد زينت ... بكتب لها منظر هائلُ
بها « مجمع البحر » لكنه ... من الجود ليس له ساحلُ
ومنها « المهذب » من فضلكم ... و« مغني » لكنه نائلُ
ومنها « الوسيط » لما ترتجي ... وفيها « النهاية » و« الكاملُ »
وإن كان أعوزها « شامل » ... فقد زانها جودك الشاملُ
وإن كان قد فاتها فائت ... أبو الفضل في علمه كاملُ

وقد تغنى الشعراء والكُتَّاب بمحبوبهم الكتاب بما فيه عبرة لأولى الألباب ، فلنقتطف من ذلك البستان ما يمتع الجَنان من فاكهة ونخل ورمان والله المستعان .

قال ابن المعتز : الكتاب والج الأبواب ، جريء على الحُجَّاب ، مُفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، وبه يشخص المشتاق إذا أبعده الفراق .

وقال الجاحظ : الكتاب وعاءٌ مُلِىءَ علماً ، وظرف حُشيَ ظرفاً ،

بستان يحمل في ردن ، وروضة تقل في حِجْر ، وناطق ينطق عن الموتىٰ ويترجم عن الأحياء ، ولا أعلم رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولا أقل تصلفاً وتكلفاً ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال من كتاب ، ولا أعلم قريناً أحسن موافاة ، ولا أجزل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أخف مؤونة من كتاب ، ولا شجرة أطول عمراً ، ولا أقرب مُجتنىٰ من كتاب .

قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ما تشتهي ؟ قال : النظر في حواشي الكتب .

ونظر المأمون إلىٰ أحد أولاده ينظر في كتاب فقال : يا بني ؛ ما هٰذا ؟ قال : بعض ما يشحذ الفطنة ويؤنس من الوحشة ، فقال المأمون : الحمد لله الذي رزقني من ذريتي من يرىٰ بعين عقله أكثر مما يرىٰ بعين وجهه .

وقال أبو الطيب المتنبي في مدح الكتاب وأنه خير جليس :

أعز مكان في الدنىٰ سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتابُ

وقال أحد الشعراء في مدح الكتاب والإشادة به :

سميرٌ إذا جالسته كان مسلياً ... فؤادك عما فيه من ألم الوجدِ
يفيدك علماً أو يزيدك حكمة ... وغير حسود أو مصر علىٰ حقدِ
ويحفظ ما استودعته غير غافل ... ولا خائن عهداً علىٰ قِدَمِ العهدِ
زمان ربيع في الزمان بأسره ... يبيحك روضاً غير ذَاوٍ ولا جعدِ

وقال أحد الشعراء :

حبيبي من الدنيا الكتاب فليس لي إلىٰ غيره ما بي إليه من الفقرِ
فكرسيه حجري إذا كنت قاعداً وإن أضطجع أفرشه مستلقياً صدري

وهم لا يغشون الأسواق إلا للبحث عن هٰذا الترياق أو ما يناسب هٰذا النطاق ، ويذمون ما عدا ذلك ويعدونه من المهالك ، قال قائلهم :

مجالس السوق مذمومةٌ ومنها مجالس قد تحتسبْ
فلا تقربن غير سوق الجياد وسوق السلاح وسوق الكتبْ
فهاتيك آلة أهل الوغى وهاتيك آلة أهل الأدبْ

ويقول بهاء الدين في مدح أحد كتبه :

جميع الكتب يدرك من قراها ملال أو فتور أو سآمه
سوىٰ هٰذا الكتاب فإن فيه بدائع لا تمل إلى القيامه

ولا أرىٰ هٰذا ينطبق حقيقة إلا علىٰ كتاب الله القرآن الكريم الذي لا تنتهي عجائبه ولا يخلق علىٰ كثرة الرد ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

ويقول ابن الجهم في امتداح الكتاب وتفضيله علىٰ سائر الأصحاب :

لنا جلساء لا نمل حديثهم ألباء مأمونون غيباً ومشهدا
فلا غِيبة تخشىٰ ولا سوء عشرة ولا نختشي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلتُ أموات فلستُ بكاذب وإن قلت أحياء فلستُ مُفَنّدَا

وقال آخر :

ليس المدامة مما أستريح له ... ولا مجاورة الأوتار والنغمِ
وإنما لذتي كُتبٌ أطالعها ... ومؤنسي أبداً في خلوتي قلمي

وقال آخر :

لم يبق شيء من الدنيا نسر به ... إلا الدفاتر فيها الشعرُ والسمرُ
مات الذين لهم فضل ومكرمة ... وفي الدفاتر من إحسانهم أثرُ

وقال آخر :

كتاب في سرائره سرور ... مناجيه من الأحزان ناجي
كراح في زجاج بل كروْح ... سرت في جسم معتدل المزاجِ

وقال أبو العتاهية :

رغيف خبز يابس ... تأكله في زاويَهْ
وكوز ماء بارد ... تشربه من ساقيَهْ
وغرفة ضيقة ... نفسك فيها خاليَهْ
أو مسجد بمعزل ... عن الورىٰ في ناحيَهْ
تدرس فيه دفتراً ... مستنداً لساريَهْ
معتبراً بمن مضىٰ ... من القرون الخاليَهْ
خير من الساعات في ... فَيْءِ القصور العاليَهْ
تعقبها عقوبة ... تصلىٰ بنار حاميَهْ
فهٰذه وصيتي ... مخبرة بحاليَهْ
طوبىٰ لمن يسمعها ... تلك لعمري كافيَهْ
فاسمع لنصح مشفق ... يدعىٰ أبا العتاهيَهْ

وإذا ظهر في عالم الكتب كتاب. . استقبلوه بالترحاب ، وقلبوه بطناً وظهراً ، وقرظوه نظماً ونثراً .

لما ألف الشيخ أحمد الحملاوي « شذا العرف في فن الصرف ». . قرظ هٰذا الكتاب بعض الأفاضل بأبيات ضمنها تاريخ عام تأليفه فقال :

العلم أحسنُ ما به ظفرت يَدُ ... عظمت لأستاذي عليَّ به يَدُ
العلم بيتٌ والمعلم مصعدٌ ... من أين ترقى البيت لولا المصعدُ
والعلم إن أنصفت لا تعدل به ... عرضاً من الدنيا يزول وينفدُ
فانهض إلىٰ كسب العلوم منزهاً ... للنفس عن خلق يشينُ ويفسدُ
فإذا فعلتَ فأنت شهمٌ سيدٌ ... تسعىٰ لخدمتك الملوك وتَحفِدُ
لم ألق أطيب من «شذا العرف» الذي ... أهَدَىٰ إلينا ذا الهمام الأمجدُ
يا قوم دونكم الشذا فتمسكوا ... بمداده وبه إلى الصرف اهتدوا
وبه ثقوا وله اسمعوا قولاً وعوا ... وإذا قضىٰ أمراً فلا تترددوا
فمباحث التصريف قد أضحت به ... كالشمس صاحية عليها فاشهدوا
لا تعجبوا للصرف مجتمعاً به ... شملاً فأصل الجمع هٰذا المفردُ
فارغب إليه وقف علىٰ أبوابه ... ترجع أخي عنها وأنت مزوَّدُ
وكأنني بفتىٰ تعرَّض سائلاً ... من ذا الذي تثني عليه وتحمدُ
بالله خبرني فقلت مؤرخاً ... من فَاحَ طيب شذاه أحمد أحمدُ

والكتب عند أربابها نفيسة وثمينة يغالون في ثمنها وصونها ، ويرون قليلاً في حقها أن تباع من الذهب بوزنها .

هـٰذا كتـاب لـو يبـاع بـوزنـه ذهبـاً لكـان البـائـع المغبـونـا
أومـا مـن الخسـران أنـك آخـذ ذهبـاً وتتـرك جـوهـراً مكنـونـا

وللكتاب عندهم مكانة عظيمة لا يفرطون به ببيع مهما غلت القيمة ، إلا إذا واجههم في حياتهم ظرفاً لا يستطيعون له صرفاً . . فيبيعه مضطراً ويبكيه بدمعة حرَّىٰ ، ومن منا لا يتأثر إذا قرأ هـٰذه الأبيات لأبي الحسن علي بن أحمد عندما اضطرته الحاجة إلىٰ بيع كتاب « الجمهرة » فاشتراه الشريف المرتضىٰ بستين ديناراً ، ولما تصفح الكتاب . . وجد صاحبها قد كتب عليها :

أنِستُ بها عشرين حولاً وبعتها لقد طال وجدي بعدها وحنيني
ومـا كـان ظنـي أننـي سـأبيعهـا ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكـن لضعـفٍ وافتقـارٍ وصبيـةٍ صغـارٍ عليهـم تستهـل شـؤونـي
فقلـت ولـم أملـك سـوابقَ عبـرةٍ مقـالـة مكـوي الفـؤاد حـزيـنِ
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كـرائـم مـن ربٍّ بهـن ضنيـنِ

فلما قرأ هـٰذه الأبيات المؤثرة . . أرجع إليه كتاب « الجمهرة » وسامحه في ثمنها ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

ويضن أحدهم بالكتاب أن يغادر داره حتىٰ علىٰ سبيل الإعارة ، ويرىٰ أن ذلك من العار ؛ لأن المحبوب لا يعار .

ألا يـا مستعيـرَ الكتـب أقصِـرْ فـإن إعـارتـي للكتـب عـارُ
فمحبـوبـي مـن الـدنيـا كتـابـي وهـل أبصـرتَ محبـوبـاً يعـارُ

وإن اضطر أحدهم إلى الإعارة . . كتب على الكتاب هٰذه العبارة :

إذا أخـذتَ كتـابـي وانتفعـتَ بـه فاحذر وُقِيتَ الردىٰ من أن تغيرَهُ
ورده عــاجــلاً إنــي بــه كلــف لولا مخافة كتم العلم لم ترَهُ

وعاتب أحدهم مستعيراً أبطأ في رد الكتاب حتىٰ عيل صبره وبعث إليه بهٰذا العتاب :

مـاذا جناه كتـابـي فـاستحـق بـه سجناً طويلاً وتغييباً عن الناسِ
أطلِقْــه نســألــه عمــا ألــمَّ بــه في عقر دارك من ضر ومن باسِ

ولي بالكتاب شغف شديد وولع أكيد ، ولذا : تغنيتُ في مدحه بهٰذه القصيدة (الصديق المرضي) للمؤلف الحداد :

عشقــت المكتبــات ولا كــآبــهْ ولازمــت القــراءة والكتــابَــهْ
ففــي هــاتيــن تسليــة وفيهــا لقلبــي متعــة تجلــو اضطــرابَـهْ
يــرافقنــي الكتــاب وأرتضيــه صـديقـاً لـي فمـا أحلـىٰ اقترابَـهْ
صــديــق طَيِّــعٌ سلــس رقيــق لمـا أهـوىٰ سـريـع الإستجـابَـهْ
إليــه القلــب يهفــو كــل حيــن مـدى الأوقـات مشتـاقـاً خطـابَـهْ
عظيــم نفعــه والعقــل ينمــو بصحبتـه فمـا أجـدى اصطحـابَـهْ
وعنــي لا يحــول إذا جفــانــي زمـانـي وانـزوت عنـي القـرابَـهْ
يــرافقنــي غنيــاً أو فقيــراً ويصحبنـي سـروراً أو كـآبَـهْ
إذا مـا فـرصـة لاحـت فـإنـي أشمــر نحــوه وأدق بــابَــهْ
وأجنـي مـن فـواكهـه قطـوفـاً قطـوفـاً يـانعـات مستطـابَـهْ
إذا مـا شئـت أتحفنـي بشعـر رقيـق اللفـظ مـا أحلـى انسيـابَـهْ

وإن شئت الفكاهة والتسلي	يسلي بالطرائف والدعابَهْ
وإن تاقت إلى التاريخ نفسي	فقصَّاص يقصُّ ولا غرابَهْ
وإن رمت اكتساب العلم منه	فأستاذ تميز بالنجابَهْ
إذا ضل اختياري في صديق	فقد وفِّقْتُ فيه إلى الإصابَهْ
رضيت به صديقاً لست أخشى	مضرته ولا أخشى انقلابَهْ
حبته مؤسسات الطبع طبعاً	أنيقاً رائعاً زاهي الكتابَهْ

❀ ❀ ❀

وكثيراً ما ترددت علىٰ مكتبة الحرم المكي الشريف ، وقضيت فيها الساعات الطوال مطمئن القلب ناعم البال كالطائر الغريد في البستان ، وأنست بمن فيها من الحور الحسان ، وشدوت بمدحهن من أعماق الجَنان :

إليكِ وأنتِ ينبوع المعاني	وروض الفكر يزهر بالأماني
إليكِ أزف في شوق وحب	من الأعماق آيات التهاني
فيا لله مكتبة أطلت	بشمس الفكر ناصعة البيانِ
إلى الحرم الشريف لها انتماء	يخلدها علىٰ مر الزمانِ
يعانق عاشق الآداب فيها	ذوات الطهر من حور حسانِ
وفي ساحاتها ظل ظليل	ومما طاب يانعة المجاني
وفاض العذب رقراقاً هنيئاً	لمن يحظىٰ بكاس منه هاني
وتدنو من هواة العلم تهفو	إليهم إن أشاروا بالبنانِ
بأجنحة الغرام تطير شوقاً	إلىٰ روادها في كل آنِ

يطيب بها المقام لعاشقيها   وتلقاهم ببشر واحتضان
تراهم في خمائلها سكارى   بكاس الفكر لا كاس ابن هاني
وجادت بالنفيس من اللآلي   وما ضنت بدُرٍّ أو جُمانِ
أحيي فتية عكفوا علىٰ خد   مة القراء فيها بامتنانِ
وأهديها لهم أزكى التحايا   مضمخة بعطر الأرجوانِ
تحايا من جوار البيت تهدى   كساها النور ترجيع المثاني

انتهىٰ من « الرحلة » للحداد

❋ ❋ ❋

إعارة الكتب

قل لمن يستعير الكتب أقصِرْ　　ألــم تعلــم أن ذلــك عــارُ
حبيبــي مــن الــدنيــا كتــابــي　　وهــل أبصــرتَ محبــوبــاً يعــارُ

حذر العلماء في كلامهم وأشعارهم من إعارة الكتب ، وأكدوا على المحافظة عليها والاعتناء بها ؛ وذلك لأن الكتب ضنائن عندهم ولا يفرّطون فيها وهي غالية عندهم ، ويحافظون عليها أشد المحافظة ، ويوصون بذلك أولادهم وتلامذتهم ، ويوصون بالمحافظة عليها وتجليدها .

والحقيقة : إن إعارة الكتب ضياع للكتب ، ولا شك أن الإنسان إذا أعار شخصاً كتاباً وقرأ فيه واستفاد منه . . يكون لصاحب الكتاب الأجر والثواب ، فينبغي لصاحب الكتب إذا وجد صديقاً عزيزاً معروفاً ويثق به . . إذا أراد أن يستعير منه كتاباً . . فلا بأس بذلك بشروط :

أولاً : أن يعرف أن هـٰذا الشخص سوف يقرأ في الكتاب ويستفيد منه .

ثانياً : يعرف محافظته على الكتاب والاعتناء به وعدم إهماله .

ثالثاً : أن يضمن إعادة الكتاب في أقرب وقت قصير يحدده له ، وإن أمكن . . يأخذ منه رهناً حتىٰ يضمن عودته سالماً .

رابعاً : لا يعير عدداً من الكتب ، بل يعير كتاباً واحداً ، وإذا أعاد الأول . . أعاره ثانياً . . . وهـٰكذا ، فهـٰكذا تكون المحافظة على الكتب ،

والذي يعير الكتاب لمن يستفيد منه.. فإنه سينال الأجر الكبير والجزاء العظيم من رب العالمين، ويدخل تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من دل علىٰ خير.. فله مثل أجر فاعله».

والمهم كما أسلفت ثقته في الشخص ويعرف محبته للكتب وحفظه والاعتناء بها، ويضمن إعادته في أقرب وقت، وفقنا الله للخير والأعمال الصالحة.

وقد قال كثير من الشعراء عن الكتاب والكُتُب الشيء الكثير، ومنها أبيات أحمد شوقي:

أنا من بدل بالكتب الصحابا	لم أجد لي وافياً إلا الكتابا
صاحب إن عبته أو لم تعب	ليس بالواجد للصاحب عابا
كلما أخلقته جددني	وكساني من حلى الفضل ثيابا
صحبةٌ لم أشْكُ منها ريبة	ووداد لم يكلفني عتابا
رب ليل لم نُقصِّر فيه عن	سمر طال على الصمت وطابا
كان من هَمٍّ نهاري راحتي	وندامای ونقلي[1] والشرابا
إن يجدني يتحدث أو يجد	مللاً يطوي الأحاديث اقتضابا
تجد الكتبَ على النقد كما	تجد الإخوانَ صدقاً وكذابا
فتخيرها كما تختارهم	وادخر في الصحب والكتب اللبابا
صالحُ الإخوانِ يبغيك التقى	ورشيدُ الكتبِ يبغيك الصوابا
غالِ بالتاريخ واجعل صُحفه	من كتاب اللهِ في الإجلال قابا

❁ ❁ ❁

(١) نقلي: الفواكه والمكسرات.

اجعل أنيسك دفتراً في نشره   للميت من حِكَمِ العلوم نشورُ
فكتاب علم للأديب مؤانِسٌ   ومؤدب ومبشر ونذيرُ
ومفيد آداب ومؤنس وحشة   وإذا انفردت فصاحب وسميرُ

❁ ❁ ❁

ومن طلب العلوم بغير كد   سيدركها إذا شاب الغرابُ

❁ ❁ ❁

قال الشاعر :

خير المحادث والجليس كتابُ   تخلو به إنْ ملَّك الأصحابُ

❁ ❁ ❁

إنما يعرف قدر العلم من   سهرت عيناه في تحصيلِهِ

❁ ❁ ❁

ضمائر قلب المرء تبدو بوجهه   ويخبر عنوان الكتاب بما فيهِ

❁ ❁ ❁

تعلَّم العلمَ واعمل يا أُخَيَّ به   فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

❁ ❁ ❁

وينشأ ناشيء الفتيان فينا   علىٰ ما كان عوده أبوهُ

❁ ❁ ❁

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً   عليك ولم تعذر بما أنت جاهلُهْ

❁ ❁ ❁

دعيني أنل ما لا ينال من العلا   فصعب العلا في الصعب والسهلُ في السهلِ

تريدين إدراك المعالي رخيصةً ... ولا بد دون الشهد من إبر النحلِ

وقال أحد الشعراء المتقدمين لغزاً في الكتاب :

وذي أوجه لكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر يظهرُ

تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تبصرُ

وقال غيره :

جليس أنيس يأمن الناس شره ... ويذكر أنواع المكارم والنهى

ويأمر بالإحسان والبر والتقى ... وينهىٰ عن الطغيان والشر والأذى

وقال أحد الحكماء : الكتب بساتين العلماء ، علىٰ أن الكتب أنواع ؛ فمنها الثمين ، ومنها السطحي ، ومنها السخيف ، ومنها النادر ، ومنها الدسم ، ومنها ما تتمنىٰ لو كان خالياً من الحروف . . لتستعمل صفحاته .

وقال الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩/ ١٣٣٣هـ) :

وفي طلب العلم الشريف توجهوا ... بجد وتشمير وترك لمعتادِ

ففي العلم نور للفؤاد وبهجة ... وميراده للعبد أحسن ميرادِ

به يعرف الإنسان حق إلـٰهه ... فيهدىٰ به الغاوي ويروىٰ به الصادي

وإن شئتموا أن تحفظوا ما علمتموا ... فذلك في تكرير درس وتردادِ

ومن شعر الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه (١١٩٨/ ١٢٦٦هـ) :

وفاتني من خيار الناس كم رجل ... ما فارق الذكرَ طولَ العمر والكتبا

بكَّاء ليلته سجاد خلوته ... من خوف مآلكه يستعذب التعبا

له انشغال بحفظ السر عن دخل ... ليث النزال إذا ما عارك الرقبا

تلقاه في الجود كالطائي وأحنفهم ... في الحلم قد فاق قُسّاً حيثما خطبا

وقال الحبيب محسن بن علوي بن سقاف السقاف (١٢١١/ ١٢٩٠هـ) :

والعلم مالي أرىٰ آثاره دُرِسَتْ وقَـلَّ حـامـلـه فينـا ومـن طلبـا
ترىٰ وظائفه في قطرنا شغرت وعطلت وعَفَتْ يا صاحبي حُقَبا
قَلَّـت بضـاعتـه بـارَت تجـارتـه والطالبون له قد أهملوا الطلبا
أم المصائب فقد الدين في جهة كانت بها العلما كانت بها النجبا
كيف المقام بأرض لا علوم بها ولا ولاة بهـم نستـدفـع العطبـا

وقال الحبيب عمر بن سقاف المتوفى (١٢١٦هـ) يوصي أولاده :

حمـداً لمـن قـد خصنـا بفضـائـلِ وهبـات علـم تلتقـي بفـواضـلِ
أَبَنِـيَّ دونكـم العلـوم ودرسهـا لا تعـدلـوا عنهـا بعـذل عـواذلِ
فبها السلو عن الحطام وجمعها وبها الدنو إلى المقام الحافلِ
وبهـا التنـزه فـي الـريـاض كـأنهـا جنات عدن في النعيم الكاملِ
عجبـاً لـدهـر السـوء مـال بـأهلـه نحـو الخيـال وكـل حـال حـائـلِ
مـالـوا عـن العليـا وكـل مـزيـة عظمىٰ إلى الحرص المشوم السافلِ
فحـذار مـن نظـر العيـون تعشقـاً لمـلابـس ومشـارب ومـآكـلِ
فالزهد أشرف كل شيء ناله شخص إذا بالعلم طال بطائلِ
وإذا تـوجهـت النفـوس لشـأنهـا فقفوا على الشأن العزيز الكاملِ
تقـوىٰ إلـٰه العـالميـن وزهـدكـم والعلـم سلـوة كـل قلـب عـاقـلِ

وقال يوصي ابنه علياً أيام قراءته في كتاب « الإرشاد » لابن المقري :

بُنَيَّ علياً كرر الحفظَ والدرسا وإيـاك وإيـاك التسـاهـلَ لا تنسـىٰ
وتحقيقك «الإرشاد» أعظم رتبة تَشِيخُ بها قدراً تفوق بها الإنسا
وإن بِـتَّ حِفِّيظـاً وتصبـح نـاسيـاً فواحسرتي أمسيت أخسرهم بخسا

وإن أنت ضيعتَ الزمان تكاسلاً مَنَعْتُكَ مني الود والقدرَ والأنسا
وإن قمتَ بالتحقيق للعلم والهدى رُفِعْتَ مكاناً فارق الشكل والجنسا
فدونك والمولىٰ ينيلك ما تشاء توجه بصدق واحكم الفرع والأسا

ومن شعر الحبيب عمر بن سقاف :

إسهـرنْ فـي طلـب العلـم فمـا فـاز بـالـلـذات إلا مـن سَهِـرْ
إعملـنْ بـالعلـم تُسْمَـىٰ عـالمـاً فـإذا أهملـت فـالأمـر خَطِـرْ
لا تكـن مثلـي عليمـاً قـولـه وعلـى السيء مـن فعلـي مُصِـرْ

وقوله :

يا طالب العلم كن بالليل ذا سهرِ وكرر الحفظَ بالأوقات في السحرِ
عليـك بـالعلـم إن العلـمَ مـرتبـة فمنصب العلم فوق الأنجم الزهرِ
حصـل لعلـمٍ تعـش حياً بـه أبـداً فهو الحياة لأهل العلم في العمرِ
وكن أخي في اجتهاد دائماً أبداً تزد علىٰ كل حسناء من البشرِ

وقال مشيراً إلىٰ كتاب « الأربعين الأصل » للإمام الغزالي :

اعكف على الباب بصدق اللجا بـاب الإلـه المُفْضِـلِ المـرتجـى
والـزم كتـاب «الأربعيـن» الـذي يفتـح مـن قفلـك مـا أُرْتِجـا
وصـف ذهنـاً والتـزم درسـه واعمـل بـه إن شئـت أن تعـرجـا
واسلك طريق الزهد واظفر بها جَـرِّدْ إذا شئـت الهنـا والنجـا
واطلـب مـن الـرحمـٰن تـوفيقـه ورشـده واسـأل بحسـن الـرجـا

وقوله :

لله مـا أحلـى العلـومَ ودرسَهـا وشـرابهـا عنـدي ألـذ وأطيـبُ

وحذار من تضييع وقتك في الذي ... يفنىٰ وأوقات الشبيبة تذهبُ
إن لم تبادرها وتغنم صفوها ... حزت الندامة حيث ضاع المنصبُ

فائدة

وفي كتاب « السلسلة العيدروسية » : خمس مع خمس قل أن تجتمع في واحد : تواضع مع شرف ، وهمة مع فقر ، ووفور عقل مع سلامة صدر ، وفقه مع تصوف ، ورقة طبع مع صلابة دين .

قال الشاعر :

مَنْ وقر الناس وقروه ... وفاز بالعقل والرياسه
ومزدريهم لو كان مسكاً ... لقيل في أصله نجاسه

* * *

حديث : « إنما الأعمال بالنيات »

قال النووي في « المجموع » : هٰذا حديث صحيح متفق علىٰ صحته ، مجمع علىٰ عظم موقعه وجلالته ، وهو إحدىٰ قواعد الإيمان ، وأول دعائمه ، وآكد الأركان .

قال الشافعي رحمه الله : يدخل هٰذا الحديث في سبعين باباً من الفقه .

وقال أيضاً : هو ثلث العلم ، وأحد الأحاديث التي عليها مدار الإيمان .

وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث بلا مدافعة أبو عبد الله البخاري في « صحيحه » ، ونقل جماعة أن السلف يستحبون افتتاح الكتاب بهٰذا الحديث .

وروينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمٰن بن مهدي : من أراد أن يصنف كتاباً . فليبدأ بهٰذا الحديث . انتهىٰ .

وقال الشاعر :

عمـدة الـديـن عنـدنـا كلمـاتٌ أربـع قـالهـن خيـر البـريـةْ

اتـق الشبهـات وازهـد ودع مـا ليـس يعنيـك واعملـنَّ بنيـةْ

هي أربعة أحاديث قالها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛

فالحديث الأول : (اتق الشبهات) قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات. . فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات. . فقد وقع في الحرام ؛ كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمىٰ ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت. . صلح الجسد كله ، وإذا فسدت. . فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .

الثاني : (ازهد) عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ دلّني علىٰ عمل إذا عملته أحبني الله وأحبّني الناس ؟ فقال : « ازهد في الدنيا يحبّك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس » .

الثالث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حُسْنِ إسلام المرء تركُهُ ما لا يعنيه » حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجه وغيره .

الرابع : (إنما الأعمال بالنيات) عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيّات ، وإنما لكل امرىء ما نوىٰ ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله. . فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها. . فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه » رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » .

فهـٰذه الأحاديث الأربعة تنطوي تحتها العبادات والمعاملات ؛ لأن

مدار الأعمال على النية ، الله يوفقنا للعمل بما جاء به حبيبنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه رسالة مختصرة لشيخنا العلامة أحمد بن عيسى بن محمد السقاف المتوفىٰ بسيؤون (١٣٩٩هـ) سماها « الشمس المنيرة في الرد علىٰ من يعبد الله تعالىٰ من غير بصيرة » كنتُ عزمتُ أن أنقلَ بعض فوائد منها ، ثم صرفت النظر عنها ؛ لأن بعضها ذكر في هـٰذه الرسالة .

وفي ليلة السبت (١٨) ذي الحجة (١٤٠٦هـ) رأيت شيخنا المذكور ابن عيسىٰ وكأنه يقرأ علي في رسالته المذكورة ، فعرفت رغبته في كتابتها في كتابي وعتابه لي لعزمي علىٰ عدم كتابتها ، فلنذكر بعضاً منها للبركة ، قال فيها : إن الإمام السيوطي فاقت مؤلفاته على الخمس مئة مؤلف ، وملأت كتبه الدنيا في كل فن من فنون العلم ، والإمام الشافعي يخبر أنه كتب حمل بعير عن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في أول مرة قدم عليه ، وهو بالضرورة لا يكتب إلا ما يحفظ ، وإذا كان هـٰذا عن واحد . . فكيف بحفظه عن الباقين وهم كثيرون كثيرون .

قال الإمام أحمد : ما مسَّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعي في عنقه منة .

الإمام أحمد كان يحفظ ألف ألف حديث بأسانيدها ، وإذا جف القلم من كتابه للعلم . . مسحه في رأسه ولم يمسحه في ثوبه ، فقيل له في ذلك فقال : إن هـٰذا أثر مداد العلم فلا أضعه في خرقة ؛ لعلها ترمىٰ في نجاسة .

والإمام مالك لدغته عقرب وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ست عشرة مرة ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . انتهىٰ .

ومن كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس المولود سنة (١٢٥٨هـ) والمتوفىٰ سنة (١٣٣٤هـ) : من أراد التقدم.. فليطالع في كتب المتقدمين ، ومن أراد التأخر.. فليطالع في كتب المتأخرين ، وما أحدث الاختصار للناس إلا الفقر فقر العلم ، وهو ظلم وإجحاف .

قال ابن خلدون في « مقدمته » :

واعلم : أن كثرة الاختصار مضرة بالعلم والعمل والتعليم .

وقال الحبيب أحمد لبعض مريديه عند ابتداء القراءة عليه في كتاب « التنبيه » : إذا أردت أن تعود عليك بركة الكتاب ويظهر فيك نوره وينفعك الله به.. فاعتقد أن جميع ما فيه من المسائل والأقوال والأوجه حق ؛ فإن طلبة العلم الآن ينوون أن يأخذوا ما يشاؤوا ويتركوا ما شاؤوا ؛ فلهـٰذا حُرِموا بركة العلم ، وأما العمل.. فله حال ، والعامل المخلص ينظر بنور الله تعالىٰ .

ولما طلبتُ العلمَ بمكة عند السيد أحمد دحلان[1].. قال لي :

---

(١) السيد العلامة الإمام أحمد زيني دحلان الحسني ، مفتي الشافعية بالبلد الحرام ، له مؤلفات كثيرة ، ولد بمكة سنة (١٢٣٢هـ) وتوفي بالمدينة المنورة سنة (١٣٠٤هـ) ينتسب إلى الإمام الجيلاني رحمه الله ، له اتصال كبير بالسادة آل باعلوي وطريقتهم ونشر كتبهم ، ترجمت له في كتابي « فيوضات البحر الملي » (مطبوع) (ص١٠٤) ، وقد مدحه العلامة الشاعر أبو بكر بن عبد الرحمـٰن بن شهاب (١٢٦٢/ ١٣٤١هـ) بقصيدة، وفيها إشارة لتكون وفاته بالمدينة المنورة وهي في «ديوان ابن شهاب» وأولها:

دعتك لك البشرىٰ إلىٰ عرشها أسما لترقىٰ علىٰ ما فيك معراجها الأسمى

أعطيك فائدة : أن الشيخ ابن حجر حفظ « المنهاج » والشيخ الرملي حفظ « البهجة » ، فبارك الله في كتب ابن حجر ونفع بها أكثر من كتب الرملي .

وكان الشيخ أبو بكر بن سالم يدرس في « المنهاج » ولا يقرأ إلا فيه ، وكان الشيخ عمر المحضار يحفظ « المنهاج » .

وكان سيدنا عبد الرحمـٰن بن علوي عم الفقيه يحفظ « الوسيط » .

وبلغنا أن الحبيب أحمد بن زين الحبشي كان لا ينام كل ليلة حتىٰ يمر علىٰ سبعين ورقة من « شرح المهذب » من القطع الكامل .

وكان الحبيب سقاف بن محمد السقاف يأخذ « العباب » وهو مجلد ضخم ويجلس في ظل جدار بيته ويكمل الكتاب قبل أن يفيء الظل عن الجدار .

قال أهل العلم : في « المهذب » أربعون ألف مسألة بدليلها وتعليلها ، وفي « التنبيه » اثنا عشر ألف مسألة .

ومن كلام الحبيب سيدنا عبد الرحمـٰن السقاف : من لا قرأ « المهذب » . . ما عرف قواعد المذهب ، ومن لا قرأ « التنبيه » . . فليس بنبيه ، ومن لا طالع « الإحياء » . . فما فيه حياء ، ومن لا له ورد . . فهو قرد .

وقال الحبيب أحمد بن حسن العطاس : نود من طلبة العلم أن يقرؤوا « المهذب » في المساجد وغيرها يكملونه في أربعين يوماً ، هـٰذه عادة السلف ، نرجو لمن اشتغل بذلك الحصول على العلم والعمل بأقرب زمن مع انشراح الصدر وتيسير العمل .

وكان من عادة السلف إذا ابتدأ طالب العلم . . يأمرونه بقراءة الكتب المختصرة السهلة الجامعة للعلم والعمل ، مثل : « الحلية » للشيخ بحرق و« بداية الهداية » للغزالي ، و« رسالة » الحبيب أحمد بن زين ، وما أشبه ذلك ، وإذا مر الطالب علىٰ ذكر نبوي أو دعاء . . يأمرونه بحفظه ويستعيدون قراءته منه بعدما يحفظه ، والآن يمر الطالب في الكتاب من أوله إلىٰ آخره ولا يحدث نفسه بحفظ ما قرأه من أذكار العمل ولا أحد يأمر بحفظ ذلك .

وقال سيدنا أحمد لرجل يقرأ عليه في « الأذكار » للإمام النووي : احفظ ما تقرأه من « الأذكار » وحدث نفسك بالعمل ، ومن لا تحدثه نفسه بالعمل . . فكأنه لا يرجو لقاء ربه .

قال تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وكان لواحد من صلحاء تريم داران فعرض عليه كتاب « الأذكار » للنووي ولم يكن عنده ما يشتريه ، فاستشار بعض الصالحين فقال له : بع الدار واشتر « الأذكار » .

وكان السلف لا يقرؤون كتاباً في الفقه إلا ويقرؤون كتاباً في التصوف .

وكان الواحد من السلف سبع سنين يتعلم وسبع سنين يعلم ، ومن بعد يطوي الفراش ويتبتل إلىٰ ربه عز وجل ؛ ليخلفه غيره ، والآن فينا من له ستون سنة أو سبعون سنة لا وصلنا إلىٰ تعليم أو تعلم .

ومن قواعد أهلنا في التدريس : إن من نُصِّبَ مدرساً من أولادهم ولو

كان صغيراً . . جاء الكبار وحضروا دروسه ، فإن جاء على الطريق وأصاب . . أقروه ، وإن غلط . . ردوه إلى الطريق .

وكان الواحد منهم يستخلف بعض أولاده وهو قائم ولا يروح إلا وهو واثق مستأمن به .

ومن عادة السلف إذا ابتدؤوا في كتاب . . يقرؤون (الفاتحة) ويهدونها لمؤلف الكتاب .

وسئل هل يقول المعلم والمذكر شيئاً قبل أن يبتدىء في التعليم ؟ قال : نعم ، يقول : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه: ٢٨] ، وسدد لساني ، واهد قلبي بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الحبيب أحمد بن حسن : أربع مقدمات ينبغي قراءتها وتكريرها ؛ لأن المبتدىء تنفعه والمنتهي تُذَكِّره ؛ لأنها احتوت علىٰ علوم كثيرة ، وهي : مقدمة « تفسير الفخر الرازي » إلىٰ (سورة البقرة) ، ومقدمة « شرح مسلم » للنووي ، ومقدمة « المجموع » شرح « المهذب » ، و« مقدمة ابن خلدون »[1] ، وإنا وجدنا من النور والبركة والإفادة والاستفادة في كتاب « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، و« شرح صحيح مسلم » للنووي ، وكتاب « اليواقيت والجواهر » .

وأخذ بيده مجلداً من « مسند الإمام أحمد » وقال : إني أجد سراً وبركة حتىٰ في لمس الكتاب .

وقال : من أراد العلم . . فليقرأ « تفسير ابن جرير » .

---

(١) قلت : ومثلها مقدمة « فتح الباري شرح البخاري » لابن حجر العسقلاني .

وقال لبعض مريديه : يصلح لك نسخة من كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقي ؛ لأنه كله اتباع ، وكله نور ، وكله سُنة ، وكله توحيد .

وأثنىٰ علىٰ كتاب « زاد المعاد » لابن القيم وقال : ينبغي لمن أراد أن يتحرك ويتقيد باتباع السنة النبوية ألاَّ يفارق هٰذا الكتاب حضراً ولا سفراً ، كان الحبيب عبد الله الحداد يحبه ويميل إليه ، وددت لو كانت لي منه نُسَخٌ متعددة لأهديتها لطلبة العلم[1] .

وقال : عليكم بـ« رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي » ، و« المختصر اللطيف » للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل ؛ لأن فيه سراً أكثر من « الكبير » .

وكان الإمام الحداد يقول : قراءة « المنهاج » في الفقه و« الإحياء » في التصوف و« البغوي » في التفسير و« الملحة » في النحو ، يحصل بقراءتها الفتوح ويرتقي بها .

وقال : ينبغي للإنسان أن يطلع علىٰ شيء من كتب الأدب علىٰ ما يرفع منه سماجة الطبع ، وإذا مر بحكاية أو بيت شعر وفيها شيء من المنهي عنه شرعاً أو ما لا يليق بالعاقل أن يطلع عليه . . فليعرض عن ذلك بسمعه وقلبه .

---

(١) فشراء الكتب وتوزيعها على المستحقين لها والمستفيدين منها ثوابه عظيم ومن الأعمال العظيمة ، فهنيئاً لمن وفقه الله لذلك ينال الجزاء العظيم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، والدال على الخير كفاعله ، هٰكذا هٰكذا ، وإلا . . فلا لا ، وفقنا الله للأعمال الصالحة ، آمين .

وفي « العقد الفريد » لابن عبد ربه كثير من ما يحصل الاطلاع عليه ، وهو كتاب عظيم جامع فيه نحو خمسين رسالة كل واحد رسالة كاملة .

وفي « مقامات الحريري » ما لا يخفىٰ على اللبيب الذكي ، وكان بعض السلف يسميها : الحلوىٰ . انتهىٰ من كلام الحبيب أحمد بن حسن من كتاب « تذكير الناس » جمع الحبيب عطاس أبو بكر بن عبد الله الحبشي توفي بمكة عصر الأربعاء رجب سنة (١٤١٦هـ) رحمه الله .

والحبيب محسن بن علوي السقاف (١٢١١/ ١٢٩٠هـ) يقول : افهموا قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩] فإنه قال : (في صدورهم) ولم يقل : (في سطورهم)[1] .

والحبيب علي بن محمد الحبشي يقول عند حثه لطلبة العلم يقول لهم : العلم ما حُفِظَ فر ـ بالفاء ـ وما كُتِبَ قر ـ بالقاف ـ وفي الحفظ والتقييد فوائد تُعْلَم لمن له اشتغال بالعلم .

وكان سيدي يقول : ما ضيع الناس إلا قل التقييد ، ولو كان كل من

---

(١) ولجامع هـٰذه الرسالة أبيات في هـٰذا الموضوع ـ عنوانها : العلم في الصدور لا في السطور ـ :

فـي صـدور الـرجـال سـر ونـور	وعلـوم مـا تحتـويهـا سطـور
فهنيئاً لمـن علـومـه فـي الصـدر	وليـس فـي الكتـب تلـك تغـور
يا إلـٰهي أفض علينا من العلم اللـ	ـدنـي ومـن عطـاك الخيـور
إنمـا هـي منحـة وهبـات	وعطـايـا مـن الإلـه ونـور
منك نرجو التوفيق نعمل خيراً	كـل أعمـالنـا عليهـا نـور
نقتفـي منهـج المشفـع طـه	ولنهـج الأسـلاف فيـه نسيـر

ظفر بشيء من العلم قيده بالكتابة . . لكان بقيت الأشياء ، لما كنا في الصغر . . ضاع علينا شيء كبير بسبب عدم الكتابة والتقييد ، ما شيء يسر قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل نشر العلم وتبليغه والعمل به ، وكم يساوي فرح حبيبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الدنيا كلها والآخرة ما تعادل سروره صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمام فرحه وسروره إذا كان أحد من أولاده ؛ لأن السيد خاصة أكرمه الله تعالىٰ بخلعة حسنة شريفة نظيفة مطهرة ما تستاهل أن يطرحها فوق مزبلة يوسخها بقاذورات المعاصي والجهل .

كان إمام الحرمين يحفظ من كلام شيخه أبي بكر الباقلاني اثنا عشر ألف ورقة في علم الأصول فقط ، ولما مات . . تكسرت لتلامذته أربع مئة محبرة ، وقالوا : الآن مات العلم ، وبعد سنة من موته تراجعت الأمور وكان تلامذته حججاً مثله ، من جملتهم الإمام الغزالي كانوا كلهم أهل جد .

وكان الإمام محمد بن جرير الطبري الذي ادعى الاجتهاد المطلق بعد الإمام الشافعي يحفظ من العلم وقر ثمانين بعير ، من جملتها سبع مئة تفسير .

وصنف ابن شاهين الحافظ ثلاث مئة وثلاثين مؤلفاً ، منها : « تفسير القرآن » في ألف مجلد ، ومنها « المسند » ألف وست مئة مجلد ، وذكروا أنه حاسب الحبَّار الذي يشتري الحبر منه للكتابة أواخر عمره فبلغ ألف رطل وثمان مئة رطل .

وذكروا أن سفيان بن عيينة حفظ القرآن وتكلم في معانيه بمحضر من

العلماء عند الخليفة وهو ابن أربع سنين ، متىٰ قرأ القرآن ؟ ومتىٰ حفظه ؟ ومتىٰ تعلم معانيه ؟

وذكروا : أن الليث بن سعد كان يحفظ شحنة مركب من الكتب ، وكان الليث تاجراً يبيع ويشتري ، وحاصله كل يوم ألف دينار ولا وجبت عليه الزكاة .

وسأله سائل فأعطاه ألف دينار ، فبلغ ذلك الخليفة فدعاه وقال له : كيف هٰذا العطاء وأنا خليفة ولا أعطي مثلك ؟! فقال له : إني أستحي أن أعطي سائلاً أقل من دخل يوم .

وكان لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة ثلاث مئة وكيل .

انظروا إلىٰ دنياهم ما قطعت بهم عن ربهم ، والآن إن راح الإنسان يطلب العلم . . سيب دنياه ، وإن راح يطلب الدنيا . . أعطاها كل وجهته وترك ربه .

ثم قال : هل يصلح أن طالب العلم منا ينام بالنهار أو ينام قبل نصف الليل ، أو يمضي عمره ما قرأ كتاباً كاملاً أو يطالع كتاباً ولا يحضر مواده كلها عنده ويعلقها في ذهنه ؟!

كانت سفينة شيخنا أحمد زيني دحلان (١٢٣٢/ ١٣٠٤هـ) أربع مئة كراس بخطه ، وأما بخط غيره . . باتكون ثمان مئة كراس كلها مصنفات ، وكنا نحضر عنده من بعد صلاة الصبح للقراءة في « تفسير البيضاوي » وعليه « حاشية الشيخ زاده » ، ولا يأتي إلا والتفاسير معلقة في ذهنه ، يسرد العبارة من « التفسير الكبير » من حفظه .

وذكروا : أن ابن الحاج نظم كتاباً في المنطق وهو ابن ست سنين ،

ولما أكمله . . قال في آخر كتابه :

ولابن نحو الست عذر يحتمل

وأي عذر ! متىٰ تعلم ؟ وأبو بكر بن شهاب قال :

وعذر من لم يبلغ العشرينا يقبل عند الناس أجمعينا

ومثله الأخضري الذي نظم « السلم » في المنطق قال :

ولبني أحدىٰ وعشرين سنه معذرة مقبولة مستحسنه

أهلنا جدوا في طلب العلم علىٰ قلة ذات اليد ، ونحن الواحد تَمْرُهُ وطعامه في داره ولا يطلب العلم .

كان الحبيب علوي بن سهل يكتب لوحَهُ من « الإرشاد » في شريم[1] .

وذكروا : أن الإمام يونس بن عيينة وابن خلكان قالا : إنه القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي خرج من بغداد وخرج يودعه أربع مئة ما بين محدث ومفتي ومؤرخ ومفسر ، ولما أرادوا وداعه . . بكىٰ وبكوا وقال لهم : إني لم أفارقكم قالياً لكم ، ولكن لو وجدت نحو مدين من الطعام كل يوم . . ما فارقتكم ، ولم يقل له أحد منهم : عليَّ ذلك ؛ لأنهم كلهم فقراء .

وأخذ الشيخ ابن حجر أربع سنين في مصر ما يذوق اللحم ، وكان اللحم فيها رخيصاً ، الثمانية أرطال بِمُحُلَّق ، **والمحُلَّق** : نحو ثُمْن ريال .

وقال : لما طالعت كتاب « خلاصة أهل الكمال في تراجم

---

(١) الشريم : الذي يقطع الشجر .

الرجال ». . رأيت في ترجمة رجل أنه كان يحضر درسه عشرة آلاف شخص فتعجبت ، ثم رأيت في ترجمة آخر يحضر عنده خمسون ألف فزدت تعجباً وقلت : إيش هٰذا الصوت الذي يبلغهم! ثم رأيت في ترجمة آخر يحضر عنده سبعون ألف ، ثم رأيت في ترجمة سفيان بن عيينة أنه كان يحضر درسه مئة ألف ، فتعجبت غاية وقلت : إيش هٰذا الصوت الذي يبلغهم ، وكأنه يملي عليهم وهو مرتفع علىٰ شيء ؟!

وذكر الإمام علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق عليهم السلام فقال : لما دخل نيسابور وشق سوقها في موكب عظيم وعليه مظلة لا يرىٰ مَنْ وراءها ، وتعرض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصىٰ ، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه عليهم السلام. . فلبىٰ ما طلبوا ، والناس بين صارخ وباكي ؛ لما رأوا طلعته المباركة ، فروىٰ لهم عن آبائه إلىٰ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالىٰ قال : (لا إلـٰه إلا الله حصني ، فمن قالها . . دخل حصني ، ومن دخل حصني . . أمن من عذابي) ، ثم أرخى الستر وسار ، فعدوا أهل المحابر الذين يكتبون فأنافوا علىٰ عشرين ألف .

ثم قال سيدي : وبلغنا عن السيد أحمد بن إدريس اليمني الحسني (١١٧٣/١٢٥٣هـ) أنه قال : طالعت ست مئة تفسير فما شفت لي غليل حتىٰ فتح الله علي بـ« الفتح الكبير » في قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣] .

وقال سيدي : أمس قرؤوا لنا في « الإصابة » وهو كتاب عظيم ، لا شك أن ابن حجر أمير المؤمنين في الحديث ما كذب من سماه بهٰذا ؛ لأنه جمع ما في « أُسُد الغابة » وغيرها وزيادة مع أنه تاجر ، وقد كتب وصية عظيمة عند موته وقال فيها : وكل ذلك من ثمن الفلفل الذي معي في الإسكندرية ، ولكن أكلهم حلال ، ولهٰذا قواهم الله علىٰ حفظ العلم .

وأبو نعيم أملى « الحلية » من حفظه وهو ابن ثمانين سنة يروي الحديث بسنده ورجاله .

وقال رضي الله عنه ما معناه : الناس الآن إلىٰ زيادة في الدنيا وإلىٰ نقص كبير في العلم ذهبت الهمم كلها ، والآن العشقة في الدنيا ، من حمل كتابه وحضر مدة يسيرة.. حضر وهو بلا قلب ، تراهم مثل الجذوع ، أين السُّفُن ؟ أين الإشكالات ؟ أين التحصيل ؟ أين التقييد ؟ أين العشقة ؟ يشهد الله ؛ إنا لما كنا في مكة.. يقوم الوالد[1] آخر الليل وأنا والأخ حسين والأخ علوي بن أحمد السقاف نطالع ، وإذا أشرف علينا الوالد.. قال : يا حسين يا علي ، قلنا : مرحباً ، قال : عادكم ؟ قلنا : نعم ، قال : بارك الله فيكم ، وخرج يأخذ قسمه .

ومن كلامه أيضاً : العلم يبغىٰ أدباً وسهراً وجوعاً ، ما هو لمن يبيت راقداً ، ومن إذا قعد فوق الطعام.. ملأ بطنه .

قالوا : إن العلم ينادي طالبه يقول له : أعطني كلك أعطيك بعضي .

---

(١) والده الإمام محمد بن حسين الحبشي مفتي مكة (١٢١٣/ ١٢٨١هـ) .

كان أبو إسحاق الشيرازي يطالع كل يوم ألف مرة .

والحبيب أحمد بن زين الحبشي من المتأخرين يطالع قراءته كل يوم عشرين مرة ، والعلم يبغىٰ أدب ، عظموا المشايخ وعظموا المجالس ، قالوا : قيراط من الأدب خير من بهار من العلم .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : اجعل علمك ملحاً وأدبك دقيقاً ، وطالب العلم يحتاج تواضع مع الأدب .

قال سيدنا علي كرم الله وجهه : (أنا عبد من علمني ولو حرفاً) ، ولا يأنف ممن يعلمه كبيراً كان أو صغيراً ، قال الشاعر :

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

قالوا : كان سبب اجتهاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه دخل إلى الجامع الأزهر وعليه عمامة كبيرة ، فقال واحد مستهزىء به : دخل شيخ الإسلام ، فوقعت الكلمة منه موقعاً وحلف ألاَّ يخرج من الجامع الأزهر حتىٰ يدعىٰ شيخ الإسلام أو يموت ، فأكبَّ علىٰ طلب العلم وشارك في كل أدب وعلم حتىٰ صار شيخ الإسلام .

وذكروا أن سبب إكباب ابن حجر علىٰ طلب العلم : أنه مر بمحل نزح الماء وكان فيه حجراً قد أثر فيه تكرار الحبل عليه فقال : عجيب! الدوام يؤثر حتىٰ في الحجر ، فأقبل علىٰ طلب العلم ولقب بابن حجر رحمه الله . انتهىٰ من كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي .

ومن كلام سيدي الجد العلامة الإمام أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي السقاف (١٢٧٨/١٣٥٧هـ) قال : حفظ أنفاس الصالحين والأولياء

العارفين خير من جمع وحفظ الدراهم والدنانير ، قال ذلك للشيخ عبد الرحمـٰن بن محمد عرفان لما قال له : أنا في سفري كتبت وجمعت كلام الحبيب عبد الله بن محسن العطاس ، المتوفى ببوقور .

وكتب الحبيب أحمد وصية لأولاده وقرابته والمقربين إليه أمرهم فيها وحثهم علىٰ حفظ الكتب والعناية بها وعدم بيعها والتفريط فيها وعدم إعارتها ، وإن أراد أحد من طلبة العلم الاستعارة والانتفاع بكتاب . . فلا يسلمه إلا بوثيقة ؛ لأني تعبت في تحصيلها .

ومن كلامه : العلوم كثيرة وهي للإنسان بمنزلة القوت بعضه يحتاج إليه على الدوام ، وبعضه يحتاج إليه عند الحاجة ؛ فعلم الفقه مثل الرز والبر وغيرهما مما به قوام البدن ، وعلم النحو مثل الإدام ، وعلوم اللغة مثل الفواكه ، وأما علوم التفسير والحديث . . فهي كالسواقي والمضالح يحتاج إليها في الاستدلال والتعليل .

ومن مكاتبة من الحبيب أحمد أرسلها إلىٰ سيدي الوالد العلامة حسن بن عبد الرحمـٰن بن محمد السقاف (١٣٠٣/ ١٣٧٠هـ) وصديقه الشيخ الفاضل علي بن محمد مكارم أرسلها من سيؤون إلى الصولو بتاريخ (١٤/ ٥/ ١٣٤٥هـ) قال فيها : والكتاب الجليل « فتح الباري شرح البخاري » للحافظ ابن حجر العسقلاني وصل وفرحنا به ، ودعونا لكم أن الله يجزيكم عنا من عنده علىٰ قدر كرمه بما تحبون في الآخرة مدخراً وذريعة ، هـٰذه الهدية الفاخرة التي يحصل بها إن شاء الله الانتفاع في الدنيا والآخرة .

وقد قرأنا في هـٰذا اليوم في مدرس الأحد في مسجد طه في كلام

الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١١٨٣/١٢٥٨هـ) أن رجلاً من آل شبام كان يسافر ويمر على الحبيب عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤/ ١١٣٢هـ) عند سفره وعند عودته ، وذات مرة أصحبه الحداد كتاب « صحيح البخاري » ليجلده في بعض البلدان ، فجلده وأتىٰ به ، فقال له الحبيب عبد الله : لو أتيت لي بمركب شاحن من كل غالي . . ما فرحت به كفرحي بهٰذا الكتاب .

ثم قال : انظروا إلىٰ تعظيمهم شعائر الله ؛ عسى الله يجعلنا وإياكم ممن عَظَّم شعائر الله .

وكذلك جدنا الشيخ العارف بالله الصالح محمد بن عبد الله الخطيب بارجاء أرسل إليه أخوه الشيخ عبد القادر نسخة من « صحيح البخاري » واشترىٰ بير مزرعة بألف ومئتين ريال وحول له بخريفها ، فقال الشيخ محمد : فرحي بـ« البخاري » أعظم من البير ، أو ما هٰذا معناه .

وقال : إن الإمام مسلم أكل قَوْصُرَّة تمر في أثناء مطالعته ؛ لاستغراقه في المطالعة .

ويروىٰ : أن الإمام النووي في ليلة من الليالي بقي يطالع من أول الليل إلىٰ أن طلع الفجر عليه ولم يشعر بمضي الليل كله ، وهٰذا الزمن الطويل فاعجب أيها السامع لهٰذا الاستغراق الكامل والهمة العالية .

وأيضاً : قصة الشيخ بدر بن ربيعة شيخ الإمام مالك حيث أنفقت أمه المال الذي وضعه أبوه عندها أمانة ، أنفقته في طلب الابن العلم أيام طلبه وأجرة من يعلمه وأبوه غائب ، فلما قدم أبوه من غيبته الطويلة . . لقي ابنه عند باب الدار ولا عرفه ، وتنازعا وكل واحد يقول : هٰذا داري ؛ لأن

الأب لا يعرف ابنه والابن لا يعرف أباه ، فمر عليهما رجل وهما في تلك الحالة ، فقال للأب : هٰذا ابنك ، وقال للابن : هٰذا أبوك ، فتصافحا وتعانقا وتعارفا ودخلا الدار .

ثم إن الوالد سأل زوجته عن المال الذي عندها أمانة فقالت له : اخرج إلى المسجد فإنك تراه ، وخرج إلى المسجد فرأىٰ حلقة عظيمة والأستاذ فيها ولده ، ثم رجع إلى الدار وأخبرته زوجته أنها أنفقت المال في تعليم ولده ففرح فرحاً عظيماً .

وقال : إن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ (١٢٠٩ ـ ١٢٦٥هـ) كان معه النصف الثاني من كتاب « الإمداد » وطلب النصف الأول منه ، وبحث عنه فوجده عند رجل من أهل شبام ، فطلبه منه أن يشتريه منه بأي قيمة أراد ، فرفض أن يبيعه ، فقال له الحبيب : خذ وزنه ذهباً ، فامتنع الرجل ؛ لأنه حريص على الكتب ، ثم إن الحبيب عبد الله كتب النصف الأول من « الإمداد » بيده وجعله جزأين .

ثم ذكر الوالد عمر بن حامد السقاف (١٢٦٣ ـ ١٣٤٤هـ) بسيؤون أن الحبيب علي بن محمد الحبشي اشترى النسخة المذكورة بأربعين ريال وهي باقية عند أولاد الحبيب علي .

وقال : إن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١ ـ ١٣٧٢هـ) إذا أراد أحد أن يكلمه . . يقول له : أوجز ؛ فإن وقتي عزيز ، ويستقبل الناس بعد صلاة الظهر .

وقال : إن الحبيب أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٨ـ ١٣٣٤هـ) أمر نحن بقراءة كتاب « المهذب » لما جاء سيؤون أمرهم ، وأمر أهل تريم

بقراءة « المهذب » مجزأ ؛ بايقع نفع عظيم ، والسلف بايفرحون منكم ، وهم قرؤوه وانتفعوا به جم جم .

ونحن عزمنا علىٰ قراءته بكرة الثلوث في مسجد الجد طه فرحانين من أولادنا مواظبين على المدارس ، ربنا يفتح علينا وعليهم في العلم النافع . انتهىٰ من كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمـٰن .

وجاء في مكاتبة لسيدي الحبيب عبد القادر بن أحمد رحمه الله : ولا أزال أحثكم علىٰ حفظ الوقت ، مهما وجدتم فرصة . . فاصرفوها في العلم ؛ فقد كان الشيوخ يحكون عن العلم أنه يقول : أعطني كلك أعطك بعضي ، والعلم وسيع ميدانه ذاهبة إلى العلا أرسانه ، رفيع مكانه ، لا يصل إلىٰ ما يصل إليه الإنسان إلا بمعونة من الله وتوفيقه ، فاسألوا المعونة من الله تعالىٰ يعنكم عليه .

ومن خصائص العلم : أنه إذا صدق العبد في طلبه . . فاتحه بالعلم الوهبي ، فكان ينفق منه من خزائن الغيب ما لا يداخله شيء من الريب ، وعلم الوهب لا تنحصر موارده ولا يقف وارده ، وإنما هو فيوضات يلقيها الحق تعالىٰ علىٰ قلب من أحب من مِنَح ، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] من سر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ؛ عسىٰ يكون لنا ولكم منه نصيب نكتب به من أهل التقريب . مكاتبة (٨/ ٩/ ١٤٠٠هـ) .

ومكاتبة أخرىٰ من الحبيب عبد القادر أرسلها من سيؤون إلىٰ جيبوتي قال فيها للسيد عثمان[1] بن محمد بن عبد الله بن علي السقاف :

---

(١) توفي عثمان بن محمد السقاف في شهر صفر سنة (١٤١٧هـ) بسيؤون ، والحبيب عبد القادر خاله حفظه الله . وعثمان كان مدرساً في جيبوتي .

وأرجوكم بخير وعلىٰ خير ، مستمرين في إعداد الجيل وتكوين النشء لِما كان عليه مَن قَبلنا من خيار الأمة ، دائبين في حمل رسالة العلم والأخلاق ، فوالله ؛ ما أُعطي أحدٌ عطاءً أفضلَ منَ العلم ، ولا شغل ذو وظيفة وظيفةً أحسنَ مِن وظيفة العلم .

وإليه الإشارة بقوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨] ، وبقوله : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ١٠٥] ، وبقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما بُعِثتُ مُعَلِّماً » ، وقوله : « إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورَّثوا العلم » .

وقد حام حول هـٰذا شوقي رحمة الله عليه إذ قال :

قــم للمعلــم وفِّــهِ التبجيــلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا
أعَلِمتَ أفضلَ أو أجلَّ من الذي ... يَبنِـي ويُنشِـىءُ أنفسـاً وعقـولا

إنما دائماً ينبغي أن تلاحظ أن المدّعين للعلم كثير ، والمُتَرَسِّمينَ به قليل ، ورُبَّ مترسّمٍ به أضرُّ عليه من غيره ؛ لاقتناعِهِ بقشره عن لُبابه ، والمقصود من العلم ومن كل الأشياء إنما هو اللباب ، ولُباب العلم هو العمل به ، وترويض النفس حتىٰ ترتاح وتطمئن وترغب في الأخلاق الفاضلة ؛ ولذا قيل :

لا تحسبنَّ العلمَ ينفع وحده ... مـا لـم يتـوّجْ رَبَّـهُ بخـلاقِ

= ووالدته الحبيبة عائشة بنت الحبيب أحمد بن عبد الرحمن ، وخاله الحبيب عبد القادر ، رحم الله الجميع .

وحسبكم قول المشرِّع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقد تسنَّم هٰذه الطريقةَ أكابرُ أهليها حتىٰ عثروا على الحقيقة ، فأخلص الناس لهم الولاء ، وعرفوا صدق دعوتهم مع المولىٰ ، فأقبلوا عليهم بِكِلتا يديهم ، وانتفعوا بقولهم وفعلهم .

والسبب في ذلك : أن رايَتَهم لا يلتوي علىٰ عمودها غير الإخلاص والصدق ، وأنعِم بتلك الراية ، فلها إشعاع روحي قوي ديني ، يفعل في القلوب والناس أكثرَ مما تفعل الخمر ، وأشدَّ من عمل السحر .

قال الحافظ :

مُلْكُ القلوبِ وأنت المستقلُّ به أبقىٰ على الدهر من مُلكِ ابنِ داوودِ

وقد قيل : إن لكل إنسان إشعاعاً ينتشر عليك من روحه ، كلما دنوت منه . . جلستَ إليه ، هٰذا الإشعاع يختلف في القوة والضعف ، وفي الكثافة واللطف باختلاف الروح في الناس كلهم ، وفيه يتبين تأثير أكابر القوم ؛ لأنهم كانوا يَتَّسِمون سَمْت الأنبياء في دينهم ودنياهم ، فإذا قالوا . . وعَظوا ، وإذا فعلوا . . أرشدوا ، وإذا صمتوا . . كانوا كأعلام البَرِّ تدل بالإشارة ، أو كمنائر البحر تهدي بالشعاع ، وكثير منهم كانوا قليلي الكلام ، حينما تشاهدهم أو تزورهم تتأثر منهم ، وتخرج من عندهم وقد غمروك بسكينتهم ، وتمكن فيك إشعاع روحهم ، وأثَّر فيك صمتهم أكثر من تأثير غيرهم من رجال الكلام وفرسان الفصاحة ، فالتأثير للقلب ؛ إذ له علىٰ كل الأعضاء الغُلب .

ولما تشوّف العلماء اليوم إلىٰ زهرة العيش وعِزِّ المنصب . . انطفأت

من حولهم تلك الرسالة ، فأصبحوا كالناس يقولون فلا يلتفت إلىٰ قولهم ، ويفعلون فيُتَّهمون بالرياء ، وقد أحسن الجرجاني إذ قال :

ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلما ... بدا طمعٌ صيَّرْتُه لِيَ سُلَّما
أَأَشقىٰ به غرساً وأجنيه ذلةً ... إذاً فاتّباعُ الجهل قد كان أَحْزَما
ولو أنَّ أهلَ العلم صانوه صانَهم ... ولو عظّموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهانوا ودَنَّسوا ... محيَّاه بالأطماع حتىٰ تَجهَّما

وقد قرأت عن الشيخ حسن البَنَّا من بعض كلماته المأثورة : أيها الإخوان ؛ أمَا والله ؛ إني لا أخشى الدنيا عليكم ولو جَمَعَت كُلَّ قواها ، ولكني أخشىٰ عليكم أمرين : أن تَنْسَوُا الله فيَكِلَكُم إلىٰ أنفسكم ، وأن تنسَوْا رابطتكم فيما بينكم فتفشلوا وتذهب ريحكم . اهـ

وقد انعكس الحال اليوم فأصبح العلماء بمعزل عن الناس ؛ لا يُلتفَت إليهم ولا يُهتمّ بشأنهم ، فالناظر اليوم إلىٰ حال العلماء وما انتهت إليه من سوء الحال وما تردَّت فيه من حضيض يُحزنُه أن يرىٰ هٰذه الطائفة التي خَشِيَ بأسَها الملوك والعظماء ، وقد وصلت إلىٰ درك من المهانة والتحقير لا يرضاه لنفسه من له حظ من حِجىً أو نصيب من كرامة ، ولكن من أصلح نفسه . . استعاد مجده ، ومن زهد فيما عند الناس . . احترمه الناس ، ومن تهافت على الأغنياء والعظماء . . أصبح طالباً وقد كان مطلوباً ، وسائلاً وقد كان مسؤولاً ، وصح فيه ما قيل :

عرضنا أنفُساً عزَّت علينا ... عليكم فاستحقّ بها الهوانُ
ولو أنَّا منعناها لَعَزَّتْ ... ولكنْ كُلُّ معروضٍ يُهانُ

وقد خرج بنا القلم إلىٰ غير ما أردنا ، فلنرجع إلىٰ مهمة التعلم

ونختصر فربما طال ، وخير القول ما قلَّ ودل ؛ فإن الله سبحانه وله الحمد أناط بالمعلمين أقدسَ أمانة إذا هم أدركوا التبعة وعِظَم المسؤولية .

وقد قال عتبة بن أبي سفيان لمؤدّب ولده : ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك ؛ فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحَسَن عندهم ما استحسنتَه ، والقبيح بينهم ما استقبحتَه .

وقال الشاعر :

ونفسَك فاحفظها من الغيّ والرَّدىٰ   متىٰ تَغْوِها تُغوِ الذي بك يقتدي

ولشوقي :

وإذا المعلـم سـاءَ لحـظ بصيـرة   جاءت علىٰ يده البصائر حُوْلا
وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى   روح العدالة في الشباب ضئيلا
ربُّوا على الإنصاف فتيانَ الحِمى   تَجِدُوهُمُ كهفَ الحقوق كُهولا

وفي الحديث : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » .

وفيه أيضاً : « ويلٌ للآباء من الأبناء » ، وفي معنى الآباء هنا : الأساتذة .

وفيه أيضاً ما معناه : (إن الولد يأتي يوم القيامة فيأخذ بتلابيب والده فيقول : يا رب ؛ خُذ لي بحقِّي من هـٰذا فقد ظلمني) .

وللغزالي كلام علىٰ الحديث الأول مفاده : أن الأستاذ والوالد مخاطب ومعاقب علىٰ إهمال نشئه أكثر من عقّاب السلطان والوالي لإهمال رعيته ؛ لأن بإهمال الأستاذ يذهب جيل كامل يتخبّط في ظلمات الجهل ، ثم تأتي من بعده الأجيال الأخرىٰ فتقفوا أثره في الجهل

والضلالة ؛ وذلك يلوح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من دعا إلىٰ هُدىً . كان له من الأجر مثل أجورهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيء . . . » إلخ .

وبإزاء هٰذه الحالة الحالة الثانية وهي المقصودة بالذات ؛ وهي الخلافة عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، وقوله : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم » ، وقوله : « يوزَن مِداد العلماء بدم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء علىٰ دم الشهداء » ، وقوله : « من دعا إلىٰ هدىً . . . » إلخ كما أسلفنا .

وهٰذه هي الحالة التي أرجو أن تكونوا أهلها ، والغربة في جنب فضلها ومحلها من الدين لا تعتبر شيئاً ، وقد بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم كبارَ أصحابه أبا بكر وعلياً ومعاذاً رضي الله عنهم مما لا يخفىٰ إلى اليمن وغيرها وقال : « يسِّروا ولا تعسِّروا ، وبشِّروا ولا تنفِّروا » .

وقال في أمثالهم : « إن فيكم مسمِّعين . . . » إلخ ، والله يتولاكم وينفع بكم ، ويردّكم إلينا سالمين غانمين .

ومن وصية كتبها العلامة عُبيد اللاه بن محسن بن علوي السقاف (١٢٦١/ ١٣٢٤هـ) لابن أخيه العلامة عبد الله بن حسين بن محسن (١٢٨٨/ ١٣٤٩هـ) قال فيها : فلا أشرف من العلم النافع ، ولا أجل من صرف الوقت فيه ، وهو نعم الشافع .

ويحسن هنا إيراد أبيات لبعض الرجال التقاة يحث فيها علىٰ طلب العلم النفيس وعلىٰ فضل أهله وشرف التدريس ، وهي هٰذه :

مع العلم فاسْلُك حيثما سلك العلمُ ... وعنه فكاشف كل مَنْ عنده فهمُ
ففيه جلاءٌ لِلقلوب من العمى ... وعون على الدين الذي أمره حتمُ
فإني رأيت الجهل يزري بأهله ... وذو العلم في الأقوام يرفعه العلمُ
يعد صغيرَ القوم وهو كبيرهم ... وينفذ منه فيهم القول والحكمُ
فأي رجاء في امرىءٍ شاب رأسه ... وأفنىٰ شباباً وهو مستعجم فَدْمُ
يروح ويغدو الدهر صاحب بطنة ... تركب في أحشائه الشحم واللحم
إذا سُئل المحروم عن حال أمره ... بدت رُحَضَاءُ العيِّ في وجهه تسمو
فهل أبصرت عيناك أقبح منظراً ... من الشخص لا علم لديه ولا حلم
فخالطْ رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم دين وخلطتهم غنم
ولا تعدونْ عيناك عنهم فإنهم ... نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا الله ما اتضح الهدى ... ولا لاح من أفق السماء لنا نجم

حبب إليَّ من دنياكم

قال في « كشف الخفا ومزيل الإلباس فيما انتشر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس » للشيخ المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفىٰ عام (١١٦٢هـ) صفحة (٣٣٨) حديث رقم (١٠٨٩) قال : « حبب إليّ من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » هٰكذا اشتهر على الألسنة ، وترجم به النجم ، لكن ذكره في « المقاصد » وكثيرون بدون (من دنياكم ثلاث) ، وقال : رواه الطبراني في

« الأوسط » و« الصغير » عن أنس رفعه ، وكذا الخطيب في « تاريخ بغداد » مقتصراً علىٰ « جعلت . . . » إلخ .

رواه النسائي عن أنس والحاكم بدون (جعلت) ، وقال : صحيح علىٰ شرط مسلم ، ثم ذكروا روايات أخرىٰ وفوائد قيمة .

ثم قال : لكن عند أحمد عن عائشة : (كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا ثلاثة أشياء : النساء ، والطيب ، والطعام ، فأصاب اثنين ولم يصب واحدة ؛ أصاب النساء والطيب ، ولم يصب الطعام) إسناده صحيح إلا أن فيه رجلاً لم يسم . انتهىٰ .

ثم قال :

تنبيه : قال في « المواهب » : وهـٰهنا **لطيفة** : روي : أنه عليه الصلاة والسلام لما قال : « حبب إلي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة ». . قال أبو بكر : (وأنا يا رسول الله ؛ حبب إلي من الدنيا النظر إلىٰ وجهك ، وجمع المال للإنفاق عليك ، والتوسل بقرابتك إليك) .

وقال عمر : (وأنا يا رسول الله ؛ حبب إلي من الدنيا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقيام بأمر الله) .

وقال عثمان : (وأنا يا رسول الله ؛ حبب إلي من الدنيا إشباع الجائع ، وإرواء الظمآن ، وكسوة العاري) .

وقال علي رضي الله عنهم أجمعين : (وأنا يا رسول الله ؛ حبب إلي من الدنيا ثلاث : الصوم في الصيف ، وإقراء الضيف ، والضرب بين يديك بالسيف) ، قال الطبري : خرجه الجَنَدي والعهدة عليه . انتهىٰ .

ونقل الشبراملسي في « حاشيته » على « المواهب » عن « الذريعة » لابن العماد : أنه قال فيها : وعن الشيخ أبي محمد النيسابوري أن أبا بكر قال : (وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث : القعود بين يديك ، والصلاة عليك ، وإنفاق مالي لديك) .

وقال عمر : (وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة حدود الله) .

وقال عثمان : (وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام) .

وقال علي رضي الله عنهم أجمعين : (وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث : الضرب بالسيف ، والصوم في الصيف ، وقرى الضيف) .

فنزل جبريل عليه السلام وقال : (وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث : النزول على النبيين ، وتبليغ الرسالة للمرسلين ، والحمد لله رب العالمين) أي : الثناء على الله تعالىٰ .

ثم عرج جبريل ، ثم رجع وقال : (يقول الله تعالىٰ : وهو حبب إليه من عباده ثلاث : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وجسم علىٰ بلائه صابر) ، وفي بعضها مخالفة وزيادة .

ثم قال في « كشف الخفا » : وفي كلام بعضهم أن أبا حنيفة قال : وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث : ترك الترفع والتعالي ، وقلب من حبين خالي ، والتهجد بالعلم في طول الليالي .

وأن مالكاً قال : وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث : مجاورة تربة سيد المرسلين ، وإحياء علوم الدين ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين .

وأن الشافعي قال : وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث : ترك التكلف ، وعشرة الخلق بالتلطف ، والاقتداء بطريق أهل التصوف .

وأن أحمد قال : وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث : عطاء من غير منة ، ونفس مطمئنة ، والاتباع للسنة . انتهىٰ من « كشف الخفا ومزيل الإلباس » للشيخ المحدث العجلوني صفحة (٣٣٨ إلىٰ ٣٤١) .

وفي صفحة (٣٤١) في نسخته كتب السيد طه بن حسن بن عبد الرحمـٰن بن محمد السقاف باعلوي الحُسيني نزيل المدينة المنورة بتاريخ (١٣/٦/١٣٩٧هـ) : وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث : مجاورة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، وترك الفضول من الكلام ، ومطالعة كتب العلماء الأعلام .

ونرجو من الله الكريم يتكرم علينا بذلك ويديمه علينا ، ويحسن لنا الختام في بلدة خير الأنام عليه وعلىٰ آله أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله والشكر على الدوام .



ختام الرسالة

الحمد لله الكريم الوهاب يعطي من يشاء من خلقه من غير حساب ، ويجزل لهم الأجر والثواب ، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين من أعطي الحكمة وفصل الخطاب سيدنا محمد وعلىٰ آله الكرام وأصحابه الأعلام وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد : فمن نعم الله تعالىٰ بأن أظهر لنا هٰذه الرسالة بعد طول غياب ؛ فقد كُتبت بالمدينة المنورة في سنة (١٤٠٦هـ) ، وبقيت تظهر وتغيب بين الكتب والأوراق حتىٰ ظهرت بحمد الله في هٰذه الأوقات ، وحُقَّ لها أن تظهر وتحفظ وتنشر ، وما كان حقها الترك والإهمال ، فالحمد لله ثم الحمد لله .

والآن بتوفيق الله عزمت علىٰ مراجعتها وإضافة ما يتعلق بها ، وكفىٰ من الإهمال والترك ، وحقاً أن موضوعها كبير ، والمتعلقات بالموضوع كثيرة والفوائد ثمينة ، بادرت بجمع الموجود وإن كان قليلاً ؛ فإن فيه الخير والبركة إن شاء الله تعالىٰ .

وأرجو الله الكريم أن يُقيِّض لها من طلبة العلم الكرام من يقوم بمراجعتها وتحقيقها ، وإضافة ما يتناسب من مواضيع وتعليقات حول تلك الرسالة القيمة النافعة .

ونرجو الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل هٰذه الرسالة وجميع ما كتبناه

وجمعناه خالصة لوجهه الكريم ، ومقبولة لديه ، ويجعلها في صحائفنا وصحائف والدينا ومشايخنا وأسلافنا ، ويجعلها حجة لنا لا حجة علينا ، وشاهدة لنا لا شاهدة علينا ، ويجعلنا وجميع أهلنا وأعمالنا في حفظه الأمين وحرزه المكين وأمانه وستره ورعايته من جميع شياطين الإنس والجن أجمعين ، ويرزقنا شفاعة نبيه الشفيع العظيم ، ويحشرنا في زمرته وتحت لوائه ، ويسقينا من حوضه الشريف ، ويدخلنا معه الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمحض فضله وجوده إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين .

قال ذلك وكتبه الفقير إلىٰ عفو الله وكرمه طه بن حسن بن عبد الرحمـٰن بن محمد السقاف باعلوي الحُسيني لطف الله به في الدارين آمين .

وحرر بالمدينة المنورة يوم الاثنين الثاني عشر من ذي القعدة الحرام عام ألف وأربع مئة وتسعة وعشرين هجرية .

والحمد لله ، وله الثناء الجزيل والشكر العظيم علىٰ ما منَّ به علينا من إتمام هـٰذه الرسالة المباركة .

وبتوفيق الله وفضله تمت مراجعتها الأخيرة وقراءتها في الحرم النبوي الشريف وفي الروضة المطهرة يومي الاثنين (١٥/ ٥ـ) والثلاثاء (١٦/ ٥/ ١٤٣٠هـ) ، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً كما يحب ربنا ويرضىٰ .

حرر بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء (١٦/ ٥/ ١٤٣٠هـ) وكتبت هـٰذا وأنا بالحرم النبوي الشريف ، والحمد لله .

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله وجوده تتنزل البركات ، والحمد لله الذي هدانا لهـٰذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ، وله الحمد الجزيل والشكر الكثير علىٰ نعمه المتواترة ، وهباته المتكاثرة ، والصلاة والسلام علىٰ سيد أهل الدنيا والآخرة ، سيدنا محمد المخصوص بالمعجزات الظاهرة ، والمقام المحمود والشفاعة العظمىٰ في الآخرة ، وعلىٰ آل بيته وعترته الطاهرة ، وعلىٰ أصحابه الكرام النجوم الزاهرة ، وأزواجه الطاهرات وتابعيهم بإحسان أهل الوجوه الناضرة التي هي إلىٰ ربها ناظرة ، واجعلنا معهم ومنهم يا واسع الفضل والمغفرة ، آمين يا أرحم الراحمين .

ومن توفيقه وعونه وفضله سبحانه وتعالىٰ أن وفقنا الله وأعاننا علىٰ إتمام هـٰذه الرسالة الفاخرة ، ونرجو المولى الكريم سبحانه وتعالىٰ أن يجعلها من الأعمال المقبولة الخالصة ويجعلها في صفحات حسناتنا ووالدينا ومشايخنا ، وننال عليها الأجر العظيم والهبات الجزيلة الفاخرة ، ونسأله أن يعم نشرها ، ويعم النفع بها في الدنيا والآخرة ، ويتقبل ذلك منا .

ثم إن من الواجب علينا أن نخص بالشكر الجزيل والدعاء الكثير لكل من ساعدنا وأعاننا في الجمع والتصحيح والمراجعة والمقابلة ؛ فإن من لا يشكر الناس . . لا يشكر الله عز وجل ، اللهم ؛ أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

ونخص بالشكر الجزيل والدعاء الكثير الولد المبارك المجتهد النجيب مصطفى ابن المرحوم أبي بكر بن حسين بن محمد الكاف ، حفظه الله ورعاه وسدد خطاه ووفقه لخيري الدنيا والآخرة ؛ فإنه قام مشكوراً بكتابة هٰذه الرسالة بالكمبيوتر ، وقضىٰ أوقاته الغالية النفيسة في كتابتها ومراجعتها وتصحيحها حتىٰ ظهرت بهٰذا المظهر الممتاز الجميل والتصحيحات .

فجزاه الله خير الجزاء في الدارين ، وأجزل لنا وله الأجر الجزيل والثواب العظيم ولكل من ساعد وأعان من الإخوان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

والحمد لله رب العالمين

وأخيراً :

نخص بالشكر الجزيل ، والدعاء العظيم ، والثناء الخالص للشيخ الألمعي الباحث عن نفائس الكتب ، والمنقب عنها في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، والقائم بنشرها وطباعتها وتوزيعها . . الشيخ الجليل المخلص عمر سالم باجخيف حفظه الله ، ووفقه وأعانه ، آمين .

فقد قام بنشر الكثير منها بطبعات راقية ، وتصحيحات كاملة ، فجزاه الله خير الجزاء على عمله العظيم في الدنيا والآخرة ، وأكثر الله من أمثاله ، وضاعف لهم الأجر والثواب .

ذي المعالي فليَعْلُوَنْ مَن تعالى هٰكـــذا هٰكـــذا وإلا فـــلا لا

ولمثل هٰذا فليعمل العاملون ، والله ولي التوفيق .

والشيخ عمر أخذ مني هٰذه النسخة ، وقام بكتابتها بهٰذا الشكل الجميل ، وأوعد بطبعها ، جزاه الله خيراً في الدارين ، آمين .

والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وهو الموفق والمعين .

وكتبه الفقير إلىٰ عفو الله وفضله طه بن حسن بن عبد الرحمٰن بن محمد السقاف باعلوي الحُسيني نزيل المدينة المنورة لطف الله به في الدارين ، آمين .

وحرر بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء (٢١) رجب الحرام عام (١٤٣٠هـ) .

* * *

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ صحيح البخاري .

٣ـ صحيح مسلم .

٤ـ المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للحافظ شرف الدين الدمياطي .

٥ـ رياض الصالحين للنووي .

٦ـ الجامع الصغير للسيوطي .

٧ـ فتح الباري شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٨ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي .

٩ـ الأدب المفرد للإمام البخاري .

١٠ـ تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي .

١١ـ بهجة المحافل للعامري .

١٢ـ الأنوار المحمدية للنبهاني .

١٣ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي .

١٤ـ جامع العلوم والحِكَم ابن رجب الحنبلي .

١٥ـ تقييد العلم للحافظ الخطيب البغدادي .

١٦ـ أخلاق العلماء .

١٧ـ كشف الخفا ومزيل الإلباس للشيخ العجلوني .

١٨ـ جواهر العقدين في فضل العلم والنسب للسمهودي .

١٩ـ عقد اليواقيت الجوهرية للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي .

٢٠ـ تنبيه الغافل للحبيب عمر بن سقاف السقاف .

٢١ـ إسعاد الرفيق علىٰ سلَّم التوفيق للشيخ بابصيل .

٢٢ـ الغرر للمحدث محمد علي خرد .

٢٣ـ تثبيت الفؤاد من كلام الإمام الحداد .

٢٤ـ كلام العلامة محمد بن هادي السقاف .

٢٥ـ الثمار الدانية للعلامة محمد بن هادي .

٢٦ـ الشمس المنيرة للحبيب أحمد بن عيسى السقاف .

٢٧ـ مجموع كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي .

٢٨ـ مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس .

٢٩ـ مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمـٰن السقاف .

٣٠ـ هدية الحبائب في الرحلة إلىٰ مآرب للسيد محمد حسن الحداد .

٣١ـ عيون الأخبار لابن قتيبة .

٣٢ـ بغية المسترشدين فتاوى العلامة عبد الرحمـٰن المشهور .

٣٣ـ نور العيون للشيخ محمد عوض بافضل .

٣٤ـ نشر طي التعريف في آداب حملة العلم الشريف للعلامة محمد عبد الرحمٰن الحُبيشي .

٣٥ـ آداب التعليم للشيخ أبي الليث السمرقندي .

٣٦ـ طيب الكلام بفوائد السلام للسيد علي بن عبد الله السمهودي .

٣٧ـ وصية العلامة عبيد اللاه بن محسن السقاف .

٣٨ـ مكاتبات الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف .

❋ ❋ ❋

محتوى الكتاب

* * *